

القسم الثاني من

كتاب

الانزهار الرياضية

مصحف في أئمة وملوك الإباضية

تأليف

الفقيه الى مولاه انفي سليمان بن الشيخ

عبد الله الباروني النفوسي وفقه

الله لصالح العمل وعامله بالحسن

آمين

وهذا القسم يختص بالسلام على مدينة تهرت

وأئمة بني رستم فيها رحمهم الله ورضي عنهم

وبهم امشه تعليقات عليه لا تخلو من فائدة

حررها مؤلفه حفظه الله

حقوق طبعه وترجمته محفوظة لمؤلفه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الكتاب

في انتقال الامامة من طرابلس الى مدينتي هرت
بالمغرب الاوسط ومبدأ ذلك وأسبابه

قد تقدم ان عبد الرحمن بن رستم لما ورد عليه امر الامام ابي الخطاب
من طرابلس وهو عامل له بالقيروان جهز جيشاً وسار به ولما وصل (قابس)
أدركه خبر وفاة الامام فتفرق عليه الجيش وقامت (قابس) على عاملها
فعاد الى القيروان فوجدها قد قامت على وكيه أيضاً ووجد عبد الرحمن
ابن حبيب نائراً بها كما مر مفصلاً في القسم الاول ولما وجد الأمر كذلك
خرج مستخفياً قاصداً المغرب ولم يكن معه شيء الا ما خف من ماله وابنه
عبد الوهاب ومملوكه وفرسه وما ساروا غير قليل حتى ماتت الفرس فدفنوه
كي لا يعلم بموته أحد من حزب ابن حبيب فيطمع فيهم ويتبع أثرهم ولما
نعب عبد الرحمن من السير لكبر سنه تناوب حمله ابنه عبد الوهاب على ظهره

مع الملوك وقال كل منهما للآخر اذا لحقنا من العدو مادون خمسمائة فارس
فلا تضع الشيخ (أى عبد الرحمن) الى الارض وانا أكفيك مؤنة الدفاع
وضلوا سائرین قاصدين رحاب المغرب وأكفاه (١) الواسعة المزدانة
(٢) برجال الاباضية اخوانه وعجي سيرته حيث يعمه الأمن ويحيط به العز
والشرف ويشمله الاجال والاحترام الى ان بلغوا جبلا يعرف بسو فجج *
وهو على ما وصف به فى التواريخ فى غاية المنعة وصعوبة المرق فتحصن فيه
وسمع به وجوه الاباضية وعلماءهم فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع
عنده من طرابلس وجبل نقوسة من العلماء فقط مايزيد على ستين من
اكابر العلماء وأهل الفضل والرأى ولما بلغ ابن الاشعث وهو فى القيروان كما
مر خبر هذا الاجتماع اشتد به الرعب وداخله الفزع ولم يطبله طعام
ولا شراب ولا منام حتى جهز جيشا وسار به الى الجبل المذكور لمحصرتة قبل
أن يعظم ذلك المجتمع * ولما وصله نزل فى سفحه (٣) وحفر خندقا على
ممسكره (٤) خوفا من هجوم عبد الرحمن ومن معه عليه وأقام
محاصرا للجبل زمنا مستملا كل الحيل فى دخوله والاستيلاء عليه ولم
يشمکن من ذلك ولما سئم (٥) الإقامة وتوقع انقلاب الحال عليه
وخاف سوء العاقبة ولا سيما بعد أن اتشرداء الحمى والجدرى فى مسكره
حتى هلك منهم خلق كثير استشار فى الامر خواصه فأشار عليه ببعض
بالارتحال وبعض بالإقامة فأخذ برأى الاولين وارتحل قائلا ان سو فجج
لا يدخله الادارع ومدجج (٦) ولم تقف على ما استدل به على تعيين هذا الجبل

(١) أى جرابه (٢) أى الخزينة (٣) سفح الجبل أسفله (٤) المسكر موضع
اجتماع العساكر (٥) أى مل بتشديد اللام (٦) دارع كلابن وثامر هو الرجل

وأني الجبال هو لتبدل الاسماء بتبدل اللغات مع طول الزمن * فدخل القيروان
وتحصن بها وأقام عبد الرحمن هنالك حتى اجتمع عليه من أهل الفضل والعلم
والصلاح جم غفير وارتمل (١) الى جهة تاهرت * وهي اذذاك مدينة قديمة
يسكنها وما حولها قبائل من البربر مثل هوار * ومكناسة * ونفوسة * ولماية
ومزاتة وغيرهم وكلهم أباضية الا النادر ويمدون بمآت الالوف * قال المؤرخ
ابن خلدون * وقتل ابو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم
بمكان امارته في القيروان فاحتل أهله وولده ولحق بأباضية المغرب الاوسط
من البربر الذين ذكرناهم ونزل على * لماية * لتقديم حلف (٢) بينه وبينهم

الذي عليه الدرع بكسر الدال وهي حلة من حديد تلبس حال الحرب * تذكر
وتوالت * والمدجج * بتشديد الجيم الاولى هو الرجل المتقاد بسلحه الحديد القوي
* قال الحموي في ٤٤٨ كانه من الديبجوج وهو الظلام كانه يخفي في الظلام كما
يخفي في السلاح اه ولعله بالعكس

(١) الذي يظهر أن الذي سار فيه عبد الرحمن ومن معه من ذلك الجبل الى حد
تاهرت كله عامر بالأباضية لا غير أولهم السيادة فيه والا لما أمكن له الوصول بدون
أن يعرض له عارض مع اشتهاؤه أمره وشدة طلب العذولة * ولم نعلم السبب المرجح
لذهابه الى المغرب دون جبل نفوسة وما حوله العامر بالأباضية مع قربه منه وقوتهم
الهم الا أن يكون ذلك الحلف الذي سيأتي ذكره عن ابن خلدون

(٢) الحلف بالكسر المهد بين القوم والصدقة والصديق يحلف لصاحبه أن
لا يغدر به اه قاموس ~~قائمة~~ قال والاحلاف قوم من ثقيف (بفتح الثاء)
وفي قریش ست قبائل * عبد الدار * وكعب * وجهج * (بضم ففتح) وسهم * ومخزوم *
وعدي * لانهم لما أرادت بتو عبد مناف أخذوا في أيدي عبد الدار من الحجابة
والسقاية (في المسجد الحرام) وأبى عبد الدار عقد كل قوم على أمرهم حلفا (بكسر
الحاء) مؤكدا على أن لا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعها

اه وذكر مثل ذلك العلامة الحوي في تاريخه أيضا * ولما وصلهم استبشروا به لما يلبسهم من استقامته وعدله وعدله وورعه أيام كان عاملا لابي الخطاب على القبروان والتفوا حوله واستظلوا بحمايته ووقفوا عند أمره ونواهيته بدون ان يدعي فيهم خلافة أو يطلب بيعة أو ملكتهم اجتمعوا اليه (١) وقالوا له لا بد لنا من امامة ظهور بعد تأسيس مدينة حصينة منيعة بعيدة عن مهاجمات العدو (٢) تكون مأوى ومقرآلا ما متنا (٣) وملجأ لنا في حربنا وسلمنا فأجابهم عبد الرحمن الى ذلك واستحسن رأيهم

لأحلافهم وهم * أسد * وزهرة * وتيم * عند الكعبة فمسنوا أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاءهم حلفا آخر مؤكدا فسموا الأحلاف وقيل لعمر رضى الله عنه * أحلافى * (ياء النسب) لانه عدوي اه وامل مراد ابن خلدون بالحلف هاهنا مجرد الصداقة والافلم نعت في كلام المؤرخين على حصول معاهدة بين عبد الرحمن وبين قبيلة لمسية أو غيرها من القبائل قبل توجهه الى جهة تيهرت الا أن يكون ذلك أيام امارته بالقبروان ولم نطلع عليه والله أعلم (١) الظاهر أن هذا الاجتماع كان قبل أن يحصل تقديم أبي حاتم رحمه الله الله في جهات طرابلس كما يتبين بالنظر الى تاريخ تأسيس تاهرت وتاريخ ولايته على ما تقدم وما سيأتي

(٢) يريدون بذلك أن تكون في وسط مواطنهم ومعظم جموعهم وقوتهم ولا تكون قريبة من حدود مملكة قوية من ممالك غيرهم حتى لا يسبل هجرم العدو عليها كطرابلس فانها على البحر وقريبة من حدود مصر ولذلك لم يستقر لهم فيها قرار (٣) أي الامامة التي يضمرون عقدها لعبد الرحمن أو غيره في مستقبلهم أما أبو حاتم فلا ذكر له اذ ذاك ولم تقف على نص يوضح حال أباضية طرابلس والجبل وما يلي ذلك في الزمن الذي بين وفاة أبي الخطاب وامامة أبي حاتم رحمه الله فانها مدة لا يمكن أن تخلو من عمل مع ما هم عليه من القوة عددا وعدة وسنبحث على ذلك ان شاء الله

﴿ ابتداء تأسيس مدينة تيهوت ﴾

فاختاروا اذ ذاك من اهل العلم والخبرة بالارض جماعة ليرتادوا (١) مكانا جيد الهواء كثير المياه خصب الارض قابلا للمارة مأمونا من العدو كما طلبوا فطافوا اقطار تلك الجهات الى ان عثروا على المكان الذي بنيت فيه وكان غابة ملتفة بالاشجار يسكنها انواع الوحوش * قال العلامة الشماخي رضي الله عنه في تاريخه نقلا من تاريخ ابي زكريا رحمه الله * ان بقية المسلمين ورؤساء العابدين وكبراء الزاهدين من جماعة المؤمنين اتفقوا على ان يختيروا موطعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا الاسلام فأرسلوا الرواد (٢) فطافوا أطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تاهرت فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لاهلها خراجا (٣) معلوما يأخذونه من

(١) أي ليطلبوا فهو مضارع ارتاد وفي الحديث اذا بال أحدكم فليرتد ليروله أي فليطلب مكانا لنا أو منحدرًا

(٢) جمع رائد وهو الذي يرسل في طلب الكل كما في القاموس والمراد هنا المرسلون في طلب أرض على النعت المذكور

(٣) أي مقدارًا معينًا من المال يدفعه لارباب الارض أصحاب البيوت والأسواق والحمامات بقانون متفق عليه في كل شهر أو كل سنة وقد عرف بعضهم الخراج فقال * الخراج والخرج (يفتح فسكون) بمعنى واحد وهو أن يودى العبد اليك خراجا أي غلته والرعية تودى الخراج الى الولاة وأصله من قوله تعالى * أم تسألهم خراجا * وقرئ خراجا بمعناه أم تسألهم أجرا على ما جئت به فأجر ربك وثوابه خير * وأما الخراج الذي وظفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على السواد فأراضي التي فان معناه الغلة ومنه قوله عليه السلام * الخراج بالضمان * قالوا هو غلة العبد يشتره الرجل فيستغله زمانا ثم يعثر منه على عيب دلسه البائع ولم يطلعه عليه فله رد العبد على البائع والرجوع عليه بجميع الثمن والغلة التي استغلها المشتري من العبد طيبة له لانه كان في

غلثها اه * وذلك بعد أن راودهم عبد الرحمن على البيع ولم يقبلوا كما سيأتي
عن الحموي * وأمرؤا مناديا فنادى بأعلى صوته قائلا * يا من بها من
الوحوش والسباع إن اخرجوا وارتحلوا فانا نريد عمارتها ونازلون بها ولسم
اجل ثلاثة ايام * او ماني معني هذا الكلام * قال ابو زكريا * وذكروا
انهم رأوها تحمل اولادها في افواها وهي خارجة من تلك الاشجار فرغبهم
ذلك فيها وزادهم بصيرة في صارتها اه * (١)

* ولما تم الاجل ولم يبق بها من تلك الوحوش شيء اوقدوا شجرها
نارا فأحرقتة ولما خمدت النار وتمت تنقية الاشجار (٢) وصارت صالحة

ضمانه ولو هلك هلك من ماله وكان عمر رضي الله عنه أمر بمسح السواد ودفعه الى
الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة ولذلك يسمى خراجاً ثم بعد ذلك قيل
للبلاذ التي فتحت صلحا ووظف ماصولها عليه على أرضهم خراجية لان تلك الوظيفة
اشبهت الخراج الذي لزم الفلاحين وهو الغلة لان جملة بمعنى الخراج الغلة وفي
الحديث ان أبا طيبة لما حجم النبي صلى الله عليه وسلم أمر له بصاعين من طعام وكلم
اهله فوضعوا عنه من خراجه أى من غنثه اه




(١) ذكر بعض المؤرخين مثل هذه الحكاية في شأن الصحابة لما فتحوا
افريقية وأرادوا تأسيس مدينة القيروان ولعل الامام عبد الرحمن اقتدى بهم في
تأسيس تاهرت أيضا ولم نجد من نسب له هذه الكرامة من مؤرخي غيرنا أما عندنا
ففي كل تاريخ والله أعلم

(٢) ذكر العلامة الشماخي والعلامة أبو زكريا رحمهما الله أنهم وضعوا في
أصول تلك الاشجار حبسا (أي معجونا) اتخذوه من ثمر واقط وسويق مخلوطين
بسمن (فجاءت الخنازير في الليل) وكأشها موجودة بكثرة وتحب هذا المعجون جدا
لما شمت رائحته وصارت تحفر تحت تلك الاصول بحثا وراء ذلك الحيس حتى
نزعها كلها * وبالتأمل يظهر أن هذا الامر يحتاج الى شيء كثير من السمن ولوازمه لما

للمهارة قصدوا الى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء
فاتخبطوا أربعة أماكن ورموا القرعة عليها فجاءت على المكان الذي خصصوه
لصلاتهم أيام باقامتهم في تنقية الاشجار * فشرعوا في تاسيسه واختطوها بيوتاً
وقصوراً وأسواقاً وحمامات * ومساجد * وفنادق (١) يحيط بالكل سور (٢) محكم
وتفتنوا تدريجاً في عمارتها وتنظيمها حتى كانت عروس تلك الاقطار وفخر تلك
الديار * واصبحت كما وصفها المؤرخون من انها عراق المغرب * وانها بلخ (٣)

في المكان من كثرة الشجر * ثم انظر كيف يتأني الخنازير نزع تلك الاصول العظيمة
ذات العروق الراسخة المتفرعة في باطن الارض من أحقاب لا يعلمها الا خالقها التي
يكل في قطعها الحديد الحاد * قاله أعلم كيف كان ذلك ولعل هناك أمراً آخر سهل
نزعها مع الخنازير وأهمه التاريخ أو جملوا ذلك لما بقي بعد الحرق من أصول الاشجار
الرفيعة لكثرتها وأما العظيمة فباشروا ازالتها بأنفسهم وعلى كل حال فلاحظ للنظر
مع وجود الاثر اذ ما نقلوا رحيم الله ذلك ودونوه الا عن يقين وصحة

(١) الفنادق جمع فندق وهو لغة الختان أي محل التجارة وفي اصطلاح عصرنا
يطلق غالباً على محل كبير ذي بيوت معدة لتزول المسافرين به بالاجرة ويختلف
 باختلاف المدن والبلاد في معداته وترتيباته (٢) بقي الى الآن من هذا السور
قطعة تدل على مئاته وسيأتي في الاصل كلام عليه

(٣) العراق * وبلخ * من البقاع التي كانت يضرب بها المثل في الحضارة والمدنية
والعمران بالشرق في صدر الاسلام خصوصاً في دولة بني العباس المعاصرة لدولة
الرسامين * أما العراق فكانت في مصب النهرين المباركين * نهر دجلة * ونهر
الفرات * ومن مدنه المشهورة  مدينة بابل  وسيأتي زيادة كلام عليه *
ولا نزيد الآن تقريباً على ما ذكره الحموي حيث قال في صحيفة ٦٣٠ من المجلد
الثالث هكذا * والعراق أعدل أرض هواء وأصحبها مزاجاً وماء فلذلك كان أهل
العراق هم أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشهوات الممودة والشمال
الظريفة والبراعة في كل صناعة  لا تغفل ايها القارى فاننا ماستقنا هذا الكلام هنا

المغرب . وانه قاعدة المغرب الاوسط . لما كان بها من الحضارة الاسلامية ورواج سوق المعارف والتجارة الواسعة اذ كانت ترد اليها وتصدر منها انواع البضائع الى السودان واقصى المغرب وبلاد الاندلس ومصر والشام والحجاز

الا لتشبيهم تهرت بالعراق مع اعتدال الاعضاء واستواء الاخلاط وسيرة اللون وهم الذين انضجتهم الارحام فلم تخرجهم بين أشقر وأصهب وأبرص كالذي يعتري أرحام نساء الصقالية من الشقرة ولم تتجاوز أرحام نسائهم في النضج الى الاحراق كالزنج والنوبة والحبشة الذين حلك لونهم وتتن ريحهم وتفاقل شعرهم وفسدت آراؤهم وعقولهم فمن عداهم بين أحمر لم ينضج وبجاوز لقد رحتي خرج من الاعتدال قالوا وليس (بالعراق) مشات كشاتي (الجبالي) ولا مصيف كصيف (عمان) ولا صواعق كصواعق (تهامة) ولا دماويل كدماويل (الجزيرة) ولا جرب كجرب (الزنج) ولا طواعين كطواعين (الشام) ولا كهليحال (البحرين) ولا كحبي (خير) ولا كزلزل (سيراف) ولا كحرارات (الاهواز) ولا كأقاعي (سجستان) وتعاين (مصر) الى أن قال واقليم بابل موضع التيمعة من العقد واسطة القلادة ومكان اللبة من المرأة الحسنة والحة من البيضة والنقطة من البركار * قال عبيد الله المفتقر الى رحمته وهذا الذي ذكرناه عنهم من ادل دليل على ان المراد بالعراق ارض بابل الاتراء قد افردته عنه بما خصه به وقال شاعر يذكّر العراق

﴿ الى الله أشكو عبدة قد اظلت * ونفسا اذا ما عجزها الشوق ذلت ﴾
 ﴿ نحن الى أرض العراق ودونها * تائف لو تسري بها الريح ضلت ﴾
 واما بلخ * فقد قال فيها * وبلغ من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها
 خيرا وأوسعها غلة تحمل غلتها الى جميع خراسان والى خوارزم * اه
 ثم نسب اليها جماعة كبيرة من العلماء والفضلاء * وبها ذلك البناء الفخيم المسمى (بالنوبهار) وقد قال فيه أيضاً نقلا عن ابن الاثرق الكرماني هكذا * كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر يبلغ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم (قبل الاسلام)

واليمن وبغداد وغير ذلك من البلاد وكان لها على البحر مراسي متعددة معروفة ترسي بها مراكبها ومدن عامرة ذات اسواق رائجة واسوار منيعة

عبادة الاوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وما كانت قریش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الاصنام وزينوه بالدجاج والحريز وعلقوا عليه الجواهر النفيسة وتفسير النوبهار البهار الجديد * لأن (نو) الجديد وكانت سنتهم اذا بنوا حسنا أو عقدا بابا جديدا أو طاقا شريفا كانوا بالريهان ويتوجون ذلك بأول ريحان يطلع في ذلك الوقت فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار فسمي نو بهار لذلك وكانت الفرس تعظمه وتحتج اليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبة الاعلام وكانوا يسمون قبة الأستن (بضم الهمزة والتاء) وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلثمائة وستون مقصوره يسكنها خدامه وقوامه وسدنته وكان على كل واحد من من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ويقال ان الريح ربما حملت الحريز من العلم الذي فوق القبة فتلقيها بترمد (بكسر التاء والميم) وينها اثنا عشر فرسخا وكانوا يسمون السادن الاكبر بزمك لتشبيهم البيت بمكة يسمون سادته بن مكة فكان كل من ولي منهم السدانة بزمك وكانت ملوك الهند والعسین وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحتج الى هذا البيت وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الاكبر ويقبلوا يد بزمك وجعلوا للبرمك ما حول النوبهار من الارضين سبع فراسخ في مثلها وجميع أهل ذلك الرستاق عبيد له يحكم فيهم بما يريد وصبروا للبيت أوقافا كثيرة وضباعا عظيمة سوى ما يحمل اليه من الهدايا التي تتجاوز الحد وكل ذلك يصل الى بزمك الذي يكون عليه فلم يزل يليه بزمك بعد بزمك الى أن افتتحت خراسان في ايام عثمان بن عفان وانتهت السدانة الى بزمك ابني خالد بن بزمك فسار الى عثمان مع رهائن كانوا ضمنوا مالا عن البلد ثم انه رغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى أهله وولده وبلده

وحصون مشيدة وغير ذلك مما سيأتي في أحوال المؤرخين من اخواننا المالكية
والحنفية حتى لا يخطر ببال القاريء ان ما قلناه وسنقله مجرد مبالغة منا او

فانكروا اسلامه وجعلوا بعض ولده مكانه برمك فكتب اليه * نيزك طرخان * أحد
الملوك يعظم ما اتاه من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آباؤه فأجابه برمك
اني انما دخلت في هذا الدين اختيارا له وعلميا بفضله من غير رهبة ولم أكن لأرجع
الى دين بادي العوار مهتك الاستار فنضب نيزك وزحف الى برمك في جمع كثير
فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني قد استعجبت الملوك فأجندوني فأصرف
عني أخته خيلك والا هلكنى على لقائك فأصرف عنه ثم استقره وبنته فقتله وعشرة
بنين له فلم يبق له سوى طفل وهو برمك أبو خالد فان أمه هربت به وكان صغيرا الى
بلاد القشغير من بلاد الهند فنشأ هناك وتعلم علم الطب والنجوم وأنواعا من الحكمة
وهو على دين آباؤه ثم ان أهل بلده أصابهم طاعون ووباء فنشأوا بمفارقة دينهم
ودخولهم في الاسلام فكتبوا الى برمك حتى قدم عليهم فأجلسوه في مكان آباؤه
وتولى النوبهار ثم تزوج برمك بنت ملك الصغانيان فولدت له الحسن وبه كان يكنى
وخالدا وعمرأوأختا (لعله فيه هنا سقطا وهوافظ لهم) يقال لها أم خالد وسلمان بن
برمك أمه امرأة من أهل بخارا وكان ابن برمك وأم القاسم من امرأة أخرى بخارية
ايضا * ولما فتح عبد الله بن عامر بن كرم زخراسان أنفذ قيس بن الهيثم حتى قدم
مدينة بلخ وقدم بين يديه عطاء بن السائب فدخل بلخ وخرب النوبهار وقال بعض
الشعراء يذكر النوبهار

(أوحش النوبهار من بعد جعفر * ولقد كان بالبرامك يعمر)

(قل ليحيي أين الكهانة والسحر * رواين النجوم عن قل جعفر)

(أنسيت المقدار أم زاعت الشم * من عن الوقت حين قمت تقدر)

وقال أبو بكر الصولي حدثنا محمد بن الفضل المذارى (بفتح الميم) عن علي
ابن محمد النوفلي قال كان برمك يعمر النوبهار ويقوم به وهو اسم لبيت النار الذي
كان يبلغ يعظم قدره بذلك فصار ابنه خالد بن برمك بعده فقال أبو الهول الحميري

تمويه لا سند له • وحتى يعلم ذلك الذي جهل الاباضية لقلة بضاعته في العلم
وعدم اطلاعه حتى قال ما قال (١) انهم قد اخذوا دور ظهورهم ونفوذ
كلمتهم في مقدمة الآخذين في عنصر الاسلام وشباب العصر القريب من
اصحاب مرشداً لانام خاتم الرسالة عليه السلام • وقد ذكر ابن خلدون المغربي

يمدح الفضل بن الربيع ويهجو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي

﴿ فضلان ضيها اسم • وشتت الاختبار ﴾

﴿ آثار فضل الربيع • مساجد وثمار ﴾

﴿ وفضل يحيى يبلخ • آثاره النوبهار ﴾

﴿ وما سواه اذا ما • أوترت الآثار ﴾

﴿ بيت يوحد فيه • ويمبدا الجبار ﴾

﴿ وبيت شرك وكفر • به تعظم نار ﴾

اتمى بحروفه

(١) مما قاله هذا القائل أن الاباضية شرذمة قليلة لا ذكر لهم ولا شأن
لا قديماً ولا حديثاً فهم أحقر الفرق وأقلها لم تقم لهم قائمة ولا نسب اليهم ملك ولا
فخر منذ وجدت الفرق وتعجب تعجبا زائدا (بناء على فكره هذا) لما علم بزيارتي
الى مكان ﴿ تبهرت ﴾ كما سيأتي واستعظم ذلك مني وراء من العبث • فكان ذلك
من أكبر الأسباب الداعية لي الى ابراز فضائل هذه المدينة والبحث في صفحات
التواريخ عنها بعد أن مضى عليها مالا يبعد عن الفسنة وهي خراب • ولقد نبهنا
الى ما لم يكن خاطرا لنا بالبال فتشكره على ذلك وتمثل فيه بقول الشاعر الحكيم
﴿ واذا أراد الله نشر فضيلة • طويت أناس لها لسان حسود ﴾
﴿ لولا اشتغال النار فيها جاورت • ما كان يعرف طيب نشر العود ﴾
فهو قد نصح من حيث غش وأرشد من حيث أضل فكان سببا لاطهار الخبثات
وابراز المجوهرات • وعمى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم • ورب كلمة سوء من
سوء قصد بها سوء آجرت منافع

المالكي تاريخ انشائها فقال في صحيفة (١١٢) من المجلد السادس من تاريخه
 * واجتمعت اليه (أي الى عبد الرحمن) طوائف البربر الاباضية من * مائة
 ولواته * ورجالة * وتزاوة * فنزل بها (أي بتاهرت) واختط مدينتها سنة
 مائة واربعة واربعين هـ وهو موافق لما ذكره الشماخي في سيره (١) وابو
 زكرياء في تاريخه (٢) * والدرجيني في طبقاته (٣) والبرادي في

(١) السير * تأليف جامع لمناقب كثيرين من علماء وأئمة المذهب من
 المغاربة وبعض من مشاهير المشاركة مع بيان أسمايتهم وتواريخهم غالباً * لا نظير له في
 بابيه الا سير نفوسة الكبير الذي أكثر مؤلف هذا من النقل منه وهو من كتب
 المذهب المتبرة المفقودة أما هذا فوجود مطبوع ومؤلفه العلامة الكامل الشيخ
 أحمد الشماخي بن سعيد بن الشيخ عبد الواحد صاحب المزار المشهور تحت قصبة ابن
 مادي بجبل بني يفرن من جبال نفوسة توفي رحمه الله سنة ٩٢٨ وقد ذكر العلامة
 الشيخ محمد بن زكرياء الباروني رحمه الله أن له فضائل ومناقب جمة هزم على جمعها
 وكأنه لم يتيسر له ذلك أو فقد المجموع اذ لم يسمع بوجوده أحد والله أعلم والشماخي
 نسبة الى شياخ وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله

(٢) سير أبي زكرياء تاريخ متوسط فيه كثير مما لم يكن في سير الشماخي
 رحمه الله وان كان الثاني أشمل من الاول ألفه الامام الناظر الناطم التقى الشيخ
 أبو زكرياء يحيى من ذرية الشيخ محمد بن بكر رحمه الله

(٣) الطبقات تأليف جليل مشهور يتكلم في أئمة المذهب وعلمائه المشهورين
 بذكر فضائلهم وبعض أخبارهم الا أنه غير جامع للكل وقد وقفت عليه وأنا صغير
 لا أعرف قدره فلم أعرف منه شيئاً ولمقدر الحصول عليه حال تحرير هذا فاتني كثير
 مما يليق بما نحن بصدد مما يمكن نقله منه * مؤلفه العلامة التحرير * الشهير
 بطول الباع في الانشاء والتحرير * من كانت له اليد الطولى في كل فنون الشيخ أحمد
 ابن العلامة الكامل الشيخ سعيد الدرجيني رحمه الله وسيأتي الكلام عليه

جواهره (١) رحمهم الله والله اعلم بالحقائق .

﴿ هذا كراؤال المؤرخين من أفاضل الاشعرية في وصف مدينة تاهرت ﴾

(مع بيان اسم الكتاب او مؤلفه وعدد الصحيفة)

(غالبا فيما يكون مهماً تسهيلا على من أراد تحقيق ذلك)

﴿ ومراجعته من الاصل ﴾

قال العلامة ابو العباس الدمشقي في تاريخه المطبوع في الهند تاهرت وقد رسمها بالنون غلطا اذ ذكرها في باب النون . اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب . كثيرتي الاشجار والثمار والمياه اهـ وقال المؤرخ ابن واضح العباسي الشهير باليعقوبي بن علماء الحسين الاولى من المائة الثالثة للهجرة المعاصر لأئمة بني رستم في تاريخه المطبوع في مدينة ليدن . من بلاد الافرنج سنة ١٧٦٠ عند ذكره مدن المغرب مانصه . والمدينة العظمى مدينة تاهرت . جليلة المقدار عظيمة الامر تسمى عراق المغرب (٢) بها

(١) الجواهر كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة تمم بغض ما أهمله صاحب الطبقات من الاخبار وما هو الا كاسه العالي وأفخر فله اسم طابق مسماه رحم الله مؤلفه المحقق الجليل المتكلم أبا القاسم البرادي المشهور بأبي الفضل

(٢) بشهادة هذا المؤرخ المحقق المتقدم على كثيرين من أرباب التاريخ وشهادة من سياتي كلامهم أيضا من غيره يعلم القارى حيف بعض متأخري المؤرخين من أهل مدينة فاس اذ ذكر أن فاس تعرف بعراق المغرب في سابق الزمان ولم يقل هذا أحد من المتقدمين من أهل التاريخ فمن أين جاءه وما هو الا جاحد فضل (تبرهت) غاصب حقها وان كنا لا ننكر فضل فاس وشهرتها العظيمة فما أهون

اخلاط (١) من الناس تعلق عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن افلح بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وكان عبد الرحمن يتدولى افرىقية وصار ولده الى تاهرت فصاروا اباضية ورأس الاباضية فهم رؤساء اباضية المغرب ويتصل بتاهرت بلد عظيم (٢) ينسب الى تاهرت في طاعة محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (وسيأتي بيان اسماء تلك البلاد والمدن كلها) والحصن الذي على ساحل البحر الاعظم (٣) ترسي به مراكب تاهرت

التساهر على مثل هذا المؤرخ من المؤرخين في تبديل وتغيير الاخبار تبعاً لافراضهم وكأنه لم يفكر في اتيان زمن (كذا) تنكشف فيه السرائر وتوضح الحقايق ويستوى الماضي والحاضر في الوضوح بقيام آلات الطبع لاطهار كل مكنون من نفيس الكتب العتيقة ذات الشأن والتحقيق في التاريخ التي كانت تحت حجب الخطاء والضن بها على حد قول الامام ابى نصر النفوسي رحمه الله في شان اليوم الآخر

﴿ سينكشف السر المنطوي وتنجلي ﴾ غيايات هذا الشك من واضح الظهير

ولو تأمل هذا المؤرخ في كلام الشاعر القائل *

﴿ ومحيى تكن عند امرى من خليفة ﴾ وان خالها تخفى على الناس تسلم

وقولهم ان في الزوايا خبايا لانصف في كلامه وأعطى كل ذى حق حقه ولو فيما هو بين الجمادات وبين العاصر والداصر بقضاء الله * ولعله على رأى القائلين (الدنيا مع الواقف) *

(١) الاخلاط جمع خلط بكسر الخاء * أراد أن من فيها من الناس

اصناف شتى مختلطون من بربر وعرب وترك وعجم وسودان وفرنجة ويهود ومشاركة ومغاربة شأن أغلب المدن الكبيرة الجامعة ذات الحضارة والامن والعدل

(٢) كل من يدرك معنى هذه الكلمة وما تقدم وما سيأتي من الفاظ التعظيم

والتفخيم لا ريب يستصغر في جانب تاهرت ما سئذ كره من بعض ما ينسب اليها من البلاد ويعلم انه قليل من كثير لم نعلمه وربما كان مخزونا في بطون الدفاتر

(٣) ليس المراد البحر المحيط بالقارة الافريقية المشهور بالبحر الاعظم الذي

يقال له مرسى فروخاه ووصف المؤرخ الادريسي المغربي في تاريخه هذا المرسى فقال وهو مرسى حسن وعليه قرية عامرة * وذكره الملك المؤيد ايضا كما سبأني والذي يشف من كلام هذا الفاضل ابن واضح أن له باهرت شسغفا وتلقا

فيه الجزائر الخالدات (وكانت عامرة في قديم الزمان يعض الحكماء المنجمين واما الآن فقد أفسدها البحر على ما يقال) ويعرف قديما ببحر الظلمات و بالافانوس والآن بالبحر الاطلانطيقى لانه بعيد عن تبهرت ولم يمتد حكمها اليه لما بينهما من مملكة الادارة بناس وغيرها * بل المراد بحرنا هذا الذي نحن على شاطئه المسمى بالبحر الرومي وبالبحر الابيض المتوسط الممتد من البحر المحيط بواسطة بوغاز جبل طارق الكائن بالقرب من شبه جزيرة الاندلس التي بلغت في صدر الاسلام الدرجة القصوى في الحضارة والعلم والآن بيد الدولة الاسبانية ومن مدينة طنجة ثغر مملكة السولة المراكشية الى أن ينتهي بأرض الشام وعلى شاطئه هناك من المدن المشهورة (مدينة يبروت) ومنها ابتداء خط سكة الحديد الحجازية المنشأة بمساهمة وعناية أعظم سلاطين الاسلام الآن السلطان عبد الحميد الثاني أحد ملوك آل عثمان أبده الله بنصره وحفظ ملكهم ملجأ للمسلمين وحصنا لحرمين الشريفيين و (مدينة طرابلس) و (مدينة حلب) ويتصل بواسطة بوغاز الاسنانة العلية (القسطنطينية) بالبحر الاسود وبقنال السويس (الفتحة الجديدة) بالبحر الاحمر ويتسلسل على جانبيه ممالك دول كبيرة وامارات ممتازة ومحتلة صغيرة * فعلى جانبه الجنوبي مبتدا من الغرب (حكومة فاس) وهي دولة اسلامية يلقب حاكمها بالسلطان مفقودة منها القوة الحربية الجديدة برا وبحرا وتتازعها عوامل الافرنج صباحا ومساء حفظها الله من الوقوع في شبكتها ثم (الجزائر) وهي ولاية محتلة لفرانسا داخلة في ادارتها من حدود سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٢٤٨ هجرية وفي جنوبها (مدينة وارجلان) و (مدن بنى ميزاب) الاباضية الخافلة باقامة شعائر الدين كما يجب ثم (تونس) وهي ايلة ممتازة اسلامية يلقب حاكمها بالباي تحت حماية فرانسا ويتبعها (جزيرة جربة) العامرة بالاباضية ونفهم المالكية ثم (طرابلس الغرب) وهي ولاية عثمانية اسلامية لا يوجد

زائدين اذ كرر ذكرها في كتابه دون غيرها فقال في صحيفة ١٤٩ مستطرداً
الكلام عليها هكذا *

* حدثني * أبو عبد * عبد الرحمن * بن محمد * بن ميمون * بن عبد الوهاب
* ابن عبد الرحمن * بن رستم التاهرتي * قال * تاهرت * مدينة كبيرة أهلة
بين جبال وأودية ليس لها فضاء بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاثة
مراحل في مستوى من الأرض وفي بعضها سباح وواديقال له وادي شلف (١)
وعليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نبل مصر يزرع عليه القصب والكتان
والسمسم وغير ذلك من الحبوب ويصير الى جبل يقال له (انتبق) ثم يخرج الى
بلد نفزة ثم يصير الى البحر المالح وشرب أهل مدينة تاهرت من انهار وعيون
يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول لم يجذب زرع
ذلك البلاد قط (لكثرة مياهه وامطاره) الا ان يصيبه ريح أو برد
(فهو بلد خصب وخير دائم) وهو متصل بالسوس يسميه أهل السوس درن

بها من الأجانب (الافرنج) أحد الا في المدينة نفسها وفي بعض مواهبها ولا هلهما مز يدطاعة
وشدة تعلق بالدولة العلية العثمانية ويجنوبها على ٣ مراحل من البحر جبال نفوسة
الاباضية المشهورة العامرة بهم ومعهم المالكة في مواخاة وملايكة ثم (مصر) وهي
حكومة ممتازة عثمانية اسلامية ياتقب جاكها بالحدوي محنة بدولة الانكليز ولا هلهما
ارتباط بالدولة العثمانية لاتحصل عراه * وعلى جانبه الشمالى مبتدأ من الغرب أيضا
دولة اسبانيا ثم دولة فرانس ثم دولة ايطاليا ثم اليونان وغير هاهم (الدولة الاسلامية العثمانية
ناشرة لواء الدين وحامية حى الاسلام والمسلمين أيدها الله بنصره المين ومقرسلطنتها
(القسطنطينية) المسماة بدار الخلافة ودار السعادة والاستانة العلية واستانبول * وهذا
باب يطول شرحه وليس هذا محله

(١) - سيأتي الكلام على شلف

ويسمى بتاهرت جزول ويسمى بالزاب أوراس اهـ فليتنامل المنصف في كلام هذا المحقق فانه من اصبح ما حرره المؤرخون في هذا الباب لتقدمه على اكثرهم في الزمن اذ كان حاضر النبي رستم فهو لم يكتب الا ماشاهده او نقله عن ثقة أمين

وقال أبو عبد الله الادريسي الشريف في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج في صحيفة ٨٧ واصفا بتاهرت في القديمة التي أحسن تجديدها وأتقن تمدنها الاسلامي ميمون بن عبد الوهاب اذ كان عاملا لوالده عليها حتى صارت تنسب اليه دون غيره من الرستميين ما نصه *

وهو مدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين احدهما قديمة والاخرى محدثة والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور وهي على قمة جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البربر لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة وبها مزارع وضياح (١) حمة وبها من تناج الخيل والبراذين كل حسن

(٣١) الضياح جمع ضيعة وهي على ما في القاموس القمار والارض المثلة * وما يكون منها عطية لبعض الناس من طرف الملوك يسمى قطعة كما كان يفعل بعض بني أمية وبني العباس اذ كانوا لا شركاء لهم في بيوت أموال المسلمين يتصرفون فيها على حسب أهوائهم فيعطون الأموال الطائلة لشاعر مدحهم بقصيدة أو بيت ولنديم اطربهم في مسامرتهم بحكاية غريبة أو قصة مضحكة * وليس ذلك مما يستخر به الاسلام والدين اذا فقد العدل وقد عرفها بعضهم فقال * وأما القطيعة فلها معنيان أحدهما أن يعدد الامام الجائز الأمر والطاعة الى قطعة من الارض يفرزها عما يجاورها وبهها ممن يرى ليعمرها وينتفع بها اما أن يجعلها منازل يسكنها ويسكنها من يشاء واما أن يجعلها مزدرا ينتفع بما يحصل من غلتها ولاخراج عليه فيها وربما جعل على مزدرها خراج وهذه حال قطائع المنصور وولده بعده بغداد في محالها فن ذلك

وأما البقر والغنم فكثير بها جدا وكذا السمن والعسل وسائر غلاتها مباركة
وبمدينة { تاهرت } مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم
ويتصرفون فيها (١) ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من
الفاكهة الحسنة وبالجملة فهي بقعة حسنة انتهى *

وقد نقل هذا الشيخ مقديش السفاسي في تاريخه المطبوع في تونس

قطيعة الربيع وقطيعة أم جعفر وقطيعة فلان وقد ذكرت في مواضعها من الكتاب *
وأما القطيعة الأخرى فهي أن يقطع السلطان من يشاء من قواده وغيرهم القرى والنواحي
ويقطع عليهم عنها شيئا معلوما يؤدونه في كل عام قل أو كثير توفر محصولها أو نزر
لا يدخل للسلطان معه في أكثر من ذلك اهـ

(١) لم تتحقق كيف كان التصرف في هذه المياه وادخالها البيوت للارتفاع بها
والطالب انه كان على طريقة لا تبعد عن الطريقة الموجودة الآن في المدن المتقدمة
وان خالفها في الكيفية اذ لا توجد غالبا في ذلك الوقت أنابيب (مواشير) من
الحديد كالو موجودة الآن وربما كانت من الفخار المطلي ولا يقال انها كانت تجري
في الشوارع والأزقة هكذا بدون انتظام لان مدينتها وقرىها لا يسمعان بذلك على أن
موقعها فيه بعض ارتفاع حسب التخمين عن العين الموجودة الآن المسماة بعين السلطان
فبدون صنعة هندسية لا يمكن توزيعه فيها وقد كان بيت بني رستم مشهورا بالتضلع
في العلوم الرياضية فلا يصعب عليهم ذلك * وليست هذه الكيفية موجودة ذلك
الوقت في تاهرت. فقط بل توجد في زواغة مدينة نفوسة سابقا في جهات طرابلس على
البحر آثار تدل على انها كانت كذلك أيضا اذ يوجد فيها مجرى نهر كبير آت من ناحية
جبال نفوسة الشرقية اخترق أراضي وأودية كثيرة حسب ما تدل عليه بعض القطع
الموجودة منه الآن وهو محصص بكيفية محكمة ذكر الذين رأوا بعض قطع منه انه
يشبه مجرى عين زيدة الموجودة بجهة مكة المكرمة وعلى كل حال فهو عمل دال
على القوة والحضارة الثامة والله أعلم

ببعض تصرف وان لم ينسبه اليه فلا لزوم لنقله * وكما ذكرها ابن خلدون وان كان غير منصف في جانب الاباضية (١) عبر عنها غالبا بقاعدة (٢) المغرب فن ذلك قوله في صحيفة ٣٨ من المجلد الخامس وفتح أبو القاسم (الشيبي سنة ٣١٥) بدمزاة * ومطاطة * وهوراة * وسائر الاباضية * والصفرية * ونواحي * تاهرت * قاعدة المغرب الأوسط * وقال السلطان الملك المؤيد في تقيمه المطبوع بياريس سنة ١٨٤٠ بصحيفة ١٢٤ نقلا عن العزيزي المغربي * تاهرت القديمة * وهي تاهرت عبد الخالق وبينها وبين تاهرت الجديدة مرحلة *

* وهي مدينة جليلة وكانت تسمى قديما عراق المغرب ولها من أعمالها مرسى على البحر يقال له مرسى * فروخ * ومدينة * تاهرت * الاولى على جبل متوسط وبها منبر وكذلك المحدثه بها منبر (٣) وهي أعظم من القديمة ولاهلها مياه تخرق دورهم قال ابن سعيد وكان لتيهرت في المملكة الرستمية

(١) عدم انصافه هو وجوده أو اماله ذكر ما كان لهم من الاخبار الحسنة وما كان ملكهم الذي شهد به المؤرخون من الصيت في تاريخه الطويل العريض الممدود في مقدمة التواريخ الاسلامية فهو أولى بأن يوجد فيه ما ذكره غيره من المؤرخين عن الاباضية ولا نظن به الجمل بأخبارهم لانه ممن نشهد له كما شهد له غيرنا بسعة الاطلاع وكثرة النقل مع أنه مغربي * على أنه قد يشير احيانا اليهم بعض اشارات بدون بسط في الكلام فاماله أخبارهم وذكره بعضها مفرقا بحيث يصعب جمعها منه لا بد وأن يكون لامر في باله يعلمه الله ولعل له عذرا فلا لوم عليه والله اعلم

(٣) قاعدة المملكة أو الاقليم هي مدينته العظيمة التي يكون فيها كرسي الملك (٣) أراد بالمنبر المسجد الجامع الذي يقيم فيه الامام (الخليفة) او وكيله الجمعة وأما ما سواه من المساجد ففيها كثير كما نص عليها ابن الصغير

صيت عظيم * وبها كان كرسي ملك الياضبة اهـ ثم رسم لها جدد ولا كغيرها
بين فيه طولها وعرضها (١) واقليمها هكذا

طول	عرض	الحقيقي	العربي
عدد الاسماء المنقول عنهم	درج	دقائق	الاقليم
اطوال	كه	ل	كط
١٩ تاهرت	بعضهم	من	من
		الثالث	القرب
		الاقليم	الاقليم

من الملباب (تاهرت) بفتح التاء المثناة من فوق وألف وهاء وسكون الراء
المهملة وفي آخرها تاء ثانية * وفي خط ابن سعيد عوض الالف ياء مثناة من
تحت وهو الاصح عندي لان ابن سعيد مغربي فاضل

* ثم قال عن ابن حوقل وتيهرت مدينة كبيرة خصبة كثيرة الزرع

(١) (طول البلد) هو بعده عن منتهى العمارة من جهة الغرب وهو من ألقاظ
المنجمين مستنبط من آراء اليونانيين قال الجوسيه الا ان في هذه النهاية بينهم اختلاف
فان بعضهم يبتدئ بالطول من ساحل بحر اوقيانوس الغربي وهو البحر المحيط وبعضهم
يبتدئ به من سمت الجزائر الواقعة في البحر المحيط قريبا من مائتي فرسخ تسمى
جزائر السعادات والجزائر الخلدات ولهذا ربما يوجد للبلد الواحد في الكتب نوعان
من الطول بينهما عشر درج فيحتاج في تمييز ذلك الى فطنة ودربة وهذا كله
عن أبي الريحان اهـ

وأما (عرض البلد) فهو بعده عن خط الاستواء نحو الشمال قال الجوهري لان البلد
والعمارة في هذه الناحية ونحاذيه قوس عظيمة شبيهة به واقعة بين سمت الرأس وبين
معدل النهار ويساويه ارتفاع القطب الشمالي فلذلك يعبر به عنه ونحطاط الجنوبي وان
ساواه أيضا فانه خفي لا يشعر به وهذا كلام صاحب التفسير اهـ

وقد قيل ان كوره تهرت من افريقية وهي غربي سطيف (١) وهي كانت قاعدة الغرب الاوسط وكان بها مقام بني رستم ملوك المغرب الاوسط حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين الذين صاروا ملوك مصر (٢) وقال في كتاب الاطوال * تاهرت العليا طولها وعرضها كما ذكر ثم قال * تاهرت السفلى طولها (كو) وعرضها (كط) فدل على ان هناك مكانا آخر يسمى تاهرت كما نقلناه عن المزني في الهامش وقال في القانون * وتاهرت في السفلى طولها (يطن) وعرضها (لديه) قال الادريسي وتهرت كانت فيما سلف مدينتين كبيرتين والقديمة على جبل ليس بالعالي ولها سوق اه كلام المؤيد وقد نقله برمته صاحب أوضح المسالك فلا حاجة الى نقله *

وقال صاحب الاستبصار المؤلف سنة ٥٨٧ هـ المطبوع بالمطبعة الأوسترابوية في مدينة (وين) من بلاد الافرنج سنة ١٨٥٢ بصحيفة ٦٦ * مدينته تاهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر (أي حجر) ولها قصبة منيعة تسمى المعصومة (٣) وهي في سفح جبل يسمى قرقل

(١) مدينة من عمل الجزائر مشهورة عامرة بها من الاباضية بني ميزاب جماعة معتبرة لهم بأنواع التجارة معرفة تامة وفيهم رجال محترمون كافي غيرها من المدن

(٢) يعني بهم الشيعة الذين كان ملكهم بالمغرب وامتد الى مصر وهم الذين أنشأوا الجامع الازهر المشهور في اقطار الارض بلمه ويظهرهم اقرضت دول الغرب كلها كما سيأتي ان شاء الله

(٣) في هذا الاسم ما يدل على القوة التي كانت بهذه المدينة وقضبتها فان المعصمة لغة المنعة فقد طابق اسمها وصفها

وهي على نهر يأتيا من ناحية المغرب يسمى مينة ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس (١) منه تشرب أرضها وبساتينها وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا ومطعما ورائحة وبلد تاهرت شديدة البرد كثيرة الغيوم والتلج اه وقد ذكر ابيات ابن حماد وحكاية السودان وحكاية الحاج * وسيأتي كل ذلك في كلام غيره قريبا * ان شاء الله *

وأما أبو اسحاق الفارسي المعروف بالكرخي من علماء صدر المائة الرابعة للهجرة فانه اعتبر تاهرت * قسما عظيما عند تقسيمه المغرب في تاريخه المأخوذ من كتاب صور الاقاليم للبلخي المطبوع بمدينة (ليدن) الا فرنجه سنة ١٨٧٠ وهاذا نص كلامه بالحرف الواحد * قال *

* واما المغرب فهو نصفان يمتدان على بحر الروم نصف من شربه ونصف من غربه * فأما الشرقي فهو * برقة * وافرقيقة * وتاهرت * وطنجة * والسوس * وزويلة (٢) وما في أضفاف هذه الاقاليم * واما الغربي فهو * الاندلس اه *

(فبعلم من كلامه هذا أن في عصره من أشهر ما كان من المدن العظيمة بالمغرب * مدينة تاهرت * اذ لم يذكر في التقسيم فاس ولا الجزائر ولا مراکش ولا عنابة (٣) ولا غيرها من المدن الكبيرة في هذا العصر وان ذكر بعضها في أثناء

(١) في بعض التواريخ بالتون كما هنا وفي بعضها بالتاء

(٢) أراد زويلة الغرب الاقصى كما هو واضح لا (زويلة) القريبة من (ودان)

في قبلة طرابلس العاصره في صدر الاسلام بالاباضية كما بين في محله

(٣) فاس هي قاعدة ملك الدولة المراكشية الآن وهي من أشهر وأعظم

سردہ البلاد ثم قال *

واما * ناكورة * وجزيرة بني مزغنا * في مدن وقرى قريية من * تاهرت *
الاعلى * ومدينة كورة (١) * تاهرت * اسمها تاهرت * وهي مدينة
كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه * وبها الاباضية وهم الغالبون عليها
* وسجلداسة (٢) مدينة وسطية من حد * تاهرت * الا انها منقطعة لا يسلك
اليها الا في القمار والرمال الى ان قال ويقال ان كورة * تاهرت * باسرها من
افريقية الا انها مفردة بالاسم والعمل في الدواوين (وقال في صحيفة ٤٥)

مدن الغرب الاقصى في هذا العصر وقد بناها ادريس بن ادريس بعد (تيهرت)
ب نحو خمسين سنة أي عام ١٩٢ وفي سنة ٢٤٥ خصصت فاطمة بنت محمد الفهري
الموارى القيرواني جابا من المال وكانت غنية وبنت به مسجد القرويين المشهور
بناس ولعلها كانت اباضية لان هواره اباضية
وفي سنة ٣٤٥ اختط احمد بن سعيد البفري صومعتها (وهو اما صفري أو اباضي)
ذكر ذلك ابن خلدون في ١٥ من الجلد ٤ *

ومن مدنها الشهيرة طنجة على البحر وأما مراکش فقد اختطها يوسف بن
تاشفين سنة ٤٥٤ وذلك بعد خراب تيهرت بعدة والسلطان يسكن مدة بناس ومدة
بمراكش كما بقعل خديوي مصريينها وبين اسكندرية * وأما الجزائر فسيأتي
الكلام عليها * وأما عنابة * ويقال لها (بونة) من قديم كما هو عند الافرنج الآن
فدنة مشهورة قديمة وفيها كما في الجزائر ومدنها كافة من تجار الاباضية
بني ميرا ب رجال لهم اليد الطولى في ضروب التجارة أولو شهامة
والمجاد في الرأي

(١) الكورة اسم لكل صقع أي ناحية تشتمل على عدة قرى ولها قصبة أي
مدينة ينسب ذلك الصقع اليها كما هنا

(٢) سيأتي الكلام على سجلداسة مفصلا لانها من مواطن الاباضية قديما

وكان ملوك افريقية وبرقة اولاد الأغلب وملوك طنجة اولاد ادريس
وبينهم وبين افريقية تاهرت الشراة (الاباضية) وهم الغالبون عليها
اه باختصار قليل *

وقال ابوبكر القزويني في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج بصحيفة ١١٣ *
تاهرت اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحدهما تاهرت
القديم والاخرى الحديث وهما كثيرتا الاشجار وافرنا الثمار سفرجلها
يفوق سفرجل الآفاق طما وحسنا وبهما كثرة الأمطار والأنداء والضباب
وشدة البرد قلما ترى الشمس بها اه وذكر ايضا حكاية السودان الآلية *

* وأما المؤرخ أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي صاحب المعجم
المطبوع ببلاد الافرنج فانه أطنب فيها الكلام ووضح مايتضبه المقام
* وأجاد في ذلك وان كان فيه بعض تكرار لما تقدم اذ قال في صحيفة ٨١٣ من
المجلد الاول *

تاهرت بفتح وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان اسم لمدينتين
متقابلتين بأقصى المغرب يقال لاحدهما تاهرت القديمة
والأخرى تاهرت المحدثه بينهما وبين مدينة المسيلة (١) ست مراحل وهي
بين نلسان وقلمة بني حماد وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار

(١) اختطت المسيلة على قول ابن خلدون في ٨٢ من الجزء ٤ سنة ٣١٥ بمدا
انقراض دولة بني رستم من ثهرت بقليل وذكر الحموي انها كانت تسمى الحمدية
اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي الشيعي وهو ولي عهد أبيه * وأما (قلمة بني حماد)
فمدينة منيعة جدا اختطها حماد بن محمد من آل زيري يحيل كتامة المروف بجبل
عجيسة سنة ٣٩٨ على قول ابن خلدون ايضا في ١٧١ من الجزء ٦

حتى أن الشمس بها فل أن ترى ودخلها اعرابي من أهل اليمن يقال له أبو هلال ثم خرج الى أرض السودان (مع ركب التجار) فأثى عليه يوم له وهيج وحر شديد وسوم في تلك الرمال فنظر الى الشمس مضحية (١) راكدة على قم الرأس وقد صهرت الناس فقال مشيرا الى الشمس أما والله لئن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت وأشد *

﴿ ما خلق الرحمن من طرفه ﴾ * أشهى من الشمس بتاهرت ﴿
 • وذكر صاحب جغرافيا أن ﴿ تاهرت ﴾ في الأقليم الرابع وأن عرضها ثمان وثلاثون درجة * وهي مدينة جليلة وكانت تسمى قديما عراق المغرب ولم تكن في طاعة صاحب إفريقية ولا بلغت عساكر المسودة اليها (٢) قط ولا

(١) أى كائنة في وقت الضحاء وهو عند ارتفاع النهار الأعلى كما قاله المختار ولذلك وصفها بقوله راكدة أى ساكنة وذلك لأن الشمس في وقت الزوال تظهر للناظر غير متحركة أو بطيئة السير بخلاف ما اذا كانت صاعدة في شرقها أو نازلة في غربها فانها تظهر سريرة السير والحال ان سيرها في الحالات الثلاث واحد وليس هناك صعود ولا هبوط ولا وقوف في الواقع وإنما ذلك في الظاهر فقط بالنسبة اليينا بل بالنظر الى سكان الأرض كافة يصدق عليها في كل دقيقة مثلا انها مشرقة ومغربة وزائلة وهذا أمر واضح وقوله صهرت معناه أذابت وذلك لشدة حرارتها ذلك الوقت ومنه قوله تعالى * يصهر به ما في بطونهم أى يذاب والله أعلم

(٢) لفظ المسودة مذكور بكثرة في سير الشماخي رحمه الله وطالما سألت عنه من قبل طلبة عصرنا ولم أجد من يشرح لى معناه وغاية ما يقولونه انه اسم لقبيلة كانت في ذلك الوقت وفاتني ان أسأل عنه شيخني أو والدي حفظهما الله وتعلق خاطري به لما أراه لهم فيه من الوقائع الدالة على قوتهم لم أقنع بأنهم قبيلة فقط ولا ذات ابحت حتى وقفت على تفسيره بيني العباس في تاريخ ابن مسكويه في أما كن

دخلت في سلطان بني الاغلب وانما كان آخر ما في طاعتهم مدن الزاب
(١) وقال ابو عبيد * مدينة تاهرت * مسورة لها اربعة ابواب * باب الصفا *
وباب المنازل * وباب الاندلس * وباب المطاحن * (٢) وهي في سفح

متعددة منها قوله لما رأى المأمون انكار بني العباس وغيرهم عليه (وهو منهم) ببغداد
حتى اخرجوا (عامله) الحسن بن سهل منها كانه أراد معا كستهم باخراج الخلافة منهم
فأصدر امره سنة ٢٠١ في رمضان بلبس الثياب الخضراء بدل الثياب السود التي
كانت من شعارهم وبها سمووا بالمسودة وأعلن بأنه جعل علي بن موسى بن جعفر
من ذرية هلي ولي عهده اه المراد منه

(١) بهذا يعلم أن ما بين الزاب وبين قاس وسجلاسة كله داخل في دائرة
تيهت وما فيه من المدن والقرى كله تابع لما ما علمناه وما لم نعلمه فالمدن الآتية
في كلام العلامة البنا هي بعض من ذلك وانما خصصها بالذكر لشهرتها لا غير والله أعلم
(٢) ما ألطف هذه الاسماء وما أحسن هذا التقسيم المحكم الذي لم يدع للازدحام
مجالاً اذ خصص لكل شغل من هذه الاشغال الاربعة التي عليها مدار حركات
الناس باباً فالذين ينقلون أنواع الحبوب كالشعير والقمح لاجل الطحن ويردون
دقيقاً لهم * باب المطاحن * والغالب علي هؤلاء كثرة القيل والقال والعيان لما أن
أكثرهم مادة خدم وممالك وأتباع لآحياء لهم * والذين يريدون السفر أو عبور
البحر الى الاندلس من التجار وغيرهم لهم * باب الاندلس * وهم في الغالب أصحاب
همم ونزاهة والمشتغلون بالعمل في البساتين لهم * باب المنازل * والذين يريدون النزهة
والرياضة البدنية وتسليّة النفس لهم * باب الصفا * فلا يكدرهم حنين المودعين ولا أنين
المفارقة ولا حاجة المهنتين للمسافرين * باب الاندلس * ولا تصدعهم عريضة الداهيين
وصيحات الراجمين * باب المطاحن * ولا تعلمهم غيرة ازدحام الداخلين والخارجين
الى المنازل من العمالة بحميرهم وبهائمهم ورجالهم وأرباب المنازل بخيلهم وبراديرهم
باب المنازل * وبهذا يعلم ما كان في هذه المدينة من حسن الانتظام والترتيب ولا تخلو
من منزهات والمشهور منها منتزه الامير الآتي ذكره في كلام ابن الصغير

جبل يقال له جزول لها قسبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهي على
نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبتها ونهر آخر يجري من عيون
تجتمع تسمى تانس (بالضم) ومنه شرب أهلها وأرضها وهو في شريقها وفيها
جميع الثمار وسفر جلها يفوق سفر جل الآفاق حسنا وطما وهي شديدة البرد
كثيرة النجوم والثلج قال بكر بن حماد أبو عبد الرحمن وكان بتاهرت من حفاظ
الحديث وثقات المحدثين المأمورين سمع بالشرق ابن مسدد وعمر بن
مرزوق وبشر بن حجر * وبافريقية ابن سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها
توفي وهو القائل *

﴿ ما أخشن البرد وريمانه * وأطرف الشمس بتاهرت ﴾

﴿ تبدو من النسيم اذا ما بدت * كأنها تنشر من تحت ﴾

﴿ تفرح بالشمس اذا ما بدت * كفرح النعم بالسبت ﴾

(وسياقي زيادة كلام عليه في باب العلماء المنسوين الى تاهرت)

* قال ونظر رجل الى توفد الشمس بالحجاز (وهو من أهل تاهرت

ذهب حاجا) فقال (مخاطبا للشمس) احرفي ما شئت والله انك بتاهرت

لذيلة قال وهذه تاهرت الحديثة وهي على خمسة اميال من تاهرت القديمة وهي

حصن ابن بخانة وهو شرقي الحديثة ويقال انهم (اي عبد الرحمن ومن

معه) لما ارادوا بناء (أي تجديد) تاهرت القديمة كانوا يبنون بالنهار فاذا

جن الليل واصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم (١) فبنوا حينئذ تاهرت السفلى

(١) لم يذكر هذه الحكاية أحد من أصحابنا وهي من الغرائب وانظر ما

حكمة الله في ذلك وهي مما يؤيد القول بوجود الملائكة والجن والا فن القائل

لذلك بأمر الله على مذهب المنكرين حيث لا زوال ولا رجة اذ ذاك هناك

وهي الحديثة وفي قبلتها (لبائل) لواتة وهوارة * في قرارات وفي غربها
 زواغة * وبجنوبها مطاطة * وزانة * ومكناسة . وكان صاحب (أي حاكم)
 تاهرت (القديمة) ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام
 وبهرام مولى عثمان بن عفان (١) وهو بهرام بن بهرام جور بن شاپور بن بان
 كان بن شاپور ذي الاكتاف ملك الفرس وكان ميمون هذا رأس الاباضية
 وامامهم . ورأس الصفرية . والواصلية . وكان يسلم عليه بالخلافة وكان يجمع
 الواصلية قريبا من تاهرت وكان عدد هم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت
 الاعراب يحملونها وتعاين مملكة تاهرت بنو ميمون (٢) واخوته الى ان
 قال مينا على اكمل وجه سبب بنائها وكيفيته هكذا .

(١) المولى هو الممتق بالفتح ولله أخذ أسيرا لما فتحت فارس وأعتقه عثمان
 فسمعان المزعز المذل وسيأتي زيادة كلام في هذا النسب
 (٢) لعله أراد عبد الوهاب بدل ميمون والا فيميون لم يتول الامامة حتى
 يسلم عليه بالخلافة والذي كان رأسا لمن ذكره من الصفرية والواصلية وغيرهم هو عبد
 الوهاب وبشهادة هذا المؤرخ مع ما تقدم وما سيأتي مما فيه تليق بني رسم بالخلفاء
 والملوك يعلم بطلان قول بعض المتأخرين من ارباب التاريخ بأن بني رستم لم يلبثوا
 درجة الخلافة والملك ولا ندرى ما ذا صنع في تلك الملايين من الناس التي كانت
 تدين بطاعتهم وتمتع بملهم ولا في تلك العساكر التي كانت تؤلف بمآت الالوف
 تحت كلمتهم ولوائهم وان يكن جاهلا ذلك فما الحامل له على الدخول في باب لا يتقنه
 حتى يتكرر كلاما لم يسبق اليه * والواصلية والصفرية فرقان مشهورتان من فرق
 الاسلام لا وجود لهما الآن بالمغرب وتوجدان بالشرق كجزيرة العرب وبالنجار
 بكثرة كما توجد فرق الازارقة والشجدية والزيدية والمعتزلة والشيعة وغيرها وبين السكل
 تنافر دائم كما تنفر كلها من مذهب الاباضية ومذاهب الاشعرية الاربعة نفورا كليا

• فاجتمعت اليه **عبد الرحمن** في الاباضية واتفقوا على تقديمه
وبنيان مدينة تجمهم فنزلوا موقع تاهرت اليوم وهو غيضة اشبة (١)
ونزل عبد الرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء (٢) فيه فقالت البربر
نزل تاهرت وتفسيره الدف لتريمه (٣) وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم

نظرا لتباين المشارب في بعض المعتقدات الدينية التي تركت الاسلام أشتاتا وأحزابا
حتى صارت مضغة سهلة للطامعين من الافرنج والامر لله سنة الله التي قد خلت
من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا

(١) الغيضة بالفتح محل تجتمع فيه المياه من اودية أو عيون فنبت فيه الشجر
وهي لنة أيضا الغابة كما هو مشهور على السنة العامة الآن وقوله اشبه بفتح الشين
اي ملتفة مشتبكة لكثرتها واجتماعها من أصناف الشجر عظيمه وصغيره وفي القاموس
أشب الشجر كفرج التف • قال • وفي حديث ابن ام مكتوم بيني وبينك أشب
(بفتح الشين) معركة يريد النخل الملتفة اه

(٢) الشعراء شجر الحمض وهو كل شجر مالح أو مر في طعمه وضرب من
الطوخ جمعها كواحد ومن الارض ذات الشجر أو كثيرته ذكر ذلك صاحب
القاموس فقوله لا شعراء فيه أي لا شجرة وانظر حكمة الله اذ جعل بين تلك الاشجار
الملتفة والغابة العظيمة هذا الموضع فضاء حتى امكتهم الإقامة والصلاة فيه الى ان
تم شغلهم صنع الله الذي اتقن كل شيء واذا أراد تمام أمره لا اسبابه

(٣) الذي يؤخذ من هذا الكلام ان اسم ثيهر لم يكن موجودا قبل نزول
الامام عبد الرحمن بهذا المكان وقد تقدم انه اسم للتدعية وهو الذي يقرب صحته
العقل لما تقدم وما سيأتي • وذكر الشماخي رحمه الله في صحيفة ١٢٥ أنها تسمى
أيضا (تاقدمت) ولم نره لغيره الا اني وقفت في (الكتبخانة) المصرية الخديوية
على الصناديق التي صفت فيها تحت صفائح الزجاج القود المضروبة بأسماء الملوك
والمدن قديما وحديثا لا اطلاع الناس عليها وفوق كل حملة منها ورقة صغيرة توضح

هناك فلما فرغ من الصلاة ثارت صيحة شديدة على اسد ظهر في الشعراء
فأخذحيا وأوتي به الى الموضع الذي صلى فيه وقتل فيه (١) فقال عبد الرحمن
ابن رستم هذا بلد لا يفارقة سفك دم ولا حرب ابداً (قال ذلك بعد ان
نظر نظرة في النجوم كما ذكره المراكشي في تاريخه

وابتدأوا في تلك الساعة وبثوا في ذلك الموضع مسجداً وقطعوا
خشبه من تلك الشعراء وهو على ذلك الى الآن (يعني وقته) وهو مسجد جامعها
وكان موضع تاهرت ملكا لقوم مستضعفين من مداسة وصنهاجة *
فأرادهم عبد الرحمن على البيع فأبوا فوافقهم على أن يؤدوا لهم الخراج من
الاسواق ويبيعوا لهم أن يبنوا المساكن فاختلفوا وبثوا وسماوا الموضع
معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم (٢) وقال المهدي بن أشير وتاهرت

ما في ذلك المضروب من التاريخ والاسم * وقد رأيت فيها عملة نحاسية صغيرة
لا اتقان في نقوشها فوقها ورقة فيها هكذا (تاقدمت ١٢٥٥) وبجانبها ورقة أخرى
فيها اسم الامير عبد القادر الجزائري المشهور القائم على فرنسا بعد دخولها لقطر الجزائر
وقد بنى تيهرت بعض بناء لما نوى أن يجعلها مركزا لحكومته ولم يطل أمره ولعله
ضرب تلك العملة لما كان هناك وهو صاحب علم واطلاع والله أعلم

(١) لا معنى للاتيان به حيا الى مكان الصلاة وقتله فيه لما ورد من النهي عن
قصد تنجيس البقاع المعدة للاجتماع مطلقا وبالخصوص المعدة للصلاة والتي
رأيت في تاريخ ابن عذارى المخرابي فيما أظن ان الاسد خرج عليهم وبعد محاوره
بينه وبينهم اتفق قتله في مصالحهم فالقتل هناك غير مقصود ولكوني اطلمت على
هذا الكلام قبل ان يخطر ببالى تحرير شيء من هذا فاتني نقله بالحرف

(٢) الذي يسمى الآن بالمعسكر مدينة غير تيهرت الا أنها قرية منها وسباني
الكلام عليها

اربع مراحل وهما تاهرتان القديمة والحديثة ويقال للعديثة تاهرت عبد الخالق ومن ملوكها بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ومن ينسب إليها أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد عبدالله التميمي البزاز التاهرتي . روى عن قاسم بن أصبغ . وأبي عبد الملك بن أبي دكيم . وأبي أحمد بن الفضل الدينوري . وأبي بكر محمد بن معاوية القرشي ومحمد بن عيسى بن رفاعة . روى عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره انتهى معجم * وسند كر بعد هذا الباب جماعة من أهل العلم المنسوبين الى تاهرت ان شاء الله *

* واما العلامة أبو عبد الله البنا المعروف بالبشاري الحنفي من علماء المائة الرابعة من الهجرة فانه الف تاريخاً سنة ٣٧٥ وطبع بمدينة ليدن من بلاد الافرنج سنة ١٨٧٦ قال في أوله هكذا . وتجنبت الكذب والطغيان . وتحوزت بالحجج من الطعان . ولم أودعه المجاز والجمال . ولا سمعت الا قول الثقات من الرجال . واعلم اني مع هذه الوثائق والشروط لم اظهره حتى بلغت الاربعين . ووطيت جميع الاقاليم وخدمت أهل العلم والدين اه وقد ذكر اصطلاح المؤرخين في معنى الامصار وذ كر اصطلاحه الذي جرى هو عليه في كتابه فقال *

* واما نحن فاجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الاعظم . وجمعت اليه الدواوين . وقلدت فيه الاعمال . واضيف اليها مدن الاقليم .

ثم قال في صحيفة ٤٧ واعلم اناجعلنا الامصار كالملوك والتعصبات كالحجاب والمدن كالجند . والقرى كالرجال ثم ذكر في صحيفة ٤٨ تاهرت من الإمبراطور

فيصدق عليها حيثئذ أنها بلاد سلطان عظيم جمعت اليه الدواوين الى آخره وقال في صحيفة ٥٦ عند ذكر الحجاب اكل معر هكذا.

* لبرقة . ومادة . طرابلس * اجداية الى آخر ما ذكره لها *
للقيروان . صبره . صفاقس * المدييه . سوسة . تونس . الى آخر ما ذكره لها
أيضاً ثم قال .

واتيهرت يمة * تاغليسة . قلعة ابن الحرب . خراة . (٣) الجبلية . غدير .
الدروع . لمايه . منداس . سوق ابن جبلة . معطاطة . جبل تيجان . وهران .
شلف * طير الفزة * سوق ابراهيم . رهايه . البطحة . الزيتونه . تمنايمود
الخضراء * وارين . تنس * قصر الفلوس . بحريه . سوق كرى . منجصة .
اوزكى * تيرين . سوق بن مبلول . ربا . تاويلت ابي مغول . تامزيت . تاويلت
لغو . افكان . (وبها نهر يأتي الى تاهرت) انتهى . (١)

فهذه ما يقارب اربعين مدينة غير ما سيزيده * نسبتها الى تاهرت
كنسبة صفاقس . وتونس الى القيروان وكنسبة طرابلس . واجداية الى
برقة . بمعنى ان كل واحدة من هذه المدن تعتبر كركز ولاية صغيرة أو متصرفية
كبيرة باصطلاح عصرنا بدليل تقسيمها الى عدة ولايات بعد انقراض امامة
بني رستم منها * فافكان * وتاهرت نفسها كانت ليعلى بن محمد اليفرنى وأشير *
وأعمالها لثري بن مناد الصنهاجى و * المسيلة * وأعمالها لجعفر بن علي الاتدلسي

(١) أغلب هذه الاسماء بربرية لأنها لمواطن البربر ولذلك وقع للمؤرخين
اختلاف كثير في رسمها فكتب بعضهم أجداية بالذال المعجمة وبعضهم خراة
بالهاء بدل الخاء وبعضهم افكان بياء قبل الفاء وغير ذلك وما رسمناه هنا هو الذى
اتفق فيه أكثرهم على ما رأيناه

و « باغاية » واعمالها لقيصر الصقلي (١) الى غير ذلك مما ذكره المؤرخون ومنهم ابن خلدون فانه قد ذكر بعض ذلك في صحيفة ٤٦ من المجلد الرابع ولولم تكن كذلك لما قام بها ملك قاهر كهذا ودام رغما عن تلك الفتن والحروب الواسيلة وغيرها

« وبهذا يظهر للقاريء ما كان لتاهرت من اتساع الدائرة وما كان لبني رستم فيها من عظيم الملك ولا سيما اذا فكر فيها هونت تحت نفوذهم قوة أو فعلا من سرت الى أرض الجريد و سنيين ذلك واذ ذاك لا يستعظم ولا يشك فيها سينبئ عليه من الكلام الآتي منقولاً عن المؤرخين أرباب الاطلاع والتحقيق ومن أمعن الفكر في كلام هذا المؤرخ وقاعدته التي أسسها وهي قوله واما نحن فجعلنا المصر الى آخره يظهر له الامر جلياً (٢) ثم قال والله

(١) ربما يقول قائل ان بعض المؤرخين ذكر بعض هذه المدن في اقليم افريقيا وبعضها في اقليم فاس أو سنجلماسة مثلاً وان بعضها انما أسس بعد انقراض دولة بني رستم فلا يصدق عليها انها دخلت في ملكهم « فنقول ان ما ذكره هذا المؤرخ اقرب الى الصحة لقرب عهده ببني رستم بخلاف غيره فان أغلبهم متأخروا كثيراً حرروه على هذه الجهات تلقوه عن غيرهم بمجرد السماع والنقل على انه يمكن دخول هذا البعض تحت غيرهم في مبدىء ظهور دولتهم قبل اتساع خطتها أو في آخرها عند تفقرها كما سأتى وما كان من المدن حادثاً بعد انقراضها فالمراد بذكرها بيان ان موقعها وما يليه من البلاد كان في طاعتهم وعلى هذا يحمل كلام من خالف هذا المؤرخ من المؤرخين والله أعلم فليحرر

(٢) وجه ذلك هو أن المصر في اصطلاحه يطلق على المدينة التي بها كرسي المملكة كالأستانة الحالية الآن وقد سمي تيهرت مصر « وان الحجاب في اصطلاحه يطلق على مراكز الولايات كطرابلس الآن وكولاية الحجاز ولايات الشام

دوره في انصافه وتقريره الحق كما عرفته ورآه او حققته عن ارباب المعرفة
والصدق مانصه * اقليم المغرب هذا اقليم بهي * كبير سري * كثير المدن
والقرى * وعجيب الخصاص والرخا * به ثنور جليلة * وحصون كثيرة *
ورياض نزهة * وبه جزائر عدة * مثل الاندلس الفاضلة العجيبة * (تاهرت) *
الطيبة النزيهة * وطنجة البلدة البعيدة * وسجلماسة المختارة الفريدة * واصقلية
الجزيرة المفيدة * الى ان قال فأول كورة من قبل مصر برقة ثم افريقية
ثم (تاهرت) * ثم سجلماسة * ثم فاس * ثم السوس الانصى * ثم جزيرة
اصقلية *

ثم طرب قلعه السابح في لجة معارفه اليقينية * واستخرج من مكنون
جواهره كل يتيمة نقيه * واندفع بسطن على صنمحات الطرس ماعله لهذه
المدينة الزهراء من الفضائل والكمالات * مترددا في قضيلها على دمشق
الشام وموطبة الاندلس ذات المآثر الباهرات * واليك ما طرزه وحقه ان
ينظم باللاك * قال لله رجل انصف وما حاد عن الحق اذ قال (تاهرت) *
هي اسم القصبة ايضا وهي بلخ المغرب قد احدثت بها الانهار * والفتت بها
الاشجار * وغابت في البساتين * ونبت حولها الأعين * وجل بها الاقليم *

بالنسبة الى الاستانة وقد ذكر تلك المدن كلها من الحجاب لتبهرت فيلزم أن تكون
بمقام ولايات في اصطلاح عصرنا وان كان بعضها أكبر من بعض وأكثر في
ال عمران كما هو الحال الآن في ولايات كثيرة ولا يقال ان بالنظر الى قربها من بعضها
بعض يظهر انها لا تكون كذلك اذ لا يكون في دائرة كل واحدة من الانفس والعمارات
ما يخول لها درجة ولاية أو متصرفية لأن من نظر الى مديريات مصر والاسكندرية
مثلا وتعار بها لا يستبعد ذلك هناك وجود تلك الانهار الجارية والعيون السائلة والادوية
الكيرة والاعداد الكثيرة من القبائل المولفة من الآلاف والله أعلم

وانتمش فيها الغريب * واستطابها اليبس * يفضلونها على دمشق واخطوا
وعلى قرطبة (١) وما ظنهم اصابوا * هو * اقليم تاهرت * بلد كبير كثير الخير

(١) أما دمشق فقد سميت باسم بانيتها دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ
ابن سام بن نوح وقيل غير ذلك * وقد أقسم سبحانه وتعالى بحبائها في قوله (والذين)
قال كعب هو الجبل الذي عليه دمشق والزيتون هو الجبل الذي عليه بيت المقدس
وطور سيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام والبلد الأمين هو مكة
وقال الاصمعي جنات الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الأبله وقد فتحت
دمشق سنة ١٤ من الهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومما قاله
البحري الشاعر المشهور فيها قوله

(أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقد وفي لك مطرها بما وعدا)
(إذا أردت ملائ العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا)
(تسمي السحاب على أجبائها فرقا * ويصبح النور في صحرائها بددا)
(فلست تبصر الا واكفا خضلا * وإنا خضرا أوطائرا فردا)
(كانا القبط ولي بعد جيشه * أو الربيع دنا من بعد ما بعدا)
* ومما قاله فيها أبو تمام الشاعر *

(لولا حدائقها وأني لا أرى * عرشا هناك غلنتها بلفيسا)
(وأرى الزمان غدا عليك بوجهه * جذلان يساما وكان عبوسا)
(قد نورت تلك البطون وقد سمت * تلك الظهور بقربه تقديسا)

ذكر هذا صاحب مختصر البلدان وقال * ولما أراد الوليد بن عبد الملك بناء
مسجد دمشق دعا نصارى دمشق فقال أنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيسةكم هذه
ونعطيك موضع كنيسة حيث شئتم فحذروه ذلك وقالوا انا نحمد في كتابنا انه
لا يهدمها أحد الا وحق فقال الوليد فأنا أول من يهدمها فقام عليها وعليه قباء أصفر
فهدمها بيده وهدم الناس معه ثم زاد في المسجد فلما هدمها كتب اليه ملك الروم
انك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فان كان حقا ما علمت فقد أخطأ أبوك

رحب * رفق * طيب * رشيقي الاسواق * غزير الماء * جيد الالاهل * قديم
الموضع * محكم الرصف * عجيب الوصف * غير أنه متى يقاس المغرب

وان كان باطلا قد خالفت أباك فلم يعرف الوليد جوابا فاستشار الناس وكتب الى
العراق فقال الفرزدق أجبني يا امير المؤمنين بقول الله عز وجل * وداوود وسليمان
اذ يحكما في الحرث اذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما * وكتب اليه الوليد بذلك فلم يجبه والوليد ممن زاد في المساجد
وبناها فبنى المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد قبا ومسجد دمشق وأول من
حفر المياه في طريق مكة الى الشام وأول من عمل البيمارستانات للمرضى وكان في
ذلك انه خرج حاجا فمر بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدخله فرآى بيتا ظاعنا
في المسجد شارعا بابه فقال ما بال هذا البيت قبيل هذا بيت علي بن أبي طالب
أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم وردم سائر أبواب أصحابه فقال ان رجلا نفعته
على متابري في كل جمعة نقر بابه ظاعنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
بين الابواب اهدم يا غلام فقال روح بن زنباع الجذامي لا تفعل يا امير المؤمنين
حتى تقدم الشام ثم تخرج أمرك بتوسيع مساجد الأمصار مثل مكة والمدينة وبيت
القدس وتبني بدمشق مسجدا فيدخل هدم بيت علي بن أبي طالب فيها يوسع
من مسجد المدينة قبيل منه وقدم الشام وأخذ في بناء مسجد دمشق وأنفق عليه
خراج الملكة سبع سنين ليكون ذكرا له (وهذا مما لا يجوز الشرع قطعا)
وفرغ من المسجد في ثماني سنين فلما حمل اليه حساب نفقات مسجد دمشق
على ثمانية عشر ميرا أمر باحراقها قال في كتاب المسالك والممالك أنفق على
مسجد دمشق خراج الدنيا ثلاث مرات وبلغ ثمن البقل الذي أكله الصنائع
في مدة أيام العمل ستة آلاف دينار وهذا المسجد مقعد بحشرين ألف
رجل وان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقتاديل قال زيد بن واقد وكلي الوليد على
العمال بمسجد دمشق فوجدنا فيه مقارة فرمنا الوليد ذلك قتل في الليل فاذا
هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في مثلها واذا فيها صندوق وفيه سقطة مكتوب عليه

بالشام * وابن مثل دمشق في الاسلام * ولقرطبة اسم وذكر وشأن *
بها (اي تاهرت) جامعان على ثلثي البلد قد بنيا بالحجارة والجيل *

هذا رأس يحيى بن زكرياء فرأيناه فأمر به الوليد أن يجعل تحت عمود معين فجعل
تحت العمود المسقط () الرابع الشرقي و يعرف بعمود السكاسك قال زيد رأيت
رأس يحيى بن زكرياء حين وضع تحت العمود والبشرة والشعرة لم تنفيرا قالوا فن
عجائب مسجد دمشق ان لوبي الرجل فيها مائة مسنة لكان يرى فيها كل وقت
أعجوبة لم يرها قبل وقال كمب لينين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الارض
أربعين عاما والمثناة التي بدمشق كانت ناطورا للروم في كنيسة يحيى فلما هدم
الوليد الكنائس وأدخلها المسجد تركت على حالها وهدم الوليد عشر كنائس وأخذها
مسجدا ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قال اني أرى في مسجد دمشق أموالا
أنفقت في غير حقها فأنا مستدرك ما ادركت منها ورادها الى بيت المال أنزع
هذا الرخام والفسيفساء وأطيه وأنزع هذه السلاسل وأصير بدلها حبالا فاشتد ذلك
على أهل دمشق فخرج أشرفا اليه وكان فيهم يزيد بن سمان وخالد بن عبد الله
القشيري فقال خالد لهم دعوني والكلام قالوا تكلم فلما دخلوا عليه قال له خالد
بلغنا انك هممت بمسجدنا بكذا وكذا قال نعم قال والله ما ذلك لك قال فلن ذلك
لأملك الكافرة وكانت أمه نصرانية فقال ان تلك كافرة قد ولدت مؤمنا فاستحي
هم وقال صدقت وورد على عمر رسل الروم فدخلوا مسجد دمشق لينظروا اليها
فرفعوا رؤوسهم الى المسجد فنكس رؤوسهم وأصفر لونه فقالوا له في ذلك
قال انا كنا معاشر أهل رومة نحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت
ان لهم مدة سيلفونها فأخبر عمر بذلك فقال أرى مسجدكم هذا غيظا على الكفار
فترك ما هم به من أمر المسجد والمسجد ميبني بالرخام والفسيفساء مسقف بالساج
منقوش بالازورد والذهب والحراير مرصع بالجواهر المثمنة والحجارة المعجبة * وبني
معاوية الخضر بدمشق في زمن عثمان بن عفان وأمر على الشام وهرا بن ثمان وثلاثين
سنة واستخلف وهرا بن ثمان وخمسين سنة وتوفي ثمان وسبعين سنة وهو أول من اتخذ

قربان من الاسواق من دروبها المروفة اربعة درج مجانة درج المعصومة

الحاريب والمقاصير والشرط والحرس والخصيان وأصفى الاموال وقد أنكر قوم بناء الدور والابنية والتفقة والتبذير عليها وهذا طلحة بنى داره بالآجر والقصة وأبوابه ساج وبنى عثمان بن عفان بالحجارة المنقوشة المطابقة وخشب الصنوبر والساج حل له من البصرة في البحر ومن عدن في البحر وحل له القصة من بطن نخل وبنى الزبير أربعة أدور دارا بمصر وأخرى بالاسكندرية وأخرى بالكوفة وأخرى بالبصرة وافق زيد بن ثابت على داره ثلاثين الف درهم ثم قال ودمشق جبل لبنان وهو الذي يكون عليه المباد (بتشديد الباء) والابدال وعليه من كل الثمر والفواكه وفيه عيون كثيرة عذبة اهـ

واما قرطبة بضم أوله وسكون ثانية وضم الطاء المهمله والباء الموحدة فقد قال صاحب المعجم كلمة فيما احسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز ان تكون من القرطب وهو المدور الشديد وقال وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها وكانت سريرا للملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بنى امية ومعادن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع بينهما وبين البحر خمسة ايام قال ابن حوقل التاجر الموصلى وكان طرق تلك البلاد في حدود سنة ٣٥٠ وأعلى مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الاهل وضة الرفعة ويقال انها كأحد جاني بغداد وان لم تكن كذلك فهي قرية منها وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان يشرعان في نفس السور الى طريق الوادي في الرصافة والرصافة مساكن بأعلى البلد متصلة بأسافلها من رصافها وابنتها مشبكة محيطة من شرقها وشمالها وغربها وجنوبها الى ان قال ومن تشوق اليها القاضي محمد بن ابي عيسى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة فقال فيها

(يلم ذكراي من ورقا مفردة * على قضيب بذات الجزع مياس)
(رددن شجواشجا قلبي الحلي قفل * في شجو ذي غربة ناء عن الناس)
(ذكرنه الزمن الماضي بقرطبة * بين الاحبة في هو وايناس)
(هجن الصباة لولامة شرفت * فصيرت قلبه كالجنديل القاسي)

درب حارة القفير (١) درب البساتين * بقرها مدينة تسمى رهاه وقد خربت
وتنس * مسورة على البحر * شربهم من نهر * وكذلك قصر الفلوس *
وتاهرت السفلى على واد عظيم * ذات عين وبساتين * وافكان * مسورة

وينسب اليها كثيرون من أهل العلم والادب ولما ادبر أمرها رثاها

شعراؤها بمرآي كثيرة والله أعلم

وقد نقل الشيخ مقديش وصف جامعها المشهور فقال وبها الجامع الذي ليس
في معمور الارض مثله فيه من السواري الكبار الف سارية وفيه مائة وثلاث عشرة
ثريا للوقيد اكثر مما تحمل الواحدة الف مصباح وفيه من النقوش والرقوم مالا يقدر
على وصفه وبقيته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المهراب سبع قسي قائمة على
عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في وصف جسنها وفي مضادتي
المهراب اربعة أعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديان ليس لهما قيمة وبه منبر ليس
على معمور الارض مثله في حسن صنعه وخشبه ساج وأبنوس وبقص وعود قاقلي
ويذكر في تاريخ بني أمية انه أحكم عمله وقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية
صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة ما صرف على المنبر
أجرة لاغير عشرة آلاف مثقال وخمسين مثقالا وفي الجامع حاصل كبير فيه آنية
الذهب والفضة لأجل الوقود وهذا الجامع أربع ورفات من مصحف عثمان بن عفان
بخط يده وفيه تقطع من دمه وله عشرون بابا مصفحات بالنحاس الاحمر الاندلسي
محزومات تحز بما يعجز البشر وصفه وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه
الصومعة التي هي من عجائب الدنيا ارتفاعها مائة ذراع بالمالكي المعروف بالشراشي
كل ذراع بثلاثة اشباراه بحروفه

(١) في كل ما رأيناه من النسخ (القفير) بتقديم القاف على الفاء ولم نعلم له
معنى مناسباً للمقام ولعله بتقديم الفاء أو بانطاء مكان القاف أو بالعين على لغة العامة
وعلى هذا تكون علة التسمية واضحة وهي وجود مركز للمفخرة بذلك الدرب يجتمعون
فيه ثم يوزعون في أنحاء المدينة بمعرفة رئيسهم كما هو جار الآن بمصر عند كل مغرب

على واد جاز ذات بساتين * ويلل * وجبل توجان * على ما ذكرنا
سواء وهران * بحرية مسورة يلقون منها الى الاندلس في يوم وليلة (١) ترى منها
البرين وهي احد المعابر المشهورة * جبل زلاغ * مدينة على جبل عال يطل
على كورة فاس بناها خلوف بن احمد الملقب * وبقيت المدن اكثرهن مسورات
ذات بساتين انتهى *

وقد ذكرها شمس الدين ابو طالب الدمشقي باختصار في تاريخه ولم
يذكر ما يحتاج الى نقل كما لم يذكر غيرها من المدن الا سرداً *
وعدد الملامه ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار ممالك المغرب
ليفضل عليها ممالك المشرق تعصبا للشرق فلم يذكر من مزايا المغرب الا ما لم
يمكنه انكاره وقال * ويليا اي تونس الغرب الاوسط كان في صدر الاسلام
قد اقتطعه بنو رستم وكانوا اباضية وادعوا الخلافة وكان قطب امامتهم
مدينة تاهرت *

واما المؤرخ ابن الصغير * الملامه الخطير * المالكي الشهير * الذي
بحث في احوال تاهرت عن التغير والقطير * فقد نظم في الثناء عليها المقود
الحسان * ووصف بني رستم ملوكها الاثنا اهل العدل والاحسان * بكل
وصف جميل * وذكر جليل * وسيأتي موزعا في الباب الآتي * عند ذكر
كل امام منهم فانه ظره وكل آت قريب * ولتناسبة هذا المقام تأتي بكلمات
منه وان تكررت بعد ذلك ليعلم منه مشربه ويدرك منه مرمى كلامه قال

(١) في نسخة هكذا (وسبتة على زقاق بحر الاندلس ترى منه البرين الى آخره)
فيؤخذ من هذا ان سبتة قد أتى عليها وقت وهي في دائرة حكم نيهرت وفيه تأمل
لبعد ما عنها جدا وقربها من طنجة والله أعلم

ثم شرعوا (يعني الاباضية تهاوت) في الممارات والبناء واحياء الموات
وغرس البساتين * واجراء الانهار واتخاذ الرعي والمستغلات وغير ذلك
واتسعوا في البلد ونفسحوا فيه وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار
واقاصي الاقطار فقل أحد أن ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى
بين اظهرهم لما يراه من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وأمانه
على نفسه وماله حتى لا ترى داراً الا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان
البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين وممر بهم وهذا مسجد
البصريين وهذا مسجد الكوفيين واستعملت السبل الى بلاد السودان
والي جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة الى ان
قال في حق الامام افلح * وشيخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ ابواباً من
الحديد وبني الجفان واعلم فيها الجيعان وعمرت منه الدنيا وكثرت الاموال
والمستغلات واته الرفاق والوفود من كل الامصار والآفاق بأنواع التجارات
وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع الى آخر ما سيطرق
سمعتك غير بعيد ان شاء الله ولا فائدة في التكرار وقال ابن خلدون في ١٢١
من المجلد السادس فشرعوا (اي الاباضية) في بناء مدينته تاهرت في سفح
جبل كزول السياح على تلول منداس واختطوها على وادي ميناس النامية
منه هيون بالقبلة وتجر بها وبالبطحاء الى ان تصب في وادي شلف فأسسها عبد
الرحمن بن رستم واختطها سنة أربع واربعين ومائة فتمدت واتسعت
خطتها اه

وقال ابن حوقل في المسالك المطبوع بليدن سنة ١٨٧٢ بصحيفة ٦٠
بعد أن وصفها كما تقدم * والتجار والتجارة (بنيهرت) المحدثه أكثر ولهم مياه

تدخل أكثر دورهم وأشجارهم وبساتين كثيرة وحمامات وغانات وهي احد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفرائيد ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الفلات *

وأما ابن عذاري المتري فانه ذكرها في بيانه وخالف في تاريخ تأسيسها كل مارأيته من التواريخ اذ قال في صحيفة ٢٠٣ فاجتمع عليه (اى عبد الرحمن) الاباضية وعزموا على ببناء مدينة تجمعهم فنزلوا بموضع تيهرت وهي غبضة بين ثلاثة انهار فبنوا مسجداً من اربع بلاطات واختلط الناس مساكنهم وذلك سنة ١٦١ وكانت في الزمان الحالي مدينة قديمة فاحدثها الآن عبد الرحمن بن رستم وبقي بها الى ان مات سنة ١٦٨ هـ وهذا تاريخ في وفاة عبد الرحمن وهو مخالف لما هو مشهور وعندنا ولكلام ابن خلدون الآتي وقال ايضا وكانت حول تيهرت بساتين من انواع الثمار كثيرة الاشجار وهي شديدة البرد كثيرة الامطار قليل لبعض الظرفاء من اهلها كم الشتاء عندهم من شهر في السنة قال ثلاثة عشر شهرا هـ

هذا وقد وثقت على ذكرها في كتاب دائرة المعارف ولم يزد على ما سمعته غير بيان المسافة التي بينها وبين وهران باصطلاح هذا العصر وذلك ٢٢٠ كيلو مترا واستظهر انها هي (تنغريا) القديمة التي كانت كرسي اسقفية (١) في القرن الخامس للميلاد (فهي اذا عريقة في الفخر عظيمة الشأن محط رحال

(١) الأسقفية وظيفة مخصوصة برجال الدين عند النصارى وكرسيها هو المدينة أو القصبه التي يقيم فيها الأسقف * والأسقف كلمة عربية وقيل معربة من (ايسكوبوس) باليونانية ومعناها ناظر أو رقيب وكل القاب خدمة الدين عند النصارى هي امامس أصل يوناني كالا سقف والبطريك والشدياق وغيرهم أو من أصل سرياني كالقسيس

المعلماء والرؤساء من رجال الدين من قديم الزمان (وزاد في آيات ابن حماد
 المقدمة بيتا بمد قوله تبدو من النيم الى آخره والبيت هو هذا
 ﴿ فنحن في بحر بلا لجة • تجري بنا الريح على سمت ﴾

نحمد الله على موافقة الحق

ثم وقفت في أثر هذا على عين ما استظهرته في الحاشية قبل هذا

والشاس وغيرها والاسقف بالفرنساوية اذك (وبالانكليزية بشب)
 وهما من اليونانية أيضا وهو في الكنائس البروتستانية في أسوج ونروج والدانمرك
 لقب يلقب به خدمة الدين الا انهم لا يعتبرون من رتبة ممتازة عن غيرهم من درجات
 الكنيسة وقد ذهب بعض البروتستانت الى ان ماورد في سفر أعمال الرسل (١٧: ٢٠)
 و (٢٨) يستفاد منه ان مدلول الاسقف والقسيس واحد واما معلوم الكنيسة الرومانية
 الكاثوليكية ومن واقعهم من معلمي البروتستانت فقد خالفوا في ذلك وقالوا ان الاسقف
 والقسيس درجتان ممتازتان • وكان انتخاب الاسقف منوطا بقسم من الاهالي ولما
 في ذلك من كثرة التخالف في الراي المودي الى النداء غالبا استعملت الوسائل الى
 ابطال ذلك حتى صار الملوك يمينون بانفسهم أساقفة مما لكهم الا ان (البابا)
 لم يطق ذلك وقاوم هذا الطريق بكل عناية حتى جعل الانتخاب مخصوصا بقسيسي
 الكنائس الاسقفية وقد اختلفت في هذا العهد طرق الانتخاب في بعضهم خصصه
 بالقسيسين وبعضهم جعله مشتركا بينهم وبين الاهالي وبعضهم خصصه بالملك ورجال
 دولته وبعضهم اشترط في المنتخب (بالكر) كونه من أبرين شرعين بالنكس الثلاثين
 مشهورا بالعلم والادب مقبولا عند الحكومة وكونه من أهالي البلد الواقعة فيها الاسقفية
 ان أمكن • وعلامات الاسقف في أوروبا التاج رمزا الى القوة والمصا ورمزا الى فروضه
 الرعائية والخاتم رمزا الى اقترانه بالكنيسة وصلب معلق على صدره وكفوف مخصوصة
 وحذاء لا يغطي الاقسام من أعلى رجليه وقباء مخصوص وذلك كله تمييز له عن هو

بصحيفة (١٩) عند الكلام على كيفية توزيع المياه على بيوت تهرت فحدث
الله على موافقة ذلك الفكر لاحق راجيا ان تكون افكاري كلها كذلك ان
شاء الله واليك ما كتبه بالحرف حيث قال واما تهرت في الحديث فكانت
اكثر تجارة والماء يجري اليها في اثنى وأنايب الى كل البيوت انتهى وبهذا نختم
هذا الباب وختامه مسك والحمد لله رب العالمين

في الكلام على المدن المنسوبة الى تهرت

تقدم عن السلامة البشاري الحنفي نسبة عدة مدن الى تهرت وقد
تكلم عليها المؤرخون وتنبأ للفائدة نأني يعرض ما قالوه في بعضها فنقول ان
من اشهر تلك المدن في ذلك العهد

مدينة نفس

بفتح الزاء والنون وهي آخر افريقية مما يلي الثرب بينها وبين
مدينة وهران ثمانية ايام ومليانة في جنوبها على ثلاثة ايام وقيل اربعة

دونه من خدمة الدين * واما في الكنيسة الشرقية فالعلامات المميزة للاسقف من
القيس عند الروم (الارتودكس) والروم (الكاثوليك) والأرمن هي منديل يجمل فوق
القلنسوة تحت الفاووق وفي الشرق الصليب على الصدر والحاتم في اليسر وثوب
يخالف أثواب القيس ويكون في الغالب أحمر وللا سقف دون القيس حق فحصى
التأليف الدينية التي تنشر في أبرشته (الدائرة التي يتولاها الاسقف وتكون تحت نظره)
فيثبتها أو يحكم بفسا دها والكثير من البروئستانات سلخوا السلطة عن الاساقفة وصبروهم
بمغزلة القيسيين ومنهم من أبطل هذا الاسم بالمرّة والبعض منهم ابقاها كما هي عليه

وبينها وبين تيرت خمس مراحل اوست نقل ذلك الحموي عن البكري
وقال * قال ابو عبيد هي مدينة مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى
ينفرد بسكنائها المال لخصائنها وبها مسجد جامع واسواق كثيرة وهي على نهر
ياتيها من جبال على مسيرة يوم من جهة القبلة ويستدير بها من جهة الشرق
ويصب في البحر وتسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن ذكر اهل تنس انه
كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة وتنس الحديثة اسمها وبناها البحريون
من اهل الاندلس منهم الكركدن وابو عائشة والصقر وغيرهم وذلك
سنة ٢٦٢ (في دولة بني رستم) وسكنها فريقان من اهل الاندلس من اهل
البيرة واهل تدمير واصحاب تنس من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان هؤلاء البحريون
من اهل الاندلس يشنون هناك اذا سافروا من الاندلس في مرسي على
ساحل البحر فاجتمع اليهم بربر ذلك القطار درغوبهم في الانتقال الى قلعة
تنس وسألهم ان يتخذوها سوتا ويحملوها مسكنا ووعدهم بالمون وحسن
المجاورة (١) فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا الى القلعة وانتقل اليهم من جاورهم

بناء على انها نظام الاهي لا يجوز تغييره وهذا في انكلترا والولايات المتحدة * والاساقفة
من جميع الطوائف النصرانية الا البروتستانت لا يباح لهم الزواج وكذا القسيسون
من الكنيسة اللاتينية والرهبان عموما لا يباح لهم الزواج واما القسيسون من غير الكنيسة
اللاتينية فيباح لهم الزواج مرة واحدة واذا توفيت نساؤهم متوا عن الزواج مرة
ثانية * ووظيفة الاساقفة القيمين في ممالك الدولة العلية العثمانية هي النظر والحكم في
جميع المسائل المتعلقة بالامور الدينية من زواج وطلاق واقامة اوصياء للقصر وولاية
الاوقاف والتركات وما اشبه ذلك * كذا قيل والله اعلم

(١) انظر كيف كانوا يهتمون بالبقاع المهجورة القابلة للمارة ويستميلون الناس

من اهل الاندلس فلما دخل عليهم الربيع اعتزلوا واستويوا () الموضع
فركب البحريون من اهل الاندلس مرابهم واطهروا لمن بقي منهم أنهم
يبتارون لهم ويمو دون فيشذزلوا قرية بجاية وتقلبوا عليها ولم يزل البالون
في تلس في تزايد وثروة وعدد ودخل اليهم اهل سوق ابراهيم وكانوا
في اربعمائة بيت فوسم لهم اهل تلس في منازلهم وشاركهم في اموالهم
وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيها اليوم ولهم كيل يسمنه الصحنه
وهي ثمانية واربعون قادوسا والقادوس ثلاثة امداد بعد النبي صلى الله عليه
وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون اوقية ورطل سائر الاشياء اثنتان وعشرون
اوقية ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة وقال سعد بن اشكل
التاهرتي في علته التي مات منها (جنس)

﴿ نأى النوم مني واضمحلت عرى العسر ﴾

﴿ واصبحت عن دار الاحبة في امر ﴾

﴿ واصبحت عن ﴾ تهرت ﴿ في دار غربه ﴾

﴿ وأسلمني من القضاء من القدر ﴾

﴿ الى تلس ذات النحوس فانها ﴾

﴿ يساق اليها كل منتقص العسر ﴾

﴿ هو الدهر والسباق (١) والماء حاكم ﴾

﴿ وطالما المنحوس صمصامة الدهر ﴾

الى الاقامة بها باحسنهم ومروفيهم وحسن جوارهم

(١) في نسخة السيف بالغاء وله مناسبة للمقام

* بلادها البرغوث يحمل راجلا
 وياوي إليها الذئب في زمن الحر *
 * يرجف منها القلب في كل ساعة
 يجيش من السودان يقلب بالوفر *
 * ترى أهلها صرعى دوى أم ملدم
 يروحون في سكر ويندون في سكر *
 * وقال غيره * (١)
 * أيها السائل عن ارض تنس
 مقعد اللوم المصني والدنس *

(١) قد بالغ هذان الشاعران في ذم هذه المدينة المدوحة عند ارباب التاريخ
 وقد علمنا السبب الحامل للاول منها على ذمها فعذرناه اذ لامعية تعادل الداء
 المضال المنفي بصاحبه الى الهلاك كالذي أصابه ولم نل لثاني سببا قويا غير ما يفهم
 من كلامه من أنه كان سائلا وكأنه لم يقع بما ناله فيها * وقد ورد أن النفس جبلت
 على حب من أحسن إليها ونض من أساء إليها * وسئل (جعجا) فيما يقال من المحسن
 من الناس فقال هو الذي أحسن الي وسئل عن المسيء منهم فقال هو الذي أساء الي
 * وعلى كل حال لا يكون قولها دليلا على نقصها لان الذم والمدح لا يكونان غالبا الا
 على حسب الأغراض والطباع والاحوال والازمان ولا يخلو شيء من مخلوقات الله
 عموما من كمال وقص * وما قصد الانسان الى مدح شيء ما الا ووجد مجالا يسع
 فوق مراده ولو عدالي ذم ذلك الشيء عينه من جهة أخرى لا تفتح له أوسع باب في
 ذلك بدون أن يكذب ان شاء * وهذا مما يدل على حدوث الكائنات واختارها
 الى مدبر حكيم وهو الله الذي لا اله الا هو ذو الكمال الذي لا يشوبه نقص ولا يلحقه
 عدم * هذه مصر القاهرة الغنية بشهرتها عن البيان مبهط الفراعنة والجبارة وعطاء
 الملوك وبيت الحكم ومعدن الآثار العظيمة والصنائع الغريبة من قديم الزمان قد مدحها

﴿بلدة لا ينزل القطر بها
والندى في أهلها حرف درس﴾
﴿فصحاء النطق في (لا) أبدا
وم في (نعم) بكم خرس﴾
﴿ففتى يلسم بها جاهلها
يرنخل عن أهلها قبل الفلن﴾

الشعراء بما إذا سمعته توهمت أنها روضة من رياض الفردوس وذمها آخرون بما إذا تلى عليك غلنت أنها حفرة من حفر النار وما قاله في وصفها واجاد سليم بك المنحوري الدمشقي من شعراء هذا العصر هذه القصيدة

﴿شوارح معر﴾

(تلك الشوارح مرضها أمثارا * ست بست تدهش الانظارا)
(يجري الهواء بها رخاء مطلقا * يبحر السقام ويذهب الاكدارا)
(تزدان بالانسوار فوق منائر * فيعود ليل المدلجين نهارا)

(وعلى الجوانب الفحانوت زهت * بنفائس تدع العقول حيارى)
(فيها الجواهر كالنجوم وجاءها * فلك يزيق بهاؤه الابصارا)
(فيها الاصناف النسيج زخارف * تسبي النساء وتسب الدينارا)

(شادت يد الاتقان في أكتافها * قللا يناطح روقها الاقارار)
(من كل صرح باذخ شرفاته * تبدي مقى حان الاميل عذارى)
(غر الوجوه فواتا تزري الدمى * ييضا وسمر خردا أبكارا)
(يمثلن من فوق العروش بواسل * جذلاوهن من النعيم سكارى)
(يرمقن أبناء السبيل بأعين * توحى الى اهل الهوى أسرارا)

﴿ ماؤها من قبح ما خمت به ﴾
 نجس يحوي على ترب نجس ﴿
 ﴿ ففتى تلعن بلاداً مرة ﴾
 فاجعل اللعنة دأباً ﴿ لتنس ﴾

(حفت بجنت الازهار قدحوت * دررا وآسا نرجسا وعرارا)
 (جمت لاسباب الهناء ذواتها * تولي النزيل من المنى اوطارا)
 (بمسي وبصبيح والنعيم مهاده * حتى لينسى اهله والجارا)
 وما ورد في ذمها من أقوال المتقدمين قول الشاعر
 (مصردار الفاسقين * تستفز السامعينا)
 (واذا شاهدت شاهد * ت جنونا وجونا)
 (ومضاها وضراطا * و بناء وقرونا)
 (وشيونا ونساء * قد جعلن الفسق ديننا)
 (فهي موت الناسكينا * وحياة الهالكينا)
 (وقول الآخر من قصيدة)

(قلت منافها فضيح ولائها * وشكا التجار بها كساد السوق)
 (ما ان يرى فيها الغريب اذا رأى * شيئا سوى الخلاء والتريق)
 (قد فضلوا جهلا مقطعمهم على * بيت بمكة للاله عتيق)
 (لمصارح لم يبق في أجدائهم * منهم صدى يرولا صديق)
 (ان هم فاعلمهم فخير موفق * أو قال قائلهم فخير صدوق)
 (شيع الضلال وحزب كل منافق * ومصارع للبغي والتنفيق)
 (اخلاق فرعون اللعينة فيهم * والقول بالثبث بالخلق)
 (لولا اعتزال فيهم وترفض * من عصبة للعدوت بالتفريق)

وهكذا الحال في البصرة والكوفة على ماسياتي وغيرها وبالجملة فلا شيء في الوجود غيره
 على الاوله كمال وقص وما دح وقادح على حق أو باطل الا أن الحق يعلو والكمال لله وحده

ثم قال وقد نسبوا الى تلس ابراهيم بن عبد الرحمن النسفي دخل الاندلس
وسكن مدينة الزهراء (١) وسمع من ابي وهب بن مسرة الحجازي وابي علي

(١) الزهراء مدينة وقيل سراية كما ذكره بعض المؤرخين وهو اقرب لانهم ذكروا ان
طولها الفان وسبعائة ذراع وان عرضها الف وخمسة ذراع وهي قريبة من (قرطبة)
على ستة أميال منها وقيل أربعة وزيادة أخطأها عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله
ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم
الأُموي وهو يومئذ سلطان تلك الجهات وذلك سنة ٣٢٥ (بعد انقضاء دولة بني رستم
من نهرت) انفق في عمارتها ما تجاوز حد الاسراف وجلب اليها الرخام من الاقطار
وأثناء من الهدايا للاعانة على اتمامها من ولاته ومن ملوك الافرنج المجاورين له مالا
يحد وصفه وجلب اليها من القسطنطينية حوضا مذهبا كبيرا وجعل فيها حوضا أصفر
منه في صور حيوانات متعددة كالأسد والفزال والعقاب والثعالب وكل ذلك بالذهب
المرصع بالجواهر وكان يدخلها في أثناء العمل فيها كل يوم ٦٠٠٠ صخرة مع مالا يعد
من الأجر ويعمل فيها كل يوم الف صانع مع كل صانع (١٢) اجيرا فالجدة ثلاثة
عشر الفا حتى تمت في (١٦) سنة فكان فيها (٤٣٠٠) سارية و (١٥) بابا وقدرما
انفقه عليها (من بيت مال المسلمين) بما يقارب ستمائة وخمسين قنطارا فضة خالصة
وكانت على ثلاثة اقسام قسم فيه قصر السلطنة وقسم فيه خدمه وقسم فيه منزله
وعلى سورها (٣٠٠) برج ولم يتنهد ذلك شيئا دخل به البقاء المبرم فقد دخلها البربر سنة
(٤٠٠) وأحرقوها وخربوها ونهبوا ما فيها حتى لم يبق منها الا الرسوم والأطلال وقد
ذكرها الشعراء في قصائدهم كثيرا ومن بينهم أبو الوليد بن زيدون القائل

(اني ذكرتك بالزهراء * والأفق طلق ووجه الارض قدراقا)
(ولنسيم احتلال في أصائله * كأنما رقي فاعتل اشفاقا)
(والروض عن مائه الفضي مبسم * كما حلت من القبات أطواقا)
(يوم كأيام لذات لا انصرفت * بتالها حين تام الدهر سواقا)

القالى وكان في جامع الزهراء يفتي ومات في صدر شوال سنة (٣٠٧)

اتهى عوي *

هكذا في النسخة المتقول منها وهي من طبع الافرنج ومصححة
باعتناء كامل * واما العلامة الضبي فانه ذكر في تاريخه المطبوع ببلاد الافرنج
ايضا انه توفي سنة ٣٨٧ والفرق بينها فاحش فليتأمل *

وتكلم عليها الادريسي المالكي المولود في عشرة التسعين من المائة
الخامسة في تاريخه فقال ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح على
ميلين منه وبعضها على جبل وقد احاط به السور وبعضها في سهل الارض
وهي مدينة قديمة ازيلت عليها سور حصين وحضيرة مائنة دائرة بها وشرب
اهلها من عين ولها في جهة الشرق واد كثير الماء وشربهم منه في ايام الشتاء
والربيع وبها فواكه وخصب وافلاح وخطوبها اقاليم واعمال ومزارع وبها الحنطة
ممكنة جدا وسانر الحيوانات موجودة وتخرج منها الى كل الآفاق في المراكب
وبها من الفواكه كل طريفة ومن السفرجل الطيب المعنق (١) ما يفوت
الوصف في صفته وكبره وحسنه اه وذكر في صحيفة ٨٢ ان بينها وبين مدينة
تلسمان (التي ينهي عند عملها ملك بني رستم) تسع مراحل وقال في كيفية
السير فيها هكذا

* تخرج من تلسمان (مشرقا) الى قرية العلويين وهي قرية كبيرة عامرة
على ضفة نهر ولحم بها جنات ومياه جارية من عيون ومنها الى قرية (بالوت)
مرحلة وهي قرية جبلية كثيرة الاهل والعمارة على نهر ليس به ارجاء وتسقي
منه مزارع ومن بالوت الى قرية (سي) التي على نهر مرغيت مرحلة وهو

(١) أي له عنق طويل كعنق الكثرى مثلا

صغير والميون بها والمياه تطرد في كل جهة ومنها الى رحل الصفصاف مرحلة وهو رحل عامر آهل على نهرياتي من (افكان) من جهة المشرق ومن الرحل الى افكان مرحلة (١) ثم ذكر في صحيفة ٨٨ جملة قبائل منها ورماسين وورشفانة ومغراوة وبنوراشد وزقارة وذكر أن مواطنهم بين تلمسان (وتاهرت) ثم قال وكل هذه القبائل بطون زناتة () وهم اصحاب هذه القحوص وهم قوم رحالة ظوا عن يتجمعون من مكان الى مكان غيره لكنهم متحضرون واكثر زناتة فرسان يركبون الخيل ولهم عادية لا تو من ولهم معرفة بارعة وحذق وكياسة ويد جيدة في علم الكتف اهـ

وقد تعرض لها صاحب كتاب دائرة المعارف فذكر أنها كانت مدينة عظيمة ذات تجارة واسعة مع عرب اسبانيا وأن الماء خرج بها في حد وديف وعشرين وستائة وتراجع اليها بعض اهلها ودخلها ابو الربيع الملياني في تلك المدة وهم ساكنون بين الخراب هـ ثم قال ومنذ القرن الثالث عشر (مسيحياً) صارت قصبة مملكة صغيرة خربها خير الدين سنة ١٥١٨ (مسيحياً) ثم ذكر ما هي عليه وقت تأليفه الكتاب من الحالة وهي لا تبعد عما هي عليه الآن (٢) هـ حالتها الحاضرة هـ

فقال وسنة ١٨٤٣ (اي في اوائل عشرة الستين بعد الف ومائتين هجرية)

(١) أي من افكان الى المعسكر مرحلة ومنها الى جبل فرحان ثم مدينة بلل مرحلة ومنها الى مدينة غزة ثم سوق ابراهيم مرحلة ومنها الى بلدة التين مرحلة ومنها الى تنس مرحلة فهذه تسع مراحل

(٢) هذا كله كان في زمن تأليف الكتاب ومن ذلك الوقت الى الآن ما يقرب من خمسين سنة وهي كل يوم في التقدم فلا شك أنها زادت على ذلك كثيرا والله اعلم

دخل ﴿ تنس ﴾ الفرنسيون وأنشأوا الجانب الحديث منها سنة ١٨٤٨ وهي الآن ذات اسواق جميلة وأبنية بهيجة ومنازل عسكرية ومستشفى وبها قناة رومانية اصلاحت وجر فيها الماء من مسافة (٥) كيلو مترات وفيها كثير من العيون منها لكل محل نبع فضلا عن العيون العمومية وهي قصبة دائرة تشتمل على ١١ الف نفس من القبائل البربرية و٩ آلاف من العرب والمدينة ذات تجارة رائجة يرجى سرعة تقدمهم لأن محاصيل ولاية ﴿ اريلا ثيل ﴾ (١) تنقل اليها وقد بلغت قبلة وارداتها سنة ١٨٥٤ سبعة وخمسين الف فرنك وصادراتها مليوني فرنك لكن مرفاها يحتاج الى اصلاح وفي ضواحيها معادن نحاس وافرة الركاز تكون لها يوما ما ثروة جزيلة وعدد سكانها بلغ سنة ١٨٥٦ نحو ٢٦٠٠ نفس ويقال ان اهلها القدماء اشتبهوا بالسحر وأن منهم كان سحرة مضر في أيام فرعون موسى (عليه السلام) اه
﴿ ومنها مدينة وهران ﴾

وهي من تلمسان على ثلاث مراحل تقريبا وقد قال الادريسي فيها هكذا مدينة وهران على مقربة من ضفة البحر وعليها سور تراب متين وبها اسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافعة وهي تقابل مدينة المرية من ساحل الاندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا (من السفن اذا هاج البحر) ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسي المراكب الكبار والسفن

(١) اريلا ثيل هي قصبة جبة من عمل الجزائر واقعة على ضفة وادي شلف اليسرى تبعد عن الجزائر بقدر (٢١٠) كيلومترا الى الجنوب الغربي بناها الفرنسيون سنة ١٨٤٢ وهي مدينة حسنة البناء وأزقتها متظمة وبها مسرح ويقام بها سوق في يوم الاحد من كل اسبوع ووجدوا فيها آثار كنيسة قديمة منها بلاط مزين بالفسيفساء اه

السفرية وهذا المرسى يستمر من كل ربح وليس له مثال في مراسي حائط البحر من بلاد البربر وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر وعليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة وأهلها في خصب والمسل بها موجود وكذلك السمون والزبد والبقرة والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير ومراكب الاندلس إليها مختلفة وفي أهلها دهقنة وعزة نفس ونخوة اه وقال البكري (وهران) مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ولها مسجد جامع وبني مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين الذين يتجمعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن وهم من ازداجة وكانوا من أصحاب القرشي (١) سنة ٢٩٠ (في آخر دولة بني رستم) فاستوطنوها (٧) أعوام وفي سنة ٢٩٧ (لما ادبر أمر بني رستم) زحف إليها قبائل كثيرة يطالبون أهلها بإسلام بني مسقن (٢) فخرجوا ليلا هارين واستجاروا بأزداجة وتطلبوا على مدينة وهران وخربت واضربت ناراً ثم عاد أهلها إليها بعد سنة ٢٩٨ بأمر أبي حميد دواس بن صولات () وابتدأوا في بنائها وعادت احسن

(١) اراد بالقرشي صاحب الاندلس فان ابن خلدون ذكر أن من رجال الأمويين الذين ملكوا وهران ابن أبي عون هذا ومن معه دخلوها في هذا التاريخ وخطبوا لبني أمية الاندلس ولعل هؤلاء جددوها تجديدا ولم ينشئوها انشاء كما يؤخذ من هنا ولا فكيف يذكروا العلامة البنا فيما ذكره لبني رستم فأمل

(٢) بنو مسقن بطن من بطون ازداجة التي هي بطن من البرانس البربر وقد رسمها بعضهم هكذا (مسكن) بالكاف مكان القاف ولعل القبيلة المعروفة الآن ببني يستقن في وادي ميزاب من هذا البطن وابدل الاسان الميم ياء اطول العهد وقوله بإسلام اي بمسالة واتحاد بني مسقن معهم على مطالبة أهل وهران فالضمير في قوله خرجوا يعود الى أهل وهران لاني بني مسقن كما هو ظاهر والله اعلم

ما كانت وولى عليهم داوود بن صولات اللبيسي محمد بن أبي عون فلم تزل
 في حمارة وزيادة الى ان وقع يلى بن محمد بن صالح اليفرني بأزداجة في ذي
 القعدة من السنة المذكورة فبدد جمعهم وحرق مدينة وهزان ثانية وخربها
 وكذلك بقيت سنين ثم تراجع الناس اليها وينسب اليها أبو القاسم عبدالرحمن
 ابن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني يروي عن أبي بكر احمد بن جعفر
 القطيبي روى عنه ابن عبد البر وأبو محمد بن عزم الحافظ الاندلسي اه هذا
 حالها القديم واما بعد ذلك فقد ذكر الشيخ مقديش ان افرنج الاندلس قد
 استولوا عليها مراراً واخرجهم منها المسلمون قال وساعة تاريخ الكتاب سنة
 (١٢٠٧) سبع ومائتين والف بأيدي المسلمين فتحها الامير محمد باي أحد
 امراء الجزائر سنة (١٢٠٥) خمس ومائتين وألف

﴿ حالتها الحاضرة ﴾

واما الآن أعني سنة (١٣٢٥) فهي بيد الدولة الفرنسية من الافرنج
 تابعة لولاية الجزائر مستبصرة الممران متقدمة في التمدن الأوروبي بها من
 السكك الحديدية والانوار الكهربائية والاسلاك التلفزيونية والمباني الفخيمة
 والاسواق التجارية ما يغيرها من المدن الكبيرة وهي إحدى المواني الشهيرة
 الآن * بها من تجار الاباضية بنى ميزاب جماعة لهم القدح الملى في ميادين
 التجارة والله اعلم

﴿ ومنها مدينة شلف ﴾

وينهاوين مدينة • يلى • مرحلة قال ابن حوقل وهي مدينة ذات سور
 وحسن ونهر واشجار ومزارع اه (ولامنافاة بين هذا وبين اسبأقي من خرابها)

اذ كل في زمان وقد تكلم على شلف صاحب كتاب المعارف بما هو اوضح اذ
قال وشلب أيضاً (بالباء) أو شليف على لفظ الافرنج نهر بالجر اثر يسميه المغاربة
وادي شلب وهو أهم أنهر تلك البلاد وتجري القوارب فيه في قسمة الأسفل
وهو مؤلف عند أعلاه من جدولين ينحدران من جبل (امور) وبسند
اتحادهما يسمى وادي الطويل ويجري شرقاً الى (تاجوين) حيث استولى (دوق
او مال) على معسكر (الامير) عبد القادر سنة ١٨٤٣ ثم يقطع سهل مرسو
ثم ينصب اليه من ضفته اليمنى جداول تجري من جبل الناطور تتألف من
٧٠ نبماً ثم اذا وصل الى بوغر يسمى باسم شلب ويصب في البحر المتوسط
بين (نلس) و (أرسوف) على ١٣ كيلو متراً من مستغانم الى الشمال
الشرقي وينصب اليه قبل وصوله الى البحر جدولان آخران من ضفته اليسرى
وطول مجراه (٢٦٠) كيلو متراً وتلاه (١) مؤلف من ارض ابليلية غير خصبة
يشتمل على مدن . بوغر . وتنية الأحد . ومدينة . ومليانة . ومستغانم .
وارلياقيل . واسه القديم (شينا لاف) وقيل (ازان) اه أقول ولو لم يكن
﴿ لتبهرت ﴾ من الأنهر الا هذا النهر الكبير الغزير المياها لكفاها عمراً اذا كان
يفيض كما يفيض النيل وتزرع عليه انواع الحبوب والله اعلم ()

﴿ ومنها المدينة الخضراء ﴾

وقد قال فيها الحموي في تاريخه بلدة بينها وبين مليانة يوم واحد وهي
مدينة جليلة كثيرة البساتين على شاطئ نهر من أخصب مدن افريقية اه ()
وأما الادريسي فقال فيها وهي مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه

(١) قال في المختار التلمة بوزن القلعة ما ارتفع من الارض وما انهبط وهو من الاضداد

عمارات متصلة وكروم وبها من السفرجل كل بديع ولها سوق وحمام
وسوقها يجتمع اليها أهل تلك الناحية اهـ

﴿ ومنها مدينة افكان ﴾

وقد قال فيها الادريسي مدينة كانت (في مدة بني رستم) لها أرجاء
(تدور بالماء) وحمامات وقصور وفواكه كثيرة وكان عليها سور تراب
لكنه الآن (في اول المائة السادسة) تهدم وبقي أثره وواديها يشقها نصفين
ويمضي منها الى ﴿ تاهرت ﴾

وقال ابن حوقل وافكان مدينة لها أرحية وحمامات وقصور وفواكه
وكانت (بعد بني رستم) ليعلى بن محمد ذات سور من تراب في غاية الارتفاع
والمرض وواديها يشقها نصفين ومنها الى (تيهرت) بالمرض الى المشرق
ثلاث مراحل وافكان على واديها أعمال عريضة وأجنة ومزارع اهـ

﴿ ومنها مدينة غزة ﴾

وقد قال الادريسي فيها * هي مدينة صغيرة القدر فيها اسواق مشهورة
مشهود لها يوم معلوم وبها حمام وديار حسنة ولها مزارع وذكرها ابن حوقل
بمثل هذا وقال وهي مدينة صالحة

﴿ ومنها سوق ابراهيم ﴾

ويشها وبين غزة مرحلة واحدة وقد ذكرها ابن حوقل بقوله * وهي
مدينة أيضاً صغيرة فيها حمام وسوق وهي على نهر شلف اهـ
قال الصفاقسي ومن سوق ابراهيم الى بلدة التين مرحلة وهي بلدة
صغيرة حسنة كثيرة شجر التين جداً ويعمل بها من التين شرائح أعظم من الطوب

() وبذلك تسمى ويحمل منها الى كثير من الأقطار ومنها الى مدينة تنس
مرحلة اهـ

❦ ومنها واريفن ❦

وهي على مرحلة من مدينة تنس في جبال وعرة شاهقة متصلة وعلى
مرحلة أيضاً من الخضراء وقد قال فيها الصفاقي قرية كبيرة (لا مدينة)
لها كروم وجنات ذوات سوان لزراع البصل والكبوت ومنظمها على
نهر شلف

❦ ومنها مدينة أوزكي ❦

وقد ذكرها المؤرخ البنا المتقدم في مدن تهرت ثم كروها في مدن
فاس فاما ان تكون هذه غير تلك والاسم واحد واما ان يكون التكرار
اشارة الى انها تارة تتبع تهرت وتارة تتبع فاس وعلى كل حال فقد ذكرها
المؤرخون كغيرها منهم الادريسي في زعمته قال

وأما مدينة أوزكي فلها من بلاد مسوفة ولطمة وهي اول مرابي
الصحراء ومنها الى سجلماسة ١٣ مرحلة ومنها الى نول ٧ مراحل وهذه
المدينة ليست بالكبيرة لكنها متحضرة واهلها يلبسون مقندرات ثياب الصوف
ويسمونهم القداور () الى ان قال وتسمى هذه المدينة بالبربرية (آزق)
وبالجناوية (فوقندم) ومن اراد الدخول الى بلاد (سيلي) وتكرور وغانة
من بلاد السودان فلا بد له من هذه المدينة اهـ

والظاهر ان هذه المدينة بعيدة ومنفصلة عن عمل تهرت المتصل بها
وكأنها كانت مع هذا البعد تابعة لها كما هو واقع في ولايات كثيرة مثل جبل
نقوسة ويعبر عنها الآن بالمستعمرات والله اعلم

﴿ ومنها مدينة الفدير ﴾

قال الخوي بلد أوقرية على نصف يوم من قلعة بني حماد بالمغرب يشب
اليها عبد الله الفديري المؤدب أحد الباداه

وقال الإدريسي مدينة حسنة واهلها بدو ولهم مزارع وأرضون
مباركة والحراث بها قائم الذات والاصابة في زروعها موجودة والبركات
في معاملاتهم كثيرة

وقال صاحب كتاب الاستبصار المؤلف سنة ٥٨٧ هـ وهي مدينة كبيرة
أولية بين جبال قد احدثت بها ولها نهر يجتمع من العيون في موضع دهم
يخرج منه هذا النهر ويسمى نهر سهور ويمشي من هناك الى مدينة المسيلة
وهو نهرها ثم قال وبقرى مدینه الفدير فخص عجيسة وهو فخص مدبر
كثير الزرع والضرع الا أنه شديد البرد والتج ولقد دخلت هذا الفحص في
زمان الصيف فرأيت الجليد ينزل فيه بالغدو وفي اشكال تلك البلاد (برد عجيسة
في الصيف واما في الشتاء اسكرات الموت) اه

﴿ ومنها مدينة زلاغ ﴾

ولم نقف لها على ذكر في كتب التاريخ سوى ما ذكره صاحب الاستبصار
حيث قال في (قلعة أبي جندب) وكانت مدينة كبيرة لها أسواق ولها جنات
واشجار وهي كثيرة الزرع والضرع مشحونة بالمائر متصلة المحارث والمزارع
في السهول والجبال منها جبل زالغ (وقد رسمه هكذا) وهو مشرف على
مدينة فاس كان فيه حصن بناء المظفر بن أبي عامر اه

﴿ ومنها مدينة يال ﴾

وهي غير بعيدة عن مدينة غزة قال الادريسي بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبلادها جيدة الفلاحة وزروعها نامية اه أقول وقد استقلت هذه المدينة زمنا عن تهرت وصارت دار اماراة اباضية صغيرة كما سيأتي والله اعلم

﴿ ومنها مدينة قصر الفلوس ﴾

ولم يذكر المؤرخون عنها فيما رأيناه شيئا اكثر من انها مدينة بالمغرب قريية من مدينة وهران

﴿ ومنها مدينة كرا ﴾

وقد كتبه الحازمي هكذا (كران) وقال حصن على مدينة شلف بالمغرب في بلاد البربر وذكره ابن حوقل وقال هو حصن أزلي يقال له سوق كران وبينه وبين مليانة مرحلة وبينه وبين اشير ثلاث مراحل وكتبه الشيخ مقديش هكذا (كرتاية) وقال وهو حصن قديم له مزارع وأسواق وهو على نهر شلف وله سوق يوم في الجمعة يقصده بشر كثير اه وقد ذكره الطوي ورسمه كالاولين والله اعلم

﴿ زيادة ﴾

ويدخل أيضا في دائرة (تهرت) عدة مدن ذكرها المؤرخون ولم

ينبه عليها العلامة البنا لأن من قواعده أن لا يتعرض غالباً إلا للمدن الكبيرة المشهورة

❖ ومنها مدينة انكاد ❖

ولها على تيهرت ثلاث مراحل الى ناحية تلمسان قال الحموي كانت قديماً ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض وواديها يشتهر بالصين اهـ

❖ ومنها مدينة مازونة ❖

وهي تلي حصن فروخ في البر الى الشرق على ستة أميال من البحر قال الادريسي فيها وهي مدينة بين أجبل وهي أسفل خندق ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عاصرة ومساكن مؤنقة واسواقها يوم معلوم يجتمع اليه أصناف من البربر بفروب من القواكه والألبان والسمن والصل كثير بها وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً اهـ

❖ ومنها قلعة هواره ❖

وقد ذكرها صاحب الاستبصار على أثر غ تيهرت ❖ عند ذكره مدق الغرب الاوسط فقال هـ وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأغاب وتحتها غص طوله نحو أربعين ميلاً يشق به نهر سيرات ويسقي أكثر أرضه يسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر ونهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة (ازواوا) وهي مدينة قلعة زومبة رفيع حصن سيرات يسكنه قبائل كثيرة من البربر سطررة وغيرهم

من قبائل زناتة وزناتة تشعبت على قبائل كثيرة وبلاهم واسعة الى أن قال
وللمغرب الاوسط مدن كثيرة قد ذكرنا أكثرها في البلاد الساحلية وهي
كثيرة الخصب والزرع كثيرة القنم اه والمذكور في النخبة أنها تسمى
(بالبربرية) * تاشقالت * وأنها على جبل فيه معدن الحديد والزئبق

❦ ومنها مدينة مليانة ❦

ولها على (تهرت) ثلاث مراحل وعلى الخضراء مرحلة واحدة وقد ذكرها
الادريسي بقوله * وهي مدينة قديمة البناء حسنة البقعة بكريمة المزارع ولها نهر
يسقى أكثر مزارعها وحدائقها وجنتها ولها ارحاء على نهرها المذكور (تدور
بقوة الماء) ولاقليمها حظ من سقي نهر شلف وعلى ثلاث مراحل منها وفي
جنوبها الجبل المسى بجبل وانشر يشسكنه قبائل من البربر (اباضية وغيرهم)
منها مكناسة * وأوردية * وبنوأي خليل * وكثامة * ومطاطة * وبنو مليطة *
وبنور تيجان * وبنو أبي خليفة * ويصلاتن * وزولات * وزواوة * ونزار *
ومطرفة * ووارترين * وبنوأي بلال * وايزكرو * وبنوأي حكيم * وهوارة *
وطول هذا الجبل اربعة ايام وينتهي طرفه الى قرب تاهرت اه باختصار

وقال صاحب كتاب الاستبصار . مدينة مليانة قريبة من مدينة اشير ()

وهي مدينة كبيرة من بنيان الروم جددتها (بعد بني رستم) زيري بن مناد أيضا
وفيها آثار قديمة . وهي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى زكار وشغار هذان
الجبل كله ربحان وتلبعت منه عين خراة عقيمة تطحن عليها الأرحية لقوتها
ولمدينة مليانة مياه سائحة وبساتين فيها جميع القواكه وهي من أخصب بلاد
أفريقية () . وأرخصها أسعاراً ومدينة مليانة مشرفة على فوس واسعة وقرى

كبيرة حاضرة ومزارع واسعة وخولها قبائل كثيرة من البربر ويشق تلك
الفصوص نهر شلف وهو نهر كبير مشهور وعلى نهر شلف مدينة أزيلية فيها
آثار أولية تسمى شلف واليها ينسب النهر الكبير وهي اليوم خراب والله أعلم
وقد ذكرها الجوهري أيضاً بمثل هذا

✽ حالتها الحاضرة ✽

وهي الآن ذات حضارة ومدينة من الأهمية بمكان وفيها من تجار
الاباضية بني ميزاب رجال افاضل

✽ ومنها مدينة تاجنة ✽

وقد ذكرها صاحب المعجم بقوله بفتح الجيم وتشديد النون مدينة
صغيرة بافريقية بينها وبين تنس مرحلة وبين سوق ابراهيم مرحلة اهـ

✽ ومنها مدينة أشير ✽

قال صاحب الاستبصار بناها (أي جددتها) زيري بن مناد الصنهاجي
وتعرف بأشير زيري () وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وانما بني زيري
سورها وحصنها وعمرها فليس في تلك الاقطار احسن منها وهي بين جبال
شاذة محيطة بها وداخل المدينة عتيان لا يبلغ لها غور ولا يدرك لها قعر من
بناء الأوائل وبالقرب من المدينة بنيان عظيم عجيب يعرف بحراب سليمان
لم ير بنيان اعظم منه ولا احكم فيه من الرخام والاعمدة والنقوش ما يقصر
عنه الوصف والله اعلم اهـ اقول وكان تجديد هذا المذكور بعد انقضاء دولة بني

رستم وذلك لما ادعى زيري الامارة سنة ٣٢٤ وهو جد المزين باديس
وتملكها بعده بنو حماد وحم بنو عم باديس وقاوموا بني عمهم ملوك افريقية
المعروفين بآل باديس كما ذكر في المعجم وانه اعلم
﴿ ومنها المعسكر ﴾

وتعرف اليوم بأمر عسكر وبينها وبين تاهرت مرحلة قال الادريسي
فيها هكذا *

والمعسكر قرية عظيمة لها انهار وثمار ومنها الى جبل فرحان ماراً مع
اسفله الى قرية دين العنق صاف وبها فواكه كثيرة وزروع ونم دارة مرحلة
ومنها الى مدينة يبل مرحلة اهـ

﴿ حالتها الحاضرة ﴾

القول وهي الآن (سنة ١٣٢٥) من اشهر مدن الجزائر ذات سور عظيم
جديد وأسواق حافلة واشجار متنوعة بلغت في المدينة الحديثة ما تضاهي
به المدن الشهيرة وبها من تجار الاباضية بني ميزاب جماعة لهم الاسم المحترم
في دوائر التجارة وبها في الغالب مقام قاضي يحكمهم الشرعية الحاكمة على قسم وهران
من تلك الجهات () وقد زرتها سنة (١٣١٦) في اول شهر رجب عند
رجوعي من استاذي التحرير قطب الاثمة علم الاعلام شيخ الاسلام والمسلمين
أحمد بن يوسف الميزابي ومعي جماعة من ادباء وافاضل بني ميزاب وفي يوم
الاثنين الموافق ٦ من الشهر زرنا محل سراق الامام يوسف بن محمد بن افلح
الذي كان يضربه فيه عند استعراضه العساكر وجمعه الجيوش ولذلك سميت
هذه المدينة بهذا الاسم فيما يقال وهو موضع فيه بعض ارتفاع على ما يليه في
مستوى من الارض بعيد عن المدينة بمقدار ٢ كيلو متر وقد نبئت فيه

سدرة يعقد أمامها جماعة بني ميزاب عشية كل خميس غالباً مجلس قرآن
ويوزعون الصدقات على فقراء المدينة الذين يأتون اليهم هذا لك لشهرة
ذلك عندهم *

وأعراب تلك الجهة يستمدون فيه البركة رغماً عن علمهم بأنه للاباضية
ويشهدون له بكرامات متعددة *

﴿ منها ﴾ انهم استسقوا مراراً لقطع أصابعهم فلم يسقوا ولما استسقى
فيه بنو ميزاب على الطريق المسنون لم يصلوا باب المدينة حتى ابتدأ الغيث
وكان سيل عظيم *

﴿ ومنها ﴾ ان اعرابياً رأى والدته في المنام وقالت له لم يبق لكم مكان
لاجابة الدعاء الا مقام الامام يوسف *

﴿ ومنها ﴾ ان صبياً هجر رضاع أمه حتى توفيت هلاكه ولما ذهبت
به الى هذا المقام سألت الله شفاه من تلك العلة رضع في الحال هكذا
سمعت من بعضهم والله اعلم بالحقائق *

وقد رأيت في سور المدينة قبة صغيرة فعجبت من ترك الحكومة اياها
ولما سألت عنها قيل لي ان فيها ضريحاً يقال انه لولي من قدماء الاباضية ولما
عزمت الحكومة الفرنسية على هدمه عند تأسيسها للسور رأيت من كراماته
ما صدها عن ذلك فجددت القبة ورفعت السور عليها ولذلك كانت بعضها
داخل السور وبعضها خارجه كما هو مشاهد والمهدة على المخبر في ذلك وما
كتبت الا ما سمعته ولا غرابة فيه والله اعلم وأحكم

هذا ما تكلم عليه المؤرخون من المدن الداخلة في دائرة ﴿ تهرت ﴾
ايام بني رستم ولم نقف على ذكر لغيرها الا أن الادريسي ذكر في نزهته

بعض مدن ومراسي متعددة فيما بين (وهران) وبين (تنس) ولعدم
الاطلاع على تواريخ تأسيسها تركت ذكرها اذ ربما تكون حديثة الوجود *
ومن تتبع التواريخ رأهم يحملون * تاهرت * مركزاً وسطاً لتقدير
مسافات البلاد وبيان طرق المدن في الغرب كله فيقولون في المدينة او البلد
ولو كانت بعيدة * بينها وبين تيهوت كذا وكذا . رحلة او ميلاً مثلاً وكأنها
لشهرتها كانت معلومة لكل احد والله اعلم

✽ العلماء المنسوبون الى تيهوت ✽

وينسب اليها من العلماء والأدباء والشعراء والعباد من الإباحية وغير
الاباحية الذين اخذوا العلم بها أو نزلوها ايام بني رستم أو بعدها ما نحتاج في
حصره الى تطويل *

✽ علماء الاباحية ✽

أما الاباحية منهم فيمدون بالآف ومن أراد معرفتهم فعليه بتاريخ
الشاخي رحمه الله اذ هو حضيرة الاولياء وروضة العلماء وان لم يحصرهم هو
أيضاً الا انه أتى بأغلب شاهيرهم وان لم ينفه على ذلك ولم يخص له باباً * ونخص
✽ منهم ✽ بالذكر هنا ذلك الشيخ الجليل العلامة النبيل ابا يوسف يعقوب
ابن سيلوس الطرقي السدراي رحمه الله الذي قال فيه العلامة ابو العباس كافي السير
العالم الفقيه * النطن النيه * اليقظان الذكي * الورع الزكي * ذوالجهادين
الاكبر والاصغر * والاجتهادين المصلي والدفتر * كانت قراءته على
الاتمة بتاهرت قال له ابنه اوصني فقال له ما أراك تقبل فتدرد عليه ثلاثة
ايام ولما رأي جده قال له * ونعمت الوصية * لا يكن نديك الناس الى الخير
أوكد من نديك نفسك * ولا يكن غيرك اسبق الى الخير منك *

وكن للناس كالميزان * وكالسييل للادران * وكالسماء للماء *
 وكان رحمه الله ذا رأي صائب ونصيحة مغلصة مشهوراً بالمعروف وموسوماً
 بالسخاء يقصده المحتاجون فيسدد أحوالهم ويستشيره الخائرون فيحسن
 دلائهم وقد ذكر الشاخي رحمه الله أن رجلاً من أهل دمر قصده في جماعة
 يطلب منه الاعانة ولما رأى أن الكثير ربما يحجف به حيث كان القحط عاماً
 والقليل لا يجدي به نفعا أمره أن يذهب إلى السوق ويستفهم عن أرخص
 شيء فيه ويرجع إليه فذهب وسأل ولما عاد قال له لم أجد أرخص من الأبل
 فأقرضه أربعة وعشرين ديناراً فاشتري بها ثلاثة جمال وأحسن مرعاها إلي
 أن تحسنت حالتها فباع جملاً منها بأمر الشيخ بأربعة وعشرين ديناراً دفعها
 للشيخ وباع آخر واشترى بثمنه ما لزمه من الطعام وغيره وحمله على الثالث
 ورجع إلى أهله على أحسن حال بإحسان الشيخ وتديره وقد ولي القضاء
 بمدينة وادجلان فمدل في الحكم وأنصف في الفصل وله مصلى معروف
 بأجابة الدعاء يزار رحمه الله ورضي عنه *

﴿ومنه﴾ التقي الورع العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ
 قاضي الإمام أبي القظان *

﴿ومنه﴾ ابنه العلامة أبو محمد عبد الله قاضي الإمام أبي حاتم
 وسيأتي ذكرهما *

﴿ومنه﴾ الخطباء الخمسة المشهورون الآتي ذكرهم في كلام ابن الصنير
 ﴿ومنه﴾ الزاهد المتشفق الشيخ أبو سبل صاحب التنايف الكثيرة
 باللغة البربرية ذاته كان أفصح أهل زمانه فيها وكان ترجمانه للإمام أفلح ثم
 الإمام يوسف ومنزله قيل برسي الخرز وقيل برسي الدجاج بجزائر بني مرغني

قال في السير قال ابو العباس الثعالبي من أحواله إهمال الدمع والتلف على فائت ليس له رجوع فجل هجره في مرآتي الدين واهله والبقاء عليه بوابل الدمع وطله فدونت الدواوين من كلامه اه فكانت اثني عشر كتابا وغطا وتذكيرا وتخويفا وتاريخا لأهل الدعوة احترقت كلها لما اخذت قلعة بني درجين ففقدت كما وقع لكاتب اهل المذهب كلها والأمر لله •

﴿وممنهم﴾ العلامة الشير بالعدل الشيخ ابو عثمان سمع بن أبي يونس عامل الامام أفلح على قنطرار •

﴿وممنهم﴾ رفيقه في طلب العلم من الامام بتبهرت ذلك القهامة الذي الذي كان يضرب بحفظه المثل ثقات بن نصر الذي خل في بدئ أمره عن الحق ومال وتاب في آخر عمره على ما يقال وستأتي أخباره مع الامام ان شاء الله •

• ومن شعرائها النبلاء صاحب القصيدة الآتية القائل فيها •

(سقى الله تهرت المني وسويقة يساكنها غيثا يطيب به المحل)

﴿وممنهم﴾ الولي الصالح الزاهد معزز العلم والعمل أبو مرداس التبرستي حامل المذهب من الامام عبد الوهاب رحمه الله صاحب المناقب والكرامات المشهورة في الكتب •

﴿وممنهم﴾ العلامة المشهور بالزهد والورع عيسى بن فرناس الذي ذكر ابن الصفي أنه كان يجلس أمام الامام أبي اليتقان •

(وممنهم) العلامة محمود بن بكر وهو من خواص الامام أبي اليتقان أيضا وسأني كلام ابن الصفي فيه •

ومنهم المتكلم العظيم الشيخ عبد الله بن اللامعي الذي ذكره ابن الصفي

وأثنى عليه وقال الشماخي عند ذكرهما وكان الشيخان (عبد الله بن المظلي
ومحمود بن بكر) غاية في علم الكلام وكانا يردان على الفرق ويتقضان مقالات
المتبعة وألما كتباً في ذلك اهـ

ومنهم العلامة أبو عبيدة الأعرج قال فيه الشماخي رحمه الله * وكان
غاية في العلم والعمل والورع والادب وقال فيه ابن الصغير المالكي * كلهم
مقرون له بالفضل مسلمون له في الورع اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو
من الكلام صدروا عن رأيه وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فما
رأيت في أسود الرأس أخشع منه اهـ وله معه حكاية طويلة ستأتي
ومنهم الفقيه الكامل ابن العفير * والفقيه البارع عبد العزيز بن الأوز
الآتي ذكرهما في كلام ابن الصغير

حكاية الشكوك فيه

وأما الذين لم يتحقق مذهبهم فتهم ذلك العلامة الأديب صاحب النظم
المعجب والانشاء الفريد المشهور في الشرق والغرب بين أرباب العلم والادب
(وهو اما أبا نفي أو صفري على الغالب) بكر بن حماد بن سهل بن أبي
اسماعيل الزناتي المتقدم الذكر القائل في حق (تبهرت)

ما أخشن البرد وريسانه وأطرف الشمس (تاهرت)
وهو القائل مادحاً أبا العيش عيسى بن اندريس الملوي حاكم مدينة
جراوة المجاورة لتاهرت على ثلاث مراحل منها

(سائل زواجة عن طمازيوفه * ورماحه في العارض المتحال)
(وديار نزة كيف داس حريمها * والخليل تمرغ في الوشيع الذبل)
(غشي منبلة بالسيوف مذلة * وميتى جراوة من نقيم الحنظل)

قال ذلك المراكشي في تاريخه وذكر أنه ولد ونشأ (بتيهت) ورحل إلى الشرق سنة ٢١٧ وهو حدث السن (أي في دولة الامام افلح ولعله ذهب هارباً على ما يؤخذ من أبيانه التي قالها يستمطف بها الامام أبا حاتم كما سيأتي) فسمع بالشرق من العلماء والفقهاء وكان عالماً بالحديث وتميز الرجال وشاعراً مقلداً ومدح المعتصم ووصله بصلات جزيلة واجتمع بحبيب وصرع ودعبل وعلي بن الجهم وغيرهم من شعراء العراق وله أبيات إلى المعتصم يحرضه فيها على دعبل وهي

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه	وتعشي على الأرض المزينة دعبل
أما والذي أرسى ثبيراً مكانه	لقد كادت الدنيا لذلك تزلزل
ولكن أمير المؤمنين بفضله	يهم فيمقو أو يقول فيفعل
فعانبه حبيب فيه وقال له قتلتك والله يا بكر فقال في قصيدته هذه	
وعاتبني فيه حبيب وقال لي	لسانك محذور وسمك يقتل
واني وإن صرفت في الشعر منطقي	لأنصف فيما قلت فيه وأعدل



ولما عاد من المشرق قصد القير وان فوشي به إلى صاحبها فهرب وكان معه ابنه عبد الرحمن فاعترضهما في الطريق بعض اللصوص فجرحوا بكراً وقتلوا ابنه وذهب هو في طريقه إلى أن وصل (بتيهت) كثيراً حزناً يندب ابنه عبد الرحمن هذا وكانت له فيه مرثاة كثيرة تسيل الدموع وتجرح القوادح لما بها من الألفاظ المؤثرة الدالة على عظيم أسفه وتلفه عليه ومنها قوله

(بكيت على الأحبة إذ تولوا • ولو أني هلكت بكواطلياً)

(فيألسلي بقاءك كان ذخراً * وقدك قد كوى الأبداء كيا)
 (كنى حزنا بأنى منك خلوا * وأتلك ميت وبقيت حيا)
 (ولم ألك آيساً فيشت لما * وميت الترب فوقك من يديا)
 (فليت الخلق اذ خلقوا أطاعوا * وليتك لم تكن يا بكر شيا)
 (تسر بأشهر تمضي سراعا * وتطوى في ليا لين طيا)
 (فلا تفرح بدنيا ليس تبقى * ولا تأسف عليها يا بنيا)
 (فقد قطع البقاء غروب شمش * ومطلعها علي يا أخيا)
 (وليس ألمهم يحلوه نهار * تدور له الفرائد والثريا)
 وله في الزهد والمواعظ وذكر الموت وأحواله شر كثير وهو في قوة
 التأثير والقبول بمكان * ومن ذلك ما رواه عنه ابن اللباد وهو قوله *
 (لقد جمعت نفسي فصدت وأعرضت * وقد مرمت نفسي فطال مروءتها)
 (فيألسني من جنح ليل يقودها * وضوء نهار لا يزال يسوقها)
 (الى مشهد لا بد لي من شهوده * ومن جرع للموت سوف اذوقها)
 (ستا كلها الديدان في باطن الثرى * ويذهب عنها طيبها وخلوها)
 (مواطن للقصاص فيها مظالم * تؤدي الى أهل الحقوق حقوقها)
 (سحاب المنايا كل يوم مظلة * فقد هطلت حولي ولاح بروقها)
 (وللنفس حاجات تروح وتنتدي * ولكن أحاديث الزمان يوقها)
 (تجهمت خمساً بعد سبعين حجة * ودام غروب الشمس لي وشروقها)
 (وأيدي المنايا كل يوم وليلة * اذا فتحت لا يستطيع رتوقها)
 (يصبح أقواماً على حين غفلة * ويأتيك في حين البيات طروقها)
 ومن كلامه في الاعتبار بالنظر الى القبور والتفكر فيمن مضى ممن

انشبت فيهم المنية أظفأرها ما حكاه أبو بكر اللباد حيث قال دخلت على
بكر بن حماد فقال أكتب فأملى علي لنفسه قوله

(زونا منازل قوم لن يزورونا انا لفي غفلة عما يقاسونا)
(لو ينطقون لقالوا الزاد ويحكم حل الرحيل فما يرجو المقيمونا)
(الموت أحجف بالدنيا فغربها وفعلنا فعل قوم لا يموتونا)
(فالآن فابكوا فقد حق البكاء لكم فالخاملون لعرش الله باكونا)
(ماذا عسى تنفع الدنيا مجملها لو كانت جمع فيها كنز قارونا)
اقول ولعله قال هذا لما حل ~~بشيرة~~ بلده ما حل من قضاء الله كآفتهم
من بعض كلامه عند التأمل ومن كلامه أيضاً قوله

(لقد جفت الافلام باخلق كلهم فمنهم شقي غائب وسعيد)
(تمر الليالي بالنفوس سريمة ويبدو ربي خلقه ويعيد)
(أرى الخير في الدنيا يقل بكثرة وينقص نقصاً والحديث يزيد)
(فلو كان غيراً قل كالخير كله وأحسب ان الخير منه يبيد)
~~م~~ وقال أيضاً مذكراً ولقد أحسن وأصاب ~~م~~

(قف بالقبور فناد الهامدين بها من أعظم بليت منها وأجساد)
(قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصال وصاروا تحت أطواد)
(راحوا جميعاً على الأقدام وابتكروا فلن يروحووا ولن يمدو لهم عاد)
(والله والله لوردوا ولو نطقوا إذا لقوا التي من أفضل الزاد)
(فبرز القوم وامتدت عساكرهم كما يوافوا لميقات وميعاد)
(ما بالقلوب حياة عند غفلتها والله سبحانه منها يمرصاد)
(بيننا ترى المرء في لهو وفي لعب حتى تراه على نكش وأعواد)

(هذي أبا مالك دنيا منغصة فيها حرارات احشاء وأكباد)
 (وكلنا واقف منها على شفر وكلنا ظاعن يحمدي به الحادي)
 (في كل يوم نرى نمشا نشيعه فرائح فارق الاحباب أو غاد)
 (الموت يهدم ما بنينه من بذخ فما انتظارك يا بى بكر بن حماد)

ذكر هذا صاحب كتاب رياض النفوس.

وكان نقله من نسخة عتيقة جداً لا نقط فيها على الاصطلاح القديم مع رداءة الخط فلا يفهم الا بالقوة والله أعلم.

وقال في احمد بن القاسم بن ادريس حاكم مدينة (كوت) بالمغرب
 (اب السباحة والمروءة والندى)

(جمعوا لأحمد من بني القاسم)

(واذا تفاخرت القبائل واتمت)

(فانقر بفضل محمد وبساطم)

(وبجمعفر الطيار في درج العلا)

(وعلى العضب الحسام الصارم)

(اني لمشتاق اليك وانما)

(يسمو العقاب اذا سما بقوادم)

(فابعث الي بمركب أسمو به)

(علي أكون عليك اول قادم)

(واعلم بأنك لن تنال محبة)

(الا ييمض ملابس ودراهم)

فبعث اليه بئلة سنية وصلة جزيلة وكان له فيه من مثل هذا كثير على

ما قاله صاحب البيان

وقد ذكره العلامة محقق المعقول والمنقول ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم
الوارجلاني رحمه الله في سلسلة حديث ساقه في كتابه الدليل والبرهان حيث
قال وروى عبد الوارث بن سفيان ويهيش بن سعيد قالوا اخبرنا قاتم بن
اصغر قال اخبرنا بكر بن حماد الخ ولم يتعرض لمذهبه
وذكر المراكشي ان وفاته كانت سنة ٢٩٦ بقلمة ابن حمة بجوفي مدينة تهرت
وهو ابن ست وتسعين سنة والله اعلم *

✽ علماء غير الاباضية ✽

واما علماء غير الاباضية فينسب منهم الى تاهرت جماعة نذكر هاهنا بعض
المشهورين منهم نقلا عن مؤرخي افاضل المالكية فنقول
✽ منهم ✽ العلامة زكرياء بن بكر بن احمد الفسالي التاهرتي قال المؤرخ
الفرضي في تاريخ علماء الاندلس عند ذكر الغرباء لما تكلم عليه * يعرف
بابن الأشج والأشج هو أحمد (والده) ويكنى ابا جعفر من أهل تهرت * يكنى
ابا يحيى دخل الاندلس مع ابيه واخيه سنة ٣٢٦ الى ان قال * قال لي
ولدت بتهرت سنة ٣١٠ هـ وذكر أنه توفي في رمضان سنة ٣٩٣ وذكره
صاحب بنية المتنس وخالفه في تاريخ وفاته مخالفة فاحشة ان لم يكن تحريف
في احدي النسختين قال في صحيفة ٢٧٩ زكرياء بن بكر بن الاشج التاهرتي
توفي بقرطبة سنة ٥٢٤ والنسختان من مطبوعات الافرنج فتأمل وبمثل هذا
يتأكد على طالب الحق ان لا يبول على اقوال المؤرخين فيما يحتاج الى النظر
والتدقيق الا بعد امتان الفكر

﴿ومنه﴾ العلامة عبد الله بن حمود بن هلوب بن داوود بن سليمان ذكره المؤرخ ابن بشكوال في الصلة فقال في صحيفة ٢٩٣ يكنى ابا محمد طنجي فقيه موضعه وأصله من تاهرت اه

﴿ومنه﴾ الأديب ابن هزيمة ولد جاء قاصداً الاندلس فسمع بيت شعر لأحد علمائها فترك العبور إليها وبقي بتاهرت كما قاله صاحب البغية ﴿ومنه﴾ ابو الطيب محمد بن احمد بن ابراهيم بن ابي بردة الشافعي البغدادي قال العلامة الفرضي ووصل ابو الطيب الى الاندلس سنة (٣٦١) فأكرمه أمير المؤمنين المستنصر بالله وأمر بأجراء النزل له . الى ان قال وكان ينسب الى (مذهب) الاعتزال ورفع ذلك الى السلطان فأمر بإخراجه من البلد وكان في رجب سنة (٣٧٣) فصار بثيرت عند بنت له اه

﴿ومنه﴾ العلامة محمد بن عيسى بن حنين التميمي القاضي نزيل سبته ذكر العلامة ابن الأبار في معجمه بصحيفة ٩٦ انه انتقل مع ابيه من فاس الى سبته وأصله من ﴿تاهرت﴾ ويعرف بابن الدقاق

﴿ومنه﴾ العلامة عبد الله بن محمد بن عيسى بن حسين التميمي التاهرتي نزيل سبته ذكره ابن الأبار في الصلة منسوباً الى ﴿تاهرت﴾ بصحيفة (٥٢٦) (ومنه) العلامة الحسن بن علي بن طريف ابو علي النحوي نزيل سبته قال ابن الأبار في المعجم بصحيفة ٧٢ يعرف بالتاهرتي روى عنه القاضي عياض

(ومنه) العلامة قاسم بن عبد الرحمن تلميذ ابن حماد نسبة المؤرخ الضبي الى (تاهرت) وقال في صحيفة (١٨٨) من البغية دخل الاندلس وكان من جلساء بكر بن حماد التاهرتي ومن اخذ عنه قاله ابو محمد بن حزم اه وذكر ابن

بشكوال في الصلة انه من اهل الحديث

﴿ ومنهم ﴾ ابنه العلامة ابو الفضل قال ابن بشكوال في الصلة ومن الغرباء احمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي الناهري البزاز يكنى أبا الفضل الى أن قال مولده يوم الثلاثاء عند انصداع الفجر في اول ربيع الاول سنة (٣٠٩) وولد (بتاهرت) الى أن قال وكانت ابوه محدثا قال ابو الفضل بدأت بطلب العلم سنة (٣٣٤) وانا ابن (٢٥) سنة ودخلت الاندلس سنة (٣١٧) وانا ابن ثمانية أعوام وتوفي في جمادى الآخرة سنة « ٣٩٥ » اه وذكره الضبي في البغية أيضاً وقال توفي سنة « ٣٩٦ » فزاد سنة على ابن بشكوال وأثنى عليه وقال وقد روي عنه ابو عمران القاسمي موسى بن عيسى بن ابي حاج فقيه القيروان وهو روى عن منذر ابن سعيد القاضي

﴿ ومنهم ﴾ ابن الخزاز وقد سافر الى البصرة المدينة المشهورة بالغرب وهي من فاس على اربع مراحل فأعجب بجمال نساءها كما ذكره الحموي نقلا من كتاب المسالك حيث قال ونساء البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب اجمل منها قال احمد بن فتح المعروف بابن الخزاز التبرقي يمدح ابا الميث عيسى بن ابراهيم بن القاسم

﴿ قبح الاله الدهر الا ثينة ﴾

﴿ بصرية في حمرة وياض ﴾

(الحر في لحظاتها والورد في وجنتها والكشيع غير نقاض)

(في شكل مرجحي ونسك مهاجر وعفاف سني وست ياوض)

(ليبرت) أنت خلية وبرقة عوضت عنك بصره فاعتاض

(لا عذر للحمرء في كلقي بها * أو تستفيض بأبجر وحياض)
 و - ائق المراكشي الماكية بمينها الا انه اتي بدلاً من صدر البيت الاول بقوله

* ما حاز كل الحسن الا قينة *

وأتى بدلاً من عجز البيت الثاني بقوله

* وجنلتها هيناء غير مخاض *

وهما أرق وألطف من الاولين فيما يظهر

* ومنهم * سعد بن أشكل التيهري الزائل فيما تقدم يتشوق الى مدينة

* تهرت * مسقط رأسه و بهجو مدينة تلس داروفاته *

* وأصبحت عن * تهرت * في دار غربة *

* وأسلفني مر القضاء من القدر *

الى آخر الآيات

* ومنهم * العلامة السلفي قال الحموي والوجه ناحية بالمغرب من

اعمال * تاهرت * نسب اليها السلفي ابو محمد عبد الله بن منصور التاهري

قال وكان من الفضلاء في الأدب والفقه وله شعر وكتب عني من

الحديث كثيرا

~ مدينة سجلماسة ~

ولما انتهى الكلام بقدر الامكان على * تهرت * وما نسب اليها من

البلاد وما دخل في دائرتها ابان عمرائها بالاباضية تحت سيادة بني رستم ثم

أن نأتي استطراداً بطرف مما وصف به المؤرخون مدينة سجلماسة قاعدة ملك

بني مدرار التي كان بعض ملوكها اباضية كما سيأتي وكانت عامرة بالاباضية

حافلة بعلمائهم يؤمها الادباء ورجال العلم من اطراف البلاد للانفاذة والاستفادة
 كما يؤمون نيهرت * وقد تكلم عليها المؤرخون فقال المؤرخ الحموي (سجلاسة)
 بكسر اوله وثانيه وسكون اللام وبعد الالف سين مهملة * مدينة في جنوب
 المغرب في طرف بلاد السودان ينما وبين فاس عشرة ايام لقاء الجنوب وهي في
 منقطع جبل درن وهي في وسط رمال كرمال زرود ويتصل بها من شمالها جدد
 من الارض يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيل مد البصر *
 على أربعة فراسخ منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجاري * فيه من
 الاغصان الشديدة الحلاوة مالا يحدو فيه ستة عشر صنفا من الثمر ما بين
 عجوة ودقل وأكثر اقوات أهل سجلاسة من الثمر وعلتهم قليلة ولناسهم يد
 صناع في غزل الصوف فمن يعملن منه كل حسن عجيب يبيع من الأزر
 تقوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثين دينارا واكثر
 كأرفع ما يكون من القصب الذي بمصر يعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل
 ذلك ويصبنونه بأنواع الأصباغ وبين سجلاسة ودرعة أربعة ايام واهل هذه
 المدينة من أغنى الناس واكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة الى
 هي معدن الذهب ولاهلها جراحة على دخولها * وقال الادريسي في النزعة
 وأما (مدينة سجلاسة) فمدينة كبيرة كثيرة الممر وهي مقصد للوارد
 والصادر كثيرة الشجر والجنات رائقة البقاع والجهات * ولا حصن عليها وانما
 هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر لها كثير الماء يأتي اليها من جهة
 المشرق من الصحراء يزيد في الصيف كزيادة النيل سواء ويزدريع بمائه حسبما
 يزرع فلاحو مصر ولزراعته اصابة كثيرة معلومة وفي بعض الاعوام الكثيرة
 المياه المتوارة بخروج هذا النهر ينبت لهم ما حصدوه في العام السابق من

بذر وفي الاكثر من السنين اذا فاض الثمر عندهم ثم رجع بذروا على تلك الارضين زرعهم ثم حصدوه عند تناهيه وتركوا جذوره الى العام القادم فثبت ذلك من غير حاجة الى بذر زراعة ووضحى الخوقلي أن البذر بها يكون عاماً والحصاد في كل سنة الى تمام سبع سنين لكن تلك الحنطة التي تثبت من غير بذر تنمير عن حالها حتى تكون بين الحنطة والشعير وتسمى هذه الحنطة (بردن تيزواو) وبها نخل كثير وانواع من الثمر لا يشبه بعضها بعضاً وفيها الرطب المسمى بالبرني وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها صغار في غاية الصغر ولا أهل هذه المدينة غلات القطن وغلات الكمون والكروياء والحناء ويتجهز منها الى سائر بلاد المغرب وغيرها وبنائها حسنة غير أن المخالفين في زماننا هذا أتوا على أكثرها هدماً وحرقاً انتهى

وقال العلامة المقدسي **سجلماسة** قصبة جليلة على نهر بمزول عنها يفرغ في قبليها وهي طولانية نحو القبلة عليها سور من طين وسطها حصن يسمى المعسكر فيه الجامع ودار الامارة شديدة الحر والبرد صحيحة الهواء كثيرة الثمار والاعناب والزبيب والقواكه والحبوب والمان والخيرات كثيرة الغرائب موافقة لهم يقصدونها من كل بلد ومع ذلك ثمر فاضل برستافها معاذن الذهب والفضة وهم أهل سنة وقوم () حياذ بها علماء وعقلاء لها باب القبلي باب الغربي باب غدير الجزارين باب موقف زناتة وغيرها وهي في رمال اه

وقال صاحب المسالك ان سجلماسة مدينة عظيمة في جنوبي مدن بر المدوة متصلة بالصحراء الكبيرة من اكبر مدن المغرب واشهرها ذكراً

في الآفاق وعليها نهر كبير ذات تصور مشيدة وأبنية عالية وأبواب رفيعة
 صحيحة الهواء للجاورة اليبس الى أن قال وبها نخل كثير ثمرة على اصناف يجعل
 منه الى عامة الغرب ويفضل ثمرة ما سواه حتى يضاهي به ثمر العراق وثمرها
 يضرب به في المغرب المثل ولها بساتين خضرة نضرة اه وكان لها أعمال
 واسعة ومدن كبيرة مشهورة ذكر العلامة البشاري منها في الحجاب هذه
 درعة * تاد نقوست * اثرايلا * وليميس * حصن ابن صالح *
 النحاسين * حصن السودان * هلال * إمصلي * دار الامير *
 حصن برادة * الخيامات * تازروت * اه

وقد تكلم عليها المؤرخون فقال الادريسي * في درعة * ودرعة
 ليست بمدينة يحوطها سور ولا حفير وانما هي قرى متصلة وممارات
 متقاربة ومزارع كثيرة يتناول ذلك فيها جبل واخلاق من البربر وهي على
 نهر سجلماسة النازل اليها وعليه يزرعون غلات الحناء والكمون والكروياء
 والنبيلج ونبات الحناء يكبر بها حتى يكون في قوام الشجر يصعدون اليه
 ومنها يؤخذ بذره ويتجهز به الى كل الجهات ونبات الحناء لا يوجد بذره
 الا في هذا الاقليم فقط ولا يوجد بغيره من الاقاليم البتة وأما النبيلج المزروع
 في درعة فليس طيبه هناك ولكنه يتصرف به في بلاد الغرب لرخصه وربما
 خلط مع غيره من النبيلج الطيب ويباع معه اه

وقال العلامة البناء ودرعة لها رستاق واسع ومنابر على نهر جراد نحو ٦
 ايام و (عرش) رستاق فيه منابر وسائر المدن محيطة بها في الرمال
 عامرات ومعادن الفضة بتازروت ومعدن الذهب بين هذه الكورة وبلد

السودان وليس في العالم أصفى ولا أوسع منه اه وهكذالكلموا على غيرها
من المدن والله أعلم

وقد تلقى الماموم بسجلماسة رجال صاروا للدين حياة وللأمة هداة
فسارت بذكرهم الركبان واقتصر بوجودهم الزمان ولولم يكن منهم الا
ذلك الطود النافر * والبحر الزاخر * لسان الحكيم * ونبراس الظلم *
الشيخ العلامة ابو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي لا غناها نفراً * كما خلد
لها ذكراً فقد رحل اليها مع العلامة التحريز استاذ ابن الجمع من علماء
اباضية الشرق وتجارها العظام *

او نحل هذا الاستاذ من المشرق الى المغرب وقصد سجلماسة (قال
الشاخي رحمه الله وكانوا) يعني أهلها يومئذ من اهل الدعوة اه) فأقام بها
خير مرشد وأفضل استاذ حتى انتهت به محافلها وتودت مجالسها وعمرت
بالعلوم ربوعها ثم سار الى رحمة مولاه تاركاً من تلامذته علماء واستخين ادباء
مهابين منهم * ذلك الذكي الماهر الأمير ابو يزيد محمد بن كيداد اليفرنى
الذي طنى وتجبى فى آخر أمره حتى استوجب براءة المسلمين منه كما سنأتى
بحكاية بعد هذا ان شاء الله * ذكر هذا صاحب السير رحمه الله نقلاً من تاريخ
أبي زكرياء رضى الله عنه وقال فى صحيفة ٢٧٩ خضره (اى الاستاذ ابن الجمع)
الموت هناك (اى فى سجلماسة) وأوصى بكتبه لأبى الربيع فرجع الى
قسطالية (أى توزر ونقطة وما يليها من بلاد الجريد) واشتهر فى العلوم
واضطربت قسطالية كلها من اجله واختلف أهل سجلماسة بعد أن خرج
من عندهم فى مسألة كادوا يقتلون عليها فاتفق رأيهم على ان يرسلوا امينين
الى أبى الربيع ليعملوا بما يجيبهم به فأدركه الرسولان واجابهم فأخذوا بما قال

واصطلحوا اه ومن اخذ عنه التفسير والفقه واللغة والفنون كافة غير علم الكلام
 ذاك الامامان النيران غر زمانها وزهرة عصرهما ابو القاسم يزيد بن غلد
 وأبو خزر يغلي بن زلتاف رحمهما الله وسيأتي خبرهما والله اعلم

✽ عود الى المقصود بالذات ✽

هذا ولنرجع الى ما كنا بصدد من أمر الامامة بالمغرب وظهورها
 فيه فنقول (ثم اجتمع اهل الحل والمقدم من العلماء والرؤساء وقالوا قد علم
 ما حل بنا من الشنات والافتراق بعد وفاة امامينا ومبارحتنا طرابلس وقد
 اجمعنا على انتخاب مكان غيرها يليق بمنصب الامامة ويكون ملجأ للاسلام
 واذا رزقنا الله الحمد بهذا المكان وتم تحصينه على حسب المرام وجب نصب
 امام اذ لا يستقيم امرنا ولا ينتظم شأننا ولا تجتمع كلمتنا الا بامام نرجع اليه
 في احكامنا ومشكلاتنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم فينا ما اوجبه الله
 ورسوله من حدود الشروع الشريف ويظهر الدين ويؤمن السبل ويحقق
 الدماء ويمضد قنطرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمد في الرعية
 ويوسع دوائر العلوم فان ذلك كله مما لا يسعنا التفريط فيه والتواني اذ كنا
 والله الفضل في درجة القيام بالامامة ولدينا من القوة عدداً وعدة وعلماً ماهو
 كاف لحايتها والدود عن حوضها مع الاعتصام بالله تعالى

فتبادلوا الرأي فيما بينهم بقلوب سليمة من داء الفس والنفاق مطهرة من
 شوائب كدورات الشقاق معطرة بذكي مسك الايمان منورة بأنوار
 الهداية والتوفيق والاذعان وذلك في القرن الثاني من الهجرة عام (١٦٠)
 ستين وقيل اثنين وستين ومائة

﴿ خلافة الامام عبد الرحمن رضي الله عنه ﴾

فاستقر رأيهم بعد طول مذاكرة على نصب الامام الولي اشرلوا العلم
والدين عبد الرحمن بن رستم رحمه الله لما راوه فيه من حميد الخصال ومجيد
الاعمال ولزم المسلمون على تقديمه بطرابلس لولا امتناعه ولرضاء الامام ابي
الخطاب رحمه الله عنه اذ ولاه قاضيا ثم عاملا كما صروقه تكلم العلامة
المؤرخ ابن الصغير المالكي المغربي في تاريخه على خلفاء بني رستم (بتبروت)
كلما يروح الأتس ويشفي الغليل تأتي يعض ما وقفنا عليه منه مع الأسف
على ما فقد ولم نشره له على خبر كلما بحثنا عنه ﴿ قال ﴾ عند ذكره لهذا الامام
الجليل مانصه ﴿ ثم نهضوا اليه بأجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الامام
(ابو الخطاب) في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك وتقدمك على انفسنا فقد
علمت انه لا يصلح امرنا الا امام ناجيا اليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب
من أسبابنا فقال لهم ان اعطيتموني عهد الله وميثاقه على الطاعة فيما وافق الحق
وطابقه قبلت ذلك منكم فاعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه
مثل ما شرط عليهم وقدموه على انفسهم والقوا اليه بأيديهم (قال ابن خلدون
في ١٢١ من ٦ وبايموه بالخلافة) فسار فيهم سيرة جميلة حمداها أولهم
وآخرهم ولم ينعوا عليه في احكامه حكما ولا في سيره سيرة وسارت بذلك
الركبان الى كل البلدان وكانت له نصص حكموها عنه لا يمكن ذكرها الا
على وجهها وأن اتجرى فيها الصدق ولا احرفها عن معناها ولا ازيد فيها ولا
انقص منها اذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس في شيم ذوي المروآت ولا
من اخلاق ذوي الديانات وان كنا للقوم مبغضين وليسرهم كارهين اه
ثم شرع في بيان تلك القصص حسبا وعدا الا أن في عباراته من التطويل

وبعض التكرار ما هو معزوف من تأليف اغلب المتقدمين فخذها مني ايها القارئ متبسة من كلامه بعضا باللفظ وبعضا بالمعنى مشيرا الى ما كان بلفظه خالصا لمريم بكلمة (قال) والى ما كان باللفظ ثارة بالمعنى اخرى مع اضافة شئ نزر من كلام غيره مما له المام بالمقام بلفظة (ممزوج) تذهيطة للنفس بالفنن في الاسلوب وطلبا للاختصار بطرح المكرر مع كمال التحري والله على ما اقول وكيل *

{ قال }

لما ولي عبدالرحمن بن رستم ما ولي من امور الناس شمر مئزره واحسن سيرته وجلس في مسجده للارملة والضعيف لا يخاف في الله لومة لائم وطار صيته في اطراف الارض شرقا وغربا حتى اتصل ذلك باخوانهم اهل البصرة وغيرها من بلاد الشرق اه فتباثروا وقالوا قد ظهر بالمغرب امام ملاء عدلا وسوف يملك الشرق وعلاء عدلا ايضا فانشطوا الامداده وجدوا لاعانه ورب يوم ياتي يشملكم فيه عدله وبمحكم حكمه ان تذكر الله بذلك واراد بكم خيرا

{ الاعانة الاولى من اهل المشرق لامام المغرب }
(امتحانا واستكشافا لآحواله)

(ممزوج) وعند ذلك دبت فيهم الغيرة وسري فيهم روح النشاط وتسابقوا الى البر فجمعوا أموالا عظيمة ووجهوها اليه مع ثمر من ثقاتهم وقالوا لهم انهضوا بهذه الاموال حتى تردوا حاصدة امامته فاذا وجدتم الامر كما نقل الينا من حسن السيرة واقامة العدل بالكتاب والسنه واعلاء كلمة الدين

فادفعوها اليه ليستعين بها على ذلك (والا فقرقوها في فقراء المسلمين
هناك) فسار القوم على بركة الله الى أن بلغوا مدينة **تِهْرَت** ونزلوا
بالمضلي الذي به قبر مصالة اليوم () فأنأخوا جباههم ووضعوا أحمالهم
ودخلوا من باب الصفا يسألون عن دار الامام الى ان اهتمدوا اليها (وكانوا
يظنون انها على شيء من المعطمة كديار ملوك الشرق) ولما وصلوها وجدوها
دار زاهد ورع ووجدوا عند الباب غلاما يمجن طينا ويناوله لآخر (هو
الامام) يصلح به بعض خلل فيه فسلموا على الغلام وطلبوا منه ان يستأذن
لهم على الامام ويخبره بانهم رسل اخوانه المشاركة اليه فرفع الغلام رأسه نحو السطح
وقد علم ان الامام سمع كلامهم فأشار اليه أن يصبر ثم قليلا فصبرهم الى
أن نزل وغسل ما كان يديه من الطين وجدد الوضوء واذن لهم فدخلوا
فوجدوا رجلا جالسا على جلد فوق حصير وما في البيت شيء سوى سدة ينام
عليها وسيف ورمح وما اشبه ذلك من السلاح الوقتي وفرس فسلموا عليه
وبلغوه سلام اخوانه فباهم بأحسن تحية وامر الغلام فاحضر مائدة عليها
قرص سخنة وشيء من سمن وملح فشم القرص في السمن وقال على
اسم الله ادنوا وكلوا فقدموا واكل منهم اكراماً لهم وهضموا لنفسه ثم قال
ما وراءكم وما الذي جاء بكم ايها الاخوان فقالوا دعنا نخلو ببعضنا ساعة ثم
نكلمك فأخلى لهم المكان وقال بعضهم لبعض يكفيننا عن السؤال عنه ما
رأيناه منه مشاهدة من اصلاحه لداره بنفسه ومن طامه ولباسه وحلية
بيته فأننا الا ان نسلم له المال ولا نستشير فيه احدا ثم أقبلوا عليه وقالوا له
اعزك الله بمثنا اليك اخوانك بثلاثة احمال من المال تقوي بها على عملك وتصلح
بها بعض شأنك (فنفضل علينا بقبولها) فقال هذه الصلاة قد حضرت

ونحن ذاهبون الى المسجد الجامع فنعلم المسلمين بما جئتم به حتى نرى رأيهم فيه فقالوا الأمر في ذلك اليك وخرجوا ولما اتوا المسجد وأدوا الفريضة نادى منادي الامام قائلاً لتذهب العامة وليتخلف من كل قبيلة وجوها فخرج عامة الناس وبقي الوجهاء وأهل الشورى وعقدوا مجلساً ثم قال للرسول أخبروا اخوانكم بسبب مجيئكم وبما اتيتهم به ولما أخبروهم استشارهم في امر المال فقالوا الرأي رأيك والأمر أمرك ولكن هذا رزق ساقه الله الينا بطوع من اخواننا وبدون سؤال منا والمناسب ان وافقتنا ان تحضره بين يديك ونجعل منه ثلثاً في الكراع وثلثاً في السلاح وثلثاً في فقراء المسلمين وضعتهم فقال للرسول قد سمعتم رأي اخوانكم فما تقولون فقالوا سمعنا واطعنا واحضروا المال في الحال وما خرجوا من هناك حتى قسم على الوجه المذكور (وبعد ان اقامت الرسل ما اقامت من المدة بين اكرام واحترام توجهت حامدة تلك السيرة شاكراً ذلك الصنيع) وبعد وصولهم المشرق أخبروا اخوانهم بما رأوه مما أدهش عقولهم وحير افكارهم من زهد الامام واستقامته وعدله فازدادوا بذلك فرحاً واستبشاراً *

ثم شرع الامام في شراء الكراع والسلاح وقوى بيت مال المسلمين بالذخائر الحربية ومهمات الدفاع الوقائية وتقوى الضميف وانتعش الفقير وتحسنت الاحوال وسارت الركبان بأخبارهم في الآفاق ودخل الرعب كل من اتصل به خبرهم من الملوك والأمراء على اختلاف مراتبهم وأنسوا من انفسهم قوة دعمهم الى توسيع نطاق العمران والتمدن في الافطار لتمهيد البلاد وبسط العدل ونفخ روح الاخوة والاتحاد بين أفراد العباد فشرعوا في العبادات والبناء واحياء الموات وغرس البساتين وأنواع الاشجار واجراء

الانهار وسوقها من مكان الى مكان واتخاذ المطاحن عليها والمستغلات. وتقنوا في الصنائع وتسابقوا في ميادين المعارف وفنون العلم ونصبوا لواء الأمن والهناء وطمحت انظارهم الى اخضاع كل من ناوأم وحاد عن جادة الانصاف من اولي الامارات الخارجة عنهم فهدوا لذلك تامين السبل وتسهيل المواصلات وفتح ابواب التجارة حتى استمالوا الالباب وذلوا الصعاب *

هو قال *

واتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصي الأقطار فقل احد أن ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتى بين اظهرهم لما يراه من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وامانه على نفسه وماله حتى لا ترى دارا الا قبل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي وهذا مسجد القرويين ومربعتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين واستتمت السبل الى بلاد السودان والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الامتعة والمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار قابلون اه بلفظه *

اقول ولهذا والله اعلم يوجد بالمغرب وخصوصاً بجبل نفوسة اماكن وقبائل كثيرة تسمى باسماء اماكن في المشرق ولعلهم اتوا في ذلك الزمن من المشرق * والله اعلم

فن ذلك قبيلة الحمران الاباضية بجبل فسطو القاطنة بقريتهم المسماة بهذا الاسم وفيها مقام ابي نوح الرساوني صاحب الكرامات الظاهرة المذكور في تاريخ الشماخي رحمه الله

ومن ذلك الموضع المعروف بمجزوي في ظاهر جبل فساطو أيضاً * ومن ذلك قبيلة طرميسة التي منها الشيخ عيسى الطرميسي العلامة المشهور في السير وهي الآن في قرية صغيرة على رأس جبل بين بلدة (جادو) (وتاردية) ومن ذلك الموضع المسمى بمجدوبة بناحية ككالة وهو جبل صعب الراقى جداً بجانب جبل يفرن لناحية الشرق يتحصن فيه الناثرون على الملوك في تلك الجهات من قديم * ومن ذلك جبل غريان العامر الآن بقبائل مالكية المذهب خرجوا عن مذهب الاباضية أيام عمهم الجبل وانقطعت منهم الملأ والمرشدون وذلك في عصر الشيخ الجليل العلامة اسماعيل بن موسى الجيطالي من ناحية فساطو مؤلف كتاب القناطر وكتاب قواعد الاسلام وغيرهما وكان له معهم في هذا الباب كلام * وغير هذا من الاماكن كثير لو تبيناهم لخرجنا عن موضوع كلامنا والله أعلم

❦ الامانة الثانية من أهل المشرق لامام المغرب ❦

❦ عبد الرحمن بن رستم ❦

❦ ممزوج ❦

ثم في العام الثالث من رجوع الرسل الى البصرة اجتمعت الاباضية بالمشرق وعنفهم بالبصرة وراسلوا من لم يمكنه الاجتماع بهم وقالوا ان اخبار التقدم في الاستقامة عن هذا الامام لازالت شائعة وعحاسنه مستفيضة وعدالته ذائعة فهو جدير بأن يكون في المغرب خلفاً عن الامام أبي بلال وأبي حمزة المختار بالمشرق فلا تذخروا عنه مالا ولا تحبسوا عنه عطاء وأعينوه بكل ما قدرتم عليه اذ بالمال (مع العلم والمعدل) تشد أركان الدولة وبه يوطد عماد

الدين وبه تملو كلمة الاسلام وأهله ولكم في ذلك الشرف العاجل والثواب
الآجل *

فما كان غير بعيد حتى اجتمع عشرة أحمال ذهباً فكلفوا بتبليغها الرسل
الأولين لخبرتهم واطلاعهم على كنه الحال في تلك الافطار حتى اذا رجعوا اليهم
اخبروهم بما رأوه من الفرق بين الحالين فساروا من (مدينة) البصرة في كنف
الله وحفظه الى أن وصلوا (مدينة تهرت) ونزلوا بمنزلهم الاول ودخلوا المدينة
فراوا هيئتها قد تبدلت ولاح عليها رونق المدينة والملك وعلت وجود أهلها سياء
الحضارة والرفاهية وبدت من محياهم آثار النعمة والفنى وأزينت المدينة بقصور
مشيدة ودور منظمة وأبنية مبهجة وقباب مرتفعة وأسواق مزدهجة ومساجد
متعددة بمنازل عالية وحمامات متقنة يحيط بها بساكن متنوعة ومطاحن منتصبة
على تلك الانهار الجارية واتخذ أهلها الفرش والستائر المزخرفة والخليل المسومة
(وقد صر أنها معدنها) وتنوعت الألبسة وتمددت اللغات والأزياء ورأوا
ما لم يخطر لهم ببال ولا سمعوه في مجيئهم الاول بحال من الاحوال .

وعند ذلك دار في خلدكم قائد الوم وتسلطن عليهم سوء الظن بحال
الامام فتسارعوا الى داره ليروا ما تغير من هيئته وحاله فالتقوه بأحسن
ما عرفوه به قبل ذلك من حسن المقابلة والتواضع والزهد في الدنيا مع الحزم
السكامل في ادارة شؤون الامامة وداره كما هي عليه من قبل فاطمات
خواتمهم بدخ الاطمئنان الا أنهم خافوا أن يكون ذلك من ظواهر
الامور فلم يخبروه بشي من شأنهم وخرجوا من عندهم ليكتسبوا الحقيقة ممن يظنون
فيه الصدق والامانة في القول فلاقوا رجالا يثقون بهم ويستأنسون اليهم
فسألوه عن الاحوال فأخبروهم بحسنها وبأن الامام على ما هو مشهور به

وأكثر من ذلك من حسن السيرة والعدل في الأحكام وإتلاء شأنت
الاسلام وأهله ثم أخبروهم بما معهم من المال واستنصحوهم فأشاروا عليهم
بتقديمه له وقالوا لهم انا لانراه بقبله منكم وان قبله لم يصرفه الا في مواضعه
الشرعية وفي مستحقه كأول مرة فأتوا الى الامام بعد ذلك وأخبروه
بالمال وبمال من خلفوه بالمشرق من اخوانهم وما هم عليه من موالاته
وولايته والدعاء له فسر بذلك وانشرح صدره ثم سألمهم عن أحوالهم من
حيث الظهور والسكران والقوة والضعف والنبي والفقر في العامة (تلك
الامور التي هم كل حاكم سيامي وعافل غيور) فآخبروه بضد ما أوراده
فاستاء لذلك ثم أمرهم بالحضور الى المسجد الجامع ليخبروا اخوانهم كأول
مرة فحضروا ونادي منادي الامام بذهاب العامة وبقاء الوجوه من العلماء
وأهل الشورى فكان ذلك كله في الحين وأمرهم باحضار المال واخبار
اخوانهم فاحضروه واخبروهم وبأنهم سلام اخوانهم ثم استشار جماعته في
شأنه فقالوا له الأمر في ذلك اليك فافعل من شئت فقال أما انا اذ رددتم
الأمر فيه إلي فلا أرى الارده الى أربابه ليعينوا به ضعفاءهم وفقراءهم وما
قبلنا منهم من قبل هذا ما أتوا به الا لما بناؤنا ذلك من الحاجة اليه وأما الآن
فكنا والله الفضل خاصتنا وعامتنا وبيت مالنا في غنى عن الامانة وهم أحق
به منا فليفضلوا علينا برذه ولهم منا مزيد الشكر فوافقوه كلهم على
هذا واستصحبته الرسل لما في رده من المشقة والعناء لبعد المسافة فترددوا
اليه المرة بعد المرة مع من التمسوا منه المساعدة من أهل الرأي المقربين عنده
في قبوله فلم يساعدهم واذا ألحوا عليه آلى بإيمان منالطة ان لا يقبل منهم دينارا
ولا درهما ولما استئشسوا من امساكه ولوا به راجعين الى ان وصلوا البصرة .

قال

فمظم ذلك عند القوم خطر عبد الرحمن وزاد في قدره ورأوا أنه لو كان طالباً دنيا أو مؤثراً لها لرغب في الاموال فمضد ذلك رغب القوم في امامته ورأوا انها فرض عليهم ثم لم تزل الرسل تختلف وتطلع الاخبار والبلد زائدة والعمارة في ذلك كله نامية والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة وأصحاب شرطته والطائفون قائمون بما يجب وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم ويأتون أهل الشاة والبعر فيقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء ويمن الشاة والبعر فاذا صارت أموالا دفع منها الى المال بقدر ما يستحقون على عملهم ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم أمر باحصاء الفقراء والمساكين فاذا علم عددهم أمر باحصاء ما في الاهراء من الطعام ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشتري منه اكسية صوف وجباب صوف وبراً وزيتاً ثم دفع في كل اهل بيت بقدر ذلك ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما أشبه ذلك فيقطع منه لنفسه ولقضاته وأصحاب شرطته والقائمين باموره ما يكتفيهم في سنتهم ثم ان فضل فضل صرفه في مصالح المسلمين اه بلفظه

دهاء هذا الامام وحسن تصرفه مع اماره مستقلة

{ عن تهرت بعض ملوكها اباضية }

كان هذا الامام رحمه الله ذا بصيرة وقادة * وفكرة نقادة * موقفا في أعماله متديراً في حركاته وسكناته مراعيها كل المراجعة بكل حذق عواقب

الامور متحرراً بمبادئها عن أواخرها شأن كل حكيم حكمته التجارب
وتواردت عليه عوامل تقلبات الدهر وأحواله حتى انه لما توفي أبو حاتم
(الامام قبله) بنواحي طرابلس سنة ١٥٥ كما مر وانقضت تقزاوة بعد
ذلك في أفريقية سنة ١٦١ وولوا عليهم صالح بن نصير (قال ابن
خلدون ودعوا الى رأيهم رأي الاباضية) وانزموا بعد وقائع متعددة ولم
تقم لهم قائمة تروى عبد الرحمن في الامر وتثبت في الرأي فاستنتج ان
السكون والمهادنة أولى بهم وأصالح لشأنهم حتى يندمل جرحهم ويلتئم فلهم وتشتد
قوتهم وتجتمع قوام فقال الى الدعة وجنح للسلم راكناً في ذلك الى استجلاب
الخواطر واستمال المجاملة مع المتأخمين لحدوده فكانت صاحب القيروان على
ان يكف نفسه عنه ويستقل كل بما لديه وما لديه من حيزه فقبل منه ذلك
بكل ارتياح كما ذكره ابن خلدون اذ قال في ١١٣ من (٦) ورغب عبد
الرحمن بن رستم صاحب فاهرت سنة ١٧١ في موادة صاحب القيروان
روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فوادعه اه ومما يمد من سياسته
وآرائه النافعة مصاهرته لمدرار بن الياس أحد ملوك سجلماسة حتى آل الامر
الى ما تستسمعه أيها القارىء ان شاء الله .

﴿ خطبة رئيس الصفرية لأروى ﴾

﴿ كريمة الامام عبد الرحمن رحمه الله وأخبار ذلك ﴾

كانت الصفرية في نواحي سجلماسة في جموع كثيرة تفوق الحصر غير
مستقلين بالامر ثم اجتمعوا على تأسيس مدينة سجلماسة فكان ذلك سنة ١٤٠
أي قبل تأسيس تيهرت ﴿ بربع سنين ودخل اكثر مكناسة المجاورة
لهم في مذهبهم ولما قوي أمرهم وتألفت كلمتهم قدموا عليهم بالبيعة عيسى

ابن يزيد ثم قتله وولوا أبا القاسم سكو بن واسول وكان أباضياً كما ذكر
ابن خلدون في صحيفه ١٣٠ ثم مات سنة ١٦٧ فولوا ابنة الياس ثم خلفوه
وولوا اخاه اليسع وهو الذي شيد سور سجلماسة وحصونها وعلى عهد
استفحل أمرهم واشتد ملكهم وكان يرى في نفسه العظمة لكثرة الجنود
والاتباع وله ابن يعرف بمدرار فلم ير له كفواً للمصاهرة غير الإمام عبد
الرحمن وكانت له ابنة تعرف بأروى نخطبها اليسع وبعد أن أظهر الامام
المنة والامتناع مع الحاح الخطيب أجابه الى طبه وزوجها من مدرار ابنة
ولم يصنع للمعترضين والمنكرين عليه مؤملاً ان يأتي يوم ما على أولادها ان
قدر الله بحملها وهم على مذهبه فيضمهم هو أو خلقه اليه أو تتوثق علائق الوداد
بين المملكتين فلا يطرقه منهم طارق سوء ولا يأتيه من قبلهم ما يكدر
راحته او يوجب له قلقاً أو خلا في داخلته اذ كان تحت حكمه من الصفرية
ما يمد بمشرات الألوف من المقاتلين الموصوفين بالشجاعة والبسالة كما ان
بسجلماسة من الاباضية أمثال ذلك من الفرسان الأشداء ولولا حكم القدر
بهذه المصاهرة مع قرب الجوار لكانت الحروب بينهم متوالية والفتن
متتابعة حيث يطلب كل فريق منهم الانضمام الى امام مذهبه ويظهر انتظام حقا
أو باطلا من مخالفه في المذهب الحاكم عليه وهذا أمر طالما سفكت به الدماء انهارا
يجمعه صريد الخروج عن الطاعة ذريعة يتوصل بها الى غرضه وحسب المعتبر
شاهداً ما أجراه الافرنج في عصرنا هذا بجزيرة كريد القاذأ لاخوانهم
المسيحيين من أحكام المسلمين ومأم الآن في نسجه بمقدونيا ادعاءً بهذا الوجه
عنه غير على بني جلدتهم وحمة دينية لا انصافاً وحقا وبأمر هذه المصاهرة
التي دبرها الامام كفي شر ذلك كله وكانت العاقبة ما استراه ..

حمل أروى بنت الامام بولها ميمون

كان من قدر الله وقضائه ان حصلت الالفه وخسن العشرة والوفاق
 التام بين الزوجين اثباتين مذهبا ومشربا المتباعدين دارا ونسبا (مدرار
 وأروى) وحملت أروى ووضعت ولداً سموه ميمونا وكان لزوجها ولد آخر
 من البني اسمه ميمون أيضاً ولما مات والد مدرار تولى هو أمر الصفرية
 سنة ٢٠٨ وتلقب بالمتنصر وطالت ولايته فكان مع الرستميين في ولده
 ومسالمة باب المصاهرة ولشغفه بزوجته أروى مع مارآه في ابنها ميمون من
 الكفاءة حدثته نفسه بتسليم أمر مملكته اليه في حياته ولما أحس ابنه ميمون
 الثاني بذلك أوعز الى رؤساء الصفرية ومقنديهم بذلك فهاجوا وماجوا
 واضطربت أقوالهم واستعظموا الأمر خوفاً من انضمام ملكهم الى ملك
 بني رستم ومن سيادة الاباضية عليهم في المملكتين فثار ميمون بمن تبعه من
 الصفرية على والده ونازعه الملك وكان بينهما ما كان من الفتن والمقاتلات الى أن
 توفي سنة ٢٥٣ لخمس وأربعين من ملكه وأقام ميمون في الامارة الى ازمات سنة
 ٢٦٣ وولي ابنه محمد قال ابن خلدون في صحيفة ١٣١ وكان أباضيا وتوفي سنة
 ٢٧٠ ثمان من ملكه فولي البسج بن المتنصر (مدرار) الى اراقتحم عليه الشيعي
 سجلماسة سنة ٢٩٦ وقتله وولى عليها ابراهيم بن غالب المراسي الكتامي وبقي
 فيها الى أن قامت عليه أمراء سجلماسة سنة ٢٩٨ وقتلوه وولوا عليهم الفتح
 الاباضي ابن ميمون قال ابن خلدون وبأنهم الفتح بن ميمون الامير بن
 مدرار ولقبه واسول وميمون ليس هو ابن البني الذي تقدم ذكره اه فيظهر
 أنه أراد ميمون بن الرستمية اذ لا ميمون آخر لمدرار غيره قال وكان أباضيا
 وهلك قريبا من ولايته لرأس المائة الثالثة فولي أخوه احمد واستقام أمره

الى أن هجم عليه مصالة بن حيوس من طرف الشيمي فنزعه وولى مكانه
 ابن عمه المعتز فاستبد ومات سنة ٣٢١ وولى ابنه المنتصر الى ان ثار عليه
 كما قال ابن خلدون ابن عمه محمد بن الفتح (الاباضي) بن ميمون (الاباضي)
 الأمير وتقلب عليه الخ اه وذكر أن محمداً هذا رجع في آخر أمره أشعريا
 وتلقب بالشاكر واتخذ السكة باسمه وكانت تسمى الشاكرية الى أن زحف
 اليه جوهر الكاتب في جموع كتامة وصنهاجة سنة ٣٤٧ ففر امامه تاركا
 ملكه ثم قبض عليه واخذه اسيراً الى القيروان واتقضى ملك بني مدرار
 الذي علمت ايها القارئ أن بعض ملوكه صفرية وبعضهم أباضية على ما ذكره
 مؤرخو غيرهم كما سمعته وأما مؤرخوهم فلم يترضوا لهذا الامر قط اذ لا ذكر
 لذلك في سير الشماخي رحمه الله ولا في الطبقات ولا غيره فاما ان يكونوا
 قد احدثوا احداثاً أوجبت البراءة منهم فاهلوا ذكرهم (ولا نلظن انهم
 ارتكبوا من الموبقات أكثر مما اتاه ابو يزيد صاحب الحمار الا في خبره وقد
 ذكره كثير) واما ان يكونوا مذكورين في تاريخ نفوسة الكبير وغيره
 من الكتب القديمة التي لا وجود لها الآن الا بالاسم والله اعلم .

والحامل على ذكرهم هاهنا مجرد الافادة للمطالع ويان ما آل اليه تدبير
 الامام عبد الرحمن رحمه الله وماتج عن مصاهرته لمدرار من بث دعوته في هذه
 المائة القابضة على زمام ملك الصفرية بدون ربح ولا سنان وهذا لاشك
 مما يشهد له بطول الباع في القيام بادارة مملكته واخذ الاحتياطات لدفع كل
 طارئ يطرأ عليها * وأمر المصاهرة وقع كثيراً قديماً وحديثاً من الملوك
 لغرض التوقي من فتنة قبيلة كبيرة او سلطان آخر كما وقع للامام عبد الوهاب
 على ماسياني في كلام ابن الصنير ولتيم بن المعز بن باديس الشيمي صاحب

افريقية فانه صاهر بيته الناصر صاحب القلعة سنة ٣٧٤ على ما ذكره ابن خلدون في صحيفة ١٦٠ وانطقت نار الفتنة بينهما بسبب ذلك * وفي زماننا هذا يقع بكثرة خصوصاً عند الافرنج حتي صار أغلب ملوكهم وأمراءهم أقارب لبعضهم بعض .

وبهذا عظم اتحادهم وقتر ما كان بينهم من الخلاف وتناصروا على المسلمين وتحالفوا على نحو كلمة الاسلام وأهله الذين لم تربطهم ببعضهم بعض الكلمة الشهادة وهي رابطة عند التحقيق منحلة لما تهدد به منذ ظهرت من الاختلافات المذهبية والمشاكل الاعتقادية التي صارت أساساً متيناً لا ترتزله الا زمان والدهور لكل شقاق وتباين بين أفراد الجماعة الاسلامية *

ومن طالع التاريخ ورأى الوقائع الماضية التي جرت بين أهل الاسلام من عهد الصحابة بعد الخليفتين ابي بكر وعمر الى ما لا يبعد عن عصرنا هذا رأى بلاريب ما يرعب قواده ويكدر صفو راحته وأغلبه ان لم تقل كله متولد من اتحال المذاهب ولو كانت لديهم آلات الحرب الحاضرة برأ وبجرأ لقضي أمر هذا الدين وأهله من زمان بعيد

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك * فلو فتح أمراء الاسلام باب المصاهرة بينهم وسعوا في توحيد المذاهب لأصبحوا وكلهم واحدة والحق في ذلك على أعظمهم سلطاناً وأشدهم شوكة في هذا العصر امير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان فانه لو صاهر الامراء المنفصلين عن دائرة نفوذه وحكمه بينات وزرائه فضلاء عن كريماته لبادروا الى معاضدته وعضوا بنواجذهم على حبل الاتصال برشه وأضحوا ولا وجهة لهم

غير انتظار اشارته وفي ذلك مما يهيم العالم بأسره ويزلزل دعائم السياسة مالا يحصى على الناقد البصير .

وكان الامام بالمشرق في عاصمة عمان ذلك الوقت الامام الوارث وذكر أبو زكرياء رحمه الله ان في مدة الامام عبد الرحمن توفي أمام المذهب الكبير أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري رضي الله عنه والصحيح ما سنذكره بعد ان شاء الله .

وكان رحمه الله مشهوراً بالعلم معدوداً من فحول العلماء الراسخين له تفسير جليل القدر تكلم عليه المؤرخون ولا وجود له الان * وله ديوان خطب نفيسة ذكر الملامة الوارجلاني رحمه الله أنه رآه * وله رسائل متعددة وجوابات كثيرة مفيدة في فنون من العلم بعضها موجود وبعضها مفقود وبالجملة فقد كانت مدة هذا الامام بالمغرب أيام سكون وراحة وعدل لا حرب ولا شقاق وكان محبوباً عند الجميع مهيئاً مطاع الاوامر والنواهي .

❦ وفاته ❦

(قال) فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عنه ولا طاعن يطمع عليه الى أن اخترمته منيته وانقضت أيام مدته وكنت قد وقفت على عدد امارته كم كانت ولكن نسيته مع مرور الايام وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بسيد الوهاب وكان محمود الافعال وكان قد رشحه لقيام بعده فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية اليه الامر بعده اه

أقول ولما أيقن رحمه الله بدتو الاجل وانقضاء العمر وأيس من الحياة تأسى بأمير المؤمنين ثاني الخلفيتين صهر بن الخطاب رضي الله عنه واقفى أثره

اعتنا بشأن الاسلام والمسلمين فحمل الامامة شورى بين سبعة رجال من
تفرس فيهم الصلاح لتلقيها بما أحرزوه من كمال الاقتدار وبما علمه فيهم من
التضلع في العلوم مع التقوى والورع * وهم ولده المهام العلامة المقدام عبد
الوهاب * والعلامة مسعود الاندلسي ذلك الرجل الفاضل البارع في الفقه
وغيره الشهير بالورع * والعلامة أبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني * والعلامة
عمران بن مروان الاندلسي * والعلامة أبو الموفق سعدوس بن عطية * والعلامة
شكر بن صالح الكتامي * والعلامة مصعب بن سمدان..

ولما ختمت أفعاله رحمه الله وسيقت روحه الطيبة الى حيث أراد بارثها
من مواقع التتم ان شاء الله شيع السامون جنازته ودفنوه وولوا وأعينهم
تفيض من الدمع حزناً وأفندتهم ترجف فزعاً * وكانت خلافته أحد عشر
عاماً لا أربعين كما قيل ولا سبعة كما قاله المراكشي وسيأتي وجه ذلك * ثم اجتمع
أهل الشورى منهم والصالحون للنظر فيمن يولونه الامر بعده * ولشدة محرابهم
رحمهم الله لم يقصدوا بها أحداً الا وتبرأ منها ودفعا على ما يخرج موقفاً بوقي الامر
كذلك موقفاً نحو شهر كامل لم يثبت لهم فيها قرار ولم يستقر لهم رأي الا ان
لعمامة الناس ميلاً زائداً الى اثنين من السبعة المذكورين وهما الامام عبد الوهاب
والعلامة مسعود الاندلسي فبعض يريد هذا وبعض يرغب في ذلك ثم مال الكل
الى مسعود وقاموا لمبايعة وفي حين ما أدركه الخبر اختفى فراراً من الوقوع فيها
واذ لم يجدوه أهرضوا عنه وابتدروا عبد الوهاب لمبايعة * ولما سمع مسعود
بذلك خرج الى مجتمع الناس ليكون في مقدمة المبايعين منهم وكان فيهم يزيد
ابن فندين وقد أدركه من النيرة ما لم يستطع اخفائه اذ لم يرغب فيه أحد * ولما
رأى أنه لا حظ له في الامامة اشتدت رغبته في تولية عبد الوهاب رجاء أن

يدرك في ظله بعض المناصب المالية وان يقدمهم الأمور اعتماداً على علاقة
النسب التي بينهما لما أنه من أحوال عبد الوهاب فان والده عبد الوهاب كانت
يفرقة إلا أن لعله هو ومن معه بما انطوت عليه بواطنهم من المقاصد
السيئة أيقنوا بأن عبد الوهاب على ما هو معروف به من الشدة في الحق والصلابة
في الدين لا يدع لهم مجالاً يلفنون به أمانهم ولو أدركوا من المنزلة عنده
ما أدركوا * ولما وقف الكل بين يدي عبد الوهاب قام ابن فندي
خطيباً فقال انا تقدم لك بيعتنا يا عبد الوهاب على شرط واحد وهو أن
لا تقطع أمراً دون اتفاق جماعة معلومة معك عليه راجياً أن يكون هو
من المنتخبين في ذلك المجلس (وبمثل هذا المطلب ينادي الحزب
المسمى بالاحرار من الترك وغيرهم من أهالي الدول ذات الحكم المطلق
في هذا الزمان) فوقف مسعود وأجابه قائلاً على طريق الإنكار * ماسمعنا
بهذا وما علمنا أن في الإمامة شرطاً غير أن يحكم الامام بكتاب الله وسنة
رسوله وآثار الصالحين أهل الحق والصدق ممن تقدم فسكت يزيد تاركاً
ذكر الشرط وأجمع هو ومن معه من المسلمين على البيعة .

— خلافة الامام عبد الوهاب رحمه الله —

وكناه المراكشي بأبي الوارث ولم نره لغيره *

فقام مسعود الى الامام عبد الوهاب وبايعه ثم بعده الحاضرون وحملوه
الى دار الإمامة في موكب حافل غصت به طرق المدينة ومناهجها وهناك
تمت البيعة العامة وامتلا الناس فرحاً وسروراً وسكن بعض ما كان بهم من
الجزع على والده اذ حل هو في محله ورجوا سعادة مستقبلهم وذلك في صدر
عشرة السبعين بعد المائة تقريباً اذ لم تنف على ما يوجب اليقين في ذلك كلها

بجها غير اننا علمنا أن تولية الامام عبد الرحمن كانت سنة ١٦٠ وانه في سنة
 ١٧١ عاهد صاحب القيروان كما مر غير بعيد وعلمنا أن الامام عبد الوهاب
 كان راسخ القدم في الامامة في تلك السنة نفسها أعني سنة ١٧١ أيضاً على
 ما ذكره ابن خلدون حيث قال في صحيفة ١٩٤ من الجزء ٤ ورغب يعني
 زوها صاحب القيروان في مواعدة عبد الوهاب بن رستم وكان من الوهبة
 فوادعه اهـ ولم نثر على ما يحقق وجود عبد الوهاب في الامامة قبل هذا
 التاريخ ولا على ما ثبت وجود عبد الرحمن بعده فالموادعتان وقعتا في سنة
 واحدة كما رأيت فاما أن تكون الاولى وقعت مع عبد الرحمن مباشرة والثانية مع
 عبد الوهاب بالنيابة عن والده وهذا مما لا معنى له لاختلاف الطالبين لها
 واما أن يكون عبد الرحمن طالب المعاهدة ووقعت وعلى اثرها توفي فطلب
 روح تجديدهما من عبد الوهاب توكيماً منه لما شهر به من علو الهمة والشدة
 فساعفه عبد الوهاب جزاء لما ساعف به والده من قبل وما جزاء الاخسان
 الا الاحسان وهذا هو المناسب والله اعلم فليحذر
 فقام رضي الله عنه بالعدل احسن قيام واجرى الامور على احدث وجه
 وأتقن نظام فظهر ما انطوت عليه خلقه السليمة وانفاسه الكريمة الى عالم
 الظهور من الآثار الشريفة والمقاصد الخيرية والبسلة الكاملة والانعامات
 الشاملة وأرسل في اطراف مملكته ودواخلها اوامره الشديدة بامتثال الاوامر
 واجتناب الانهاهي الشرعية ورتب المال والحكام والقضاة ورجال الشرطة في
 سائر انحاء اتباعه فعمهم عدله وشملهم حكمه ولم ينقم عليه احد شيئاً في احكامه
 وسيرته الى ان حدث خروج ابن فندين عنه

﴿ خروج ابن قندين عن طاعة الامام ﴾

لما رأي ابن قندين ما عليه الامام من الحزم وتنقية ارباب الخبرة والعفة والاستقامة في تعيين الموظفين ولم يبلغ هو ما كان يؤمله من التقديم ونيل بعض المناصب لم يطلق صبرا على ذلك وأظهر الانكار على الامام في توليته لبعض من كان يرى انهم لا ينالون مع وجوده شيئا وقال ان هؤلاء الذين ولاهم الامور ليسوا بأحسن منا سيرة ولا اقوى منا اقتدارا على اشغال الدولة وتدير امر الرعية بل نحن اولى بالتقديم اذ كنا نحن السبب في اخذ البيعة له وغير هذا من الكلام الذي لم يصب من الناس كافة اذنا صاغية ولم يستمل به قلب أحد ولما علم ان ذلك لا يجديه نفعا قام مطالب بالشرط الذي تكلم به أولا (بحاس الشوري باصطلاحنا تقريبا) وتدرج بذلك الى انكار الامامة قائلا انا قد شرطنا عليه أن لا ينهي أمرا دون موافقة جماعة عليه وهما هو قد استقل برأيه ولم يشارك أحدا في شيء ونبذ الشرط ورائه ظهريا فطاعته غير واجبة علينا لفسخه البيعة بتركه الشرط ثم زاد تدرجا في دركات الشقاق واعلن بفساد البيعة من مبدئها بدعوى ان في المسلمين (الاباضية) من هو أكثر منه فهما وأغزر علما وأوسع ادراكا وفكرا فلا يجوز تقديمه ولا البيعة له ماداموا موجودين وطلق ينشر هذه الاقوال في المجامع والمتدييات حتى استمال لفيها من الناس ممن كانوا على شاكلته في المقصد والطبع واكثروا التجوى والاجتماع والدخول الى المدينة والخروج منها الى المنازل والجيال جماعات يتلو بعضها بعضا قصدا لاثارة الفتنة وتشويش الخواطر العامة وارهبا لنفوس رعاي الناس فأبلغهم الامام النهي عن ذلك وحذرهم سوء العاقبة ان لم ينتهوا فقالوا للمرسل اليهم من طرف الامام

هذه مدينتنا وتلك منازلنا فان عصينا في السخول والخروج اليها فليخبرنا
 الامام بوجه ذلك فاعرض عنهم وتركهم وشأنهم مع مراقبة حركاتهم
 وسكناتهم بالتدقيق التام بواسطة الامناء (البوليس السري في اصلاح الان)
 - تدبير مكيدة لقتل الامام -

ولما رأى ابن قندين ومن معه خيبة مساعيمهم وتحققوا عدم نجاحها وانيلها
 بنتيجة تضمن لهم حصول أموالهم فكروا فيمن تقدمهم من الثاثرين على
 الملوك والخلفاء فوجدوهم لم يظفروا بشيء مما كانوا يحاولونه الا بالقتل فلورا
 أعتة أفكارهم الى تدبير مكيدة يتوصلون بها الى الفتك بالامام والتسبب به
 ولشدة تحفظه رحمه الله وأخذوا الحذر من نفسه بما ارتسم في صحيفة ذهنه مما
 درسه في وقائع المتقدمين ووقف عليه في اخبارهم من قتل الملوك في الطرقات
 والتندر بالخلفاء في المساجد حيث كانوا بسطاء الحالة لم يجدوا له سبيلا ثم بعد
 استمالمهم الجهد في التفكير ضلوا الى مكيدة لو لم يعارضها القدر فذهبت
 أدراج الرياح وردت عليهم لكانت القاضية على الامام والهيبة العظيمة
 على المسلمين»

وذلك ان الامام كان له بيت خصصه لنفسه فيه ما يحتاج اليه من
 كتبه يخلو فيه للمطالعة والتمجد بالليل على ما يؤخذ من كتب السير فانفق
 القوم على ان يجعلوا رجلا بسلاحه في صندوق ذي قفل من داخله ويجعله
 اثنان منهم ممن لاروية فيهم الى الامام ويظهران له انهما متارعان فيه ويطلبان
 منه حفظه على وجه الامانة حتى يعودا اليه وكأشهم علموا انه اذ قبله لا يضعه
 الا في ذلك المحل المخصوص به محافظة على الامانة وحرصا عليها فيخرج
 صاحبهم من صندوقه في الليل ويقتله اذا علم انه نام فاتفقوا على هذا الرأي

وتيقنوا بنجاحه وقا. والآنجازة على نحو ما ذكر فرجوا صاحبهم بطلب ورغبة منه في صندوق مصيبيته متقلداً سيفه وهو لا يعلم انه وقع في هوة هلاكه * وانفقوا معه على انه اذا قتله يذهب الى المنارة ويؤذن فيها ليعلموا بتمام مرادهم فيهاجموا المدينة ويحتلوا في ذلك الليل دار الامارة ويتمكنوا من الحصون والنقط الحربية من سور المدينة وغيره مما لا حرس فيه . ولما اتوا به الى الامام اجاب طلبهم وأمرهم بحمله الى المحل المخصوص ولا يخط حركاتهم عند حمله فرائى فيهم من الرفق بالصندوق مادله على ان ما في جوفه انسان وأدرك بفطنته الوقادة في الحال أن المسئلة لا تخلو من كيدة غريبة فوضعه في المكان وذهبوا مستبشرين فرحين بما توقعوا اليه من الرأي .

فأقبل الامام على الصندوق وتأمل فيه ملياً وجسه من جهاته الاربع فلم يجد له قفلاً من خارج فازداد يقيناً فيما فهمه أولاً . ولما جن عليه الليل قضى بما يجب عليه من أمور البيت ثم عكف حسب عادته على مطالعة الكتب جانباً من الليل ولما حان وقت النوم عمد الى زق (قرية) ونفخ فيه حتى امتلأ هواء وربطه ويطا خفيفاً بحيث يخرج منه نفس خفيف ذو حس كنفس النائم ووضع في احدى زوايا البيت وغطاه برداء أبيض ليرى في الظلام وأوقد قنديلاً في زاوية أخرى وغطاه بوعاء يحجب ضوءه عن الناظر وتحنى بجانب من البيت لاحياء بقية ليله بالصلاة والاستغفار ولما أحس صاحب الصندوق بعدم وجود القنديل وسكون حركة الامام ظن انه نام ففتح الصندوق برفق وخرج وسيفه في يده ووقف مصغياً الى أن سمع النفس من القرية وتخليل بياض الثوب في تلك الظلمة فظن انها

الامام فحمل عليها حملة الابطال وقدها نصفين وعند ذلك كشف الامام
الغطاء عن القنديل فبهت الآخر وأحركه التمثل وسقط في يديه فبادره
الامام بسيفه البتار وقده نصفين أيضاً وضعه في ثوبه وردّه في صندوقه حفرة
الخداع وبیت الخيانة وأنتم بقية ليله بالذكرو والصلاة حامداً لربه على ماوقفه
الپنه من التنبيه لهذه المكيدة ولعمري انها لمن أعظم المكائد لو صادفت
الرمي وانها لأشبه شيء بحكاية الزباء وهي من أقوى الدلائل على ماكان
لهذا الامام من الاتباه والتدكاه المفرط *

ولما أصبح الله بالصباح ولم يقع بالمنارة أذان وقد قضى القوم ليلتهم في
سهر تساءلوا فيما بينهم عن صاحبهم وقالوا اما انه لم يفعل شيئاً واما ان يكون
قد دارت عليه الدائرة وقتل ثم اتفقوا على الذهاب الى الامام لاختلاف الصندوق
بدعوى انهم أصلحوا ولم يبق بينهم في شأنه نزاع ولما أتوه قابلهم بكل بشاشة
بحيث لم يفهموا منه مما كان له مع صاحبهم شيئاً وهذا العمر الحق أيضاً من
الثبات الذي لا يطيقه الا أمثال هذا العظيم القلب واذا سألوه رد الصندوق
قال لهم هو في مكانه الذي وضتموه فيه لم يتحول فخذوه ولما حملوه وذهبوا
به الى مأمنهم وفتحوه وجدوا صاحبهم ملفوفاً في ثيابه مخضباً بدمائه وقد
صدق عليه قولهم *

(من حفر حفرة سوء لأخيه المسلم أوقعه الله فيها)

وعندئذ توقعوا فتك الامام بهم فخرجوا من المدينة وأعلنوا أنصارهم
بالتأهب للحرب وصاروا يردون الى المدينة بالسلاح في جموع مع اظهار الشدة
فكرر لهم الامام النهي عن ذلك بواسطة بعض خواص دولته فقالوا ما في
امساك السلاح معصية ولا في حمله من باس والمؤمن بسلاحه وان رأي

الامام ان في ذلك معصية فليتنا بالحجة فتركهم وشأنهم أيضاً وأمر أهل المدينة بأخذ الحذر بحمل السلاح مثلهم والاستعداد للحرب عند مجرد الإشارة منه فازداد الناس خوفاً واشتدت وطأة الثائرين واكثروا من التمدي حتى فتحوا مع الامام باب الحرب وكانت وقائع متعددة سفلت فيها من لدماء ما اضطربه الامام والمسلمون معه الى طاب الهدنة ووضع أوزار الحرب حقناً للدماء الى ان يكتبوا لاختواتهم المشاركة بايضاح القضية وتفصيلها ويورد اليهم الجواب منهم بتخطئة المخطي وتصويب المصيب من الفريقين فقتع الطرفان بهذا الرأي وأذعنوا لاسلم وكتبوا الكتب على نحو ما اتفقوا عليه من حكاية الواقع (وبكل أسف لم نثر على شيء من هذه الكتب قط مع طول البحث عنها) ووجهوها مع امناء مخصوصين ليعرضوها على علماء أباضية الشرق ورجالهم بمصر والحجاز واليمن والبصرة وعمان وخراسان وغير ذلك من بلاد الشرق العاصرة بهم *

ولما وصل الرسل مصر قصدوا العلامة أبا المعروف شميها ومن معه وأخبروه بما كان من وفاة الامام عبد الرحمن ومبايعة عبد الوهاب وخروج ابن فندين وادعائه الشرط في الامامة وغير ذلك مما وقع كله وتوجهوا الى مكة المكرمة وكان بها يومئذ من معتبري علماء الاباضية ورجالهم ذلك العلامة الجليل المحدث المشهود له بالورع المقدم في التقوى والمرجع في الرأي عند المشاركة كافة أبو عمرو الربيع بن حبيب صاحب كتاب المسند في الحديث والعلامة أبو غسان مخلد بن الممر الغساني والعلامة وائل بن أيوب وغيرهم من رجال العلم والدين فدفعوا لهم الكتاب وبينوا لهم مشافهة ما استفهموم عنه وانتظروا الجواب

﴿ جواب علماء المشاركة الى المغاربة ﴾

فجمع الريع رحمه الله خيار المسلمين وعلمائهم والوجوه من أهل الفضل
والصلاح وطرح الكتب في المجلس وبمد مطالعتها وفهم معانيها وادراك روح
القصد منها أجمع رأيهم على رد الجواب بما اقتضته قواعد الشرع العزيز وميزانه
الحكم ولم يألوا جهداً في النصيحة وبيان الحق فجازاهم الله عن الاسلام
وأهله خيراً وهذا نص ما كتبوه بالحرف الواحد *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيئنا محمد وآله الطاهرين ﴾
﴿ اما بعد ﴾ فقد بلغنا يا اخواننا ما كان قبلكم وفهمنا ما كاتبتمونا به *
اما ما كتبتم به من أمر الشرط * فليس من سيرة المسلمين ان يجملوا الشرط
في الامامة ان لا يقضي أمراً دون جماعة *

* ولو صح في الامامة شرط لما أقيم لله حق ولا حد ولمطلت الحدود
وبطلت الاحكام وضاع الحق * على ان الامام اذا قدم اليه سارق فلا يصيب
ان يقيم عليه حداً فيقطع يده حتى تمحضر الجماعة التي ذكرنا أو زني أحد فلا
يرجم ولا يجلد حتى تمحضر أيضاً ولا يجاهد الامام عدواً ولا ينهي عن فساد
الابحرة الجماعة الملوثة والجماعة يتعذر اتقاقها * فالامامة صحيحة
والشرط باطل *

واما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين اذا كان فيهم من هو أعلم
منه * فذلك جائز اذا كان الثاني من القناعة والاعتزل بمنزلة حسنة * فقد ولي
أبو بكر الصديق رضي الله عنه * وزيد بن ثابت أقرض منه * وعلي ابن أبي
طالب أقرض منه * ومعاذ بن جبل أعلم منه * وهذا ليس فيه اختلاف لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرضكم زيد وأقرضكم علي وأقرأكم أبي واعلم

أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وقوله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل
سيد العلماء سيحشر غداً يوم القيامة امام العلماء وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته اهـ

ثم ألقى العلامة نخلة الكتاب الى العلامة عبد الله بن محمد بن مسلمة
وأمره بنقل نسخة منه وحفظها لتكون حجة للمسلمين بعدهم في مثل هذه
الحادثة والله أعلم

✽ ارتحال شبيب من مصر الى تهرت طبعاً في الامامة ✽
هذا ما كان من أمر الرسل مع علماء الحجاز واما العلامة شبيب المصري
فانه لما أخبرته الرسل مع من معه بمصر من العلماء بما صدر من ابن فندين من
شق عصا الطاعة ومفارقة الامام هزته شنشنة الطعم في الامامة وسوات له نفسه
ما لم يكن له أهلاً فغزم على التوجه الى (تهرت) ولما سمع من في مصر من
عقلاء وعلماء الاباضية ورجالهم وكانوا أهل فضل وورع نهوه عن السفر الى
المغرب وقالوا له لا يسوغ لك الذهاب الى قطر فيه من الاختلاف والشقاق
بين الامام ورعيته ماسمعتة ووعيت تفصيله وان كان ولا بد فالزم مكانك
حتى تنفرج أزمة هذه الحوادث وينحسم الاشكال ويزول الاختلاف ثم
ان شئت الزيارة فاذهب في أمان سالماً من التهمة فلم يقنع برأيهم وكانه
أظهر للملاء أنه يريد بذهابه الى المغرب اصلاح ذات البين (وما هو الا من
المفسدين) اذ جعل الامامة نصب غيبه ورآى ان حصولها له أقرب اليه
من جنبيه وما ذلك الا غرور وغلط وجهل بمقام الامامة فهي بعيدة عنه
بعد ما بين المشرق والمغرب ومصر وتهرت لو تأمل -

ثم انه خلا ببعض خواصه وأصدقائه منهم الرجل المعروف بالتوكل

وكشف لهم عن خفي سره واستشارهم فيه وأظهر لهم من وجوه التحسين
وضروب الترغيب ما أخذ بمجامع قلوبهم ومناهم بما جعلهم على مساعفته
وتصويب رأيه .

فخرج بهم في الليل من مصر وطلق يمسح الأرض مواصلاً الليل
بالنهار رغبة في دخول تهرت قبل رجوع الرسل من المشرق فبلغها يوم
العشرين من خروجه من مصر وقد أضنى السير واحلهم وكأثرها من المهجين
الذي يطوي مراحل في يوم ويعرف عند بعض القبائل بالمهري والافان المسافة
بعيدة جداً لا تقطع بالسير العادي الا في اضعاف هذه المدة .

وقبل ان يجتمع بأصحابه استأذن على الامام لتقديم الزيارة فأذن له
وقبله بما يجب من الاكرام والاجترام اذ كان من مشاهير العلماء ورجال
المذهب ولم يخطر له انه انطوى على نية سوء وفساد لما عرف به قبل ذلك
من حسن الحال وبعد السلام والسؤال عن الاحوال الشرقية سأله الجواب
عن المسئلتين المختلف فيهما وامله بما عليه الامام من غزارة العلم والاطلاع
لم يمكنه الا أن يجيب بما هو الحق طبقاً لما أجاب به الربيع ومن معه وهو
أن الامامة صحيحة والشرط باطل وأن امامة من استكمل أوصاف الامام
جائزة ولو كان في المسلمين من هو أعلم منه .

﴿اجتماع شعيب بابن قندين وخروجهما عن الطاعة﴾

ثم خرج وذهب الى ابن قندين وأصحابه فأظهروا له الاستبشار بقدمه
وبالنفا في اكرامه واحترامه وأكثروا التودد له والخضوع بين يديه حتى
طمع في الامر ورجا نيل ما كان يؤمله الا انه ندم كل التدم على ما أجاب
به الامام في المسئلتين واغراء لابن قندين واستماله له بالغ في الرضاء عنه

وفي تخطيطه الامام ووازره على رأيه ورأي جماعته وتداعوا الى الاجتماع خارج المدينة فخرج اليهم كل من كان على رأيهم واجتمعوا بكديّة غير بعيدة عنها واتفقوا على انكار امامة عبد الوهاب والسمي في نزع السلطة من يده وعولوا على الحرب الا انهم لم يجمعوا رأياً على تقديم واحد منهم باسم امام ولو مؤقتاً الا ما كان من تقدم ابن فندين في الرأي لا غير ولما لم يدرك شعيب من هذا الحال نتيجة ولم ينل شيئاً مما كان يمني به نفسه وأصحابه الذين أتى بهم معه من مصر ضاق صدره وخاف ان يكون من المذبذبين لا الى جهة الامام لما ظهر منه من موازنة ابن فندين ولا الى جهة ابن فندين لما صدر منه من الجواب للامام في المسائلين بمحض من الناس وخاف رجوع الرسل من المشرق بتخطيطه ابن فندين وحزبه وهو منهم فتقوم عليهم الحجة ويفارقهم كل عاقل ممن استغفلوه واتبعهم على غير هدى وبصيرة.

قال لابن فندين ما الذي تنتظرونه من القوم وقد أظهرتم انكار الامامة وشهزت عنكم وما لكم في رسل الشرق وكتبه من تقع فناوشوم الحرب املككم تنصرون فلا تعود الرسل الا وانتم قد توليتم الامور وصفت لكم الولاية وارقع النزاع.

فأجابوه الى ذلك وهيئوا أنفسهم وتفقّدوا أسلحتهم وجعلوا ينتظرون غرة الوثوب على المدينة على حين غفلة من أهلها الى ان صادفوا خروج الامام لبعض ما رُب بعيدة عن المدينة فزحفوا بجيشهم ونارت الصيحة الى المدينة وكان أطلع فيها عند أخته قد ظفرت له أحد شقي شعر رأسه فقام قبل ان تتم له الشق الآخر وتقلد سيفه وقد اشتد غيظه وزفرت نيران غضبه على الثارين وكان غظيم البنية قوياً شديداً واقضى أثره أهل المدينة

مساحين وتلاقى الفريقان لدى بابها فوقف أفلح على التبة مدافعاً وانسلخت
رجله الى العرقوب ولم يشمر بها وصارت الابطال تتوارد عليه وهو يناضل
بسيفه متقياً بدرقه الى ان أبانتها السيوف ولم يبق بها ما يصلح للتوقي به
فاختطف احدي دفقي باب المدينة يده وصار يتقي بها وكان ممن أثقل كاهله
بشدة البأس والقوة من مقابليه ابن فندين نفسه فلولى عنان الطرف اليه
وقصده وهو يسوق الناس ميمنة وميسرة وعلى رأسه يضئان وضربه على
قمة رأسه فشقه مع البيصتين نصفين وصوب معه السيف الى ان نشب في
الباب فحس أفلح عند ذلك زلزلة واضطراباً في يده لم يمهدهما قبل ذلك
فظن أن ذلك من صلابة رأس ابن فندين فقال ما أقوى رأسك يا بربريس
يا مشوم ولما خر صريعاً ورآه قومه بين القتلى ولو آمنهزمين وقد مات منهم
بشر لا يقل عن اثني عشر ألفاً سالت بدمائهم البطاح وتلطخت بها
الابواب ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم .

فياليت الامام كفى المؤمنين غنة الحرب بتسكين هذا الرجل من
أول الامر ولو بأدنى وظيفة من وظائف الدولة حيث كان قيامه وخروجه
انما هو لمجرد ذلك على ما صرح به حسب ما مر، ولكن القضاء المبرم غالب
وما تشاءون الا أن يشاء الله .

ولما افترق الجيشان قصد جمهور من أهل المدينة الى ردفة بابها في مكانه
فلم يقدروا فقالوا لا فلاح لهم لترد ما نزعنا فقال ردوا على ذلك النفيظ الذي
كان بي أو ان نزعته حتى أردته والا فأنا الآن كواحد منكم فتعاونوا عليه
وردوه كما كان .

ثم عاد الامام من سفره ووجد القتلى في أماكنها والناس على أثر حرب
مهولة في رعب وانزعاج فاستغرب السبب وسأل عنه فأخبر بالواقع فأمر
بجمع قتلى الفريقين وصفت صفوفها وصلى على الجميع صلاة الجنائز تطيبها
لنفوس بقية أتباع ابن فندين وتأنيساً لهم وتأنيساً لقلوبهم ولما وقع البحث
عن شبيب وجد قد خرج عقب الهزيمة هارباً الى مدينة طرابلس ولما وصلها
أظهر البراءة من الامام والانتكار عليه وتعالى في ذلك حتى صار يمترض الحاج
ابان التشريق ويعلن بذلك فاتصل خبره بالمشرق فأجمعوا كلهم على البراءة
منه ومن ابن فندين وأتباعه الا من تاب وأشد الناس عليهم في البراءة منهم
العلامة الربيع رحمه الله فانه كان يجهز بذلك في مجالسه ويعان بولاية الامام
قائلاً عبد الوهاب امامنا وثقتنا وامام المسلمين أجمعين فانا برآء ممن خالفه
أو أنكر عليه شيئاً على غير حق واذا قيل له كيف تبرأ من شبيب بدون
حدث قال وأي حدث أعظم من براءته من عبد الوهاب أمير المؤمنين
* وبموت ابن فندين انقطعت القلاقل وسكنت الحركات وانحسرت
جراثيمة الفساد وانحاز من بقي من أصحابه الى ربوة خارج المدينة يملو
ظواهرهم الخضوع والمسكنة وفي القلوب حزازات وضغائن لم ينشأ عنها
شيء يكدر الراحة .

✽ عودة الرسل من المشرق وما وقع بعد ✽

✽ ذلك من قتل ميمون بن الامام ✽

ولما عادت الرسل من المشرق بكتاب الربيع المتقدم ومن معه من
المسلمين وفيه مامر من صحة ولاية الامام وبطلان الشرط وغير ذلك فرح
المسلمون بموافقهم الحق وتأكدت أسباب المؤدة بينهم وبين امامهم وازداد

هو نشاطاً في التقدم في الإصلاحات وإنما الحال كذلك اذا أصبح ميمون ابنه قتيلاً ممزق الاجم مفرق الاعضاء ممثلاً به تمثيلاً شنيعاً غدر به أصحاب ابن فدين لما كن في صدورهم من الحق على الامام بسبب تلك الوقائع المتقدمة ووقعة صاحب الصندوق وكأنهم أرادوا بهذه فداء تلك واذ بلغ الخبر الامام قام مسرعاً الى موقع الحادثة ووجد ابنه ميمون الناصية ثمة فؤاده على تلك الحال فتسر بل ثياب الصبر وأبرز من شهادته عظيم التجلد وكامل الثبات وان كان في نفسه من الكثابة والحزن ما يذيب المهج ويدك الجبال وقال وهو ينظر اليه .

* أي بني اجتمع فيك ثلاثة قولهم . ويل لمن مرت الخيل على كسائه وقولهم . ويح من أصيب بليل . وقولهم اذا سست ابن السلطان فامسه مساً عنيماً . ثم أمر به فكفن وشيئت جنازته حسب الواجب وغض طرفه عن الطالب بدمه اذ لم يثبت ذلك على أحد ولم يعول على الظنون وأتوا بالمركين وأرباب الاغراض وكان بشديد التحري في الدماء وحسب القاتل بذلك حجة هذه الحادثة التي قل من يترصد امامها التحقيق مع الاقتدار وتوجه التهمة من أول وهلة الى أرباب الجريمة .

وكان لميمون ولد هو من النجابة والذكاء بمكان رفيع فرق جده الامام لحاله وزلج به ولوما زائداً واقامه مقام والده يتسلى به عنه صارفاً همته في تربيته معمر آجل أوقات فراغه في تربيته وتهذيب اخلاقه وطبعه على الآداب اللطيفة حتى شب على ذلك وحصل من العلوم النافع منها ولاغرابه اذ كان يقترب من ذلك البحر الزلال * كل مارق وطاب من السحر الحلال ويختار النفيس من الآل * من معنيتها المباح له في التدو والآصال * فنا

كذب اذا آمن أظن فيه المقال * ولا ينسب الى الاتيان بالحال .
ولما حسن ذكره وتأكدت الثقة به وتحلى بمحاسن الصفات ورآى منه
جده القدرة على القيام بمعالى الأمور قدمه على جباية الحقوق الشرعية وغيرها
من مطالب بيت مال المسلمين فقام بما عهد اليه قيام عاقل حكيم يعامل الرعية
بكل رفق وسياسة وصار ينتقل من حي الى حي حتى استخلص مطالبه بطيب
نفس لا إزعاج ولا قهر فيها لأحد الى أن بلغ مجتمع بقايا ابن فندين فطالبهم برفق
حتى استوفى حقه وقبل ان يرتحل عنهم سمع بعضهم يقول وهو يمينه (يا بن
المهدور دمه) فتناقل عنه وأوهم الحاضرين بأنه لم يسمع ذلك أو لم يدرك
المراد منه ولم يفهم ينت شفة سياسة ودهاء وتأدباً مع جده بعدم الدخول في
أمر، كهذا قبل استئذانه وهذا يعد من نتائج تلك التربية وذلك الارشاد * فبا
أحسن العمل بالمعلم . وما أبهى مراعاة الحقوق وجانب الأدب . وما
أسلم عواقب الثبات . وما أشد تأثير الدهاء وتقوذاً أعمال السياسة . وبعد
استيفاء ما كلف بجمعه من الحقوق قفل راجعاً يحمله ثيار الفيظ الى ابن
وصل (تبرت) وفي الحال دخل على الامام جده وباح له بما حل به وما سمعه
من القول فأمره بالصبر والكتمان وعرفه بما لسفك الدماء في نظر الشرع
المزير من التعظيم وأفهمه بأنه سيأخذ بثار والده متى وجد لذلك سبيلاً شرعياً
بيئته لا تقبل الشك ولو طالّت المدة وامتد الزمان ان ساعد القدر وكانت
للعمر مجال يسمع ذلك . ثم عمده الى البحث على الجاني وثابر على ذلك حتى
انضج جلياً بالحجة التي لا ريب فيها ان ذلك القاتل من القاتلين لميمون المثلين
به فأرسل في طلبهم فامتنعوا واحتموا بمن كان معهم من بقايا قوم ابن
فندين

❦ الأخذ بثار ميعون ❦

فوجه اليهم حينئذ جيشاً يرأسه ابن ميعون المذكور فوافاهم في واطنهم على مسير أيام من المدينة مستعدين للقائه متحصنين وماكاد يصلهم حتى شملوا لمبارزته وصففوا صفوفهم وأوقدوا نار الحرب والنجم القتال بين الفريقين مدة أظهر فيها ابن ميعون من البسالة سعيًا وراء نار والده ما شئت أعدائهم فولوا الأدبار منهزمين وتركوا من قتلاهم ما يكثر عدده وقد قيل ان بعضهم رام حصرهم ولما رأى كثرتهم عمده الى أقل الاسماء استملا عندهم وهو هارون فمد من سمي به من القتل فكانوا ثلاثمائة فانكسرت من هذه الواقعة شوكتهم وتفرق جمعهم وأخذ من بقي منهم الى الطاعة والالتقياد فاستراح الامام عند ذلك وعمت الطاعة سائر رعيته. الا أن بسبب توالي هذه الوقائع وحصول هذا الافتراق في عصاة هذه النحلة وهو أول افتراق وقع فيها صارت الدولة مظنة للضعف ومرى لسهام الطاعنين والطاغين من سائر الفرق الأخرى الداخلة تحت سيطرة هذا الامام ولوائه .

ولشدته رضي الله عنه مع ذلك في اقامة الحدود المريعة والانتقام من كل من ظهر منه انتهاك حرمة من شعائر الدين المقدسة تضايقت النفوس الميلالة الى الهوى وحب الذات والشهوات انقياداً لقائد الاغراض وطلباً لحل عرى عقدة الاجتماع القاضية بالضغط على النفوس الشريرة والمنع من تنفيذ المقاصد الخبيثة . ثار الثائرون من ذوي العصابات القوية والأتباع الكثيرة من رؤساء العشائر والقبائل من اخوانه الاباضية وغيرهم من الفرق الموجودة تحت لوائه كالواصلية من المعتزلة وكالصفورية والازارقة والعجم فتكدر صفو الخواطر وتغير سماء الراحة وكثرت الآراء والاقوال واتحل البحث في

المذاهب وعظم الجدل وفشت المناقشة في المسائل الخلافية بين علماء الفرق وأهمها مسألة الإمامة فقام كل فريق يطلب الاختصاص بها ويدعي أنه أولى وأحق بها ويقيم على ذلك الحجج ويرتب الأدلة

فمظم التباغض وظهرت مبادئ الاختلال والفساد ونبغ في كل جهة داع للجدال ومناد بالمبارزة والنضال وشدت الفارة في الأطراف ونصبت أعلام الفتن والحروب فشمكت الدماء (بين أهل الاسلام والامر لله) وقطعت المواصلات من الجهات لعموم البلوى بقطع السبل ونهب الاموال فكان ذلك سبباً لهوض الامام رحمه الله واقتحامه المفاوز والوهاد لكبح جماح الطاغين وقطع دابر الفسدين فشر عن ساق الحزم وكشف عن ساعد الجد وجمع المساكر وجرز الجيوش ووالى الحروب الهائلة وصرف الأموال الطائلة حتى أخذ نيران تلك الفتن وشتت شمل تلك الجموع القوية الطاغية بعد وقائع يشيب لهولها الشباب وأعظمها خطراً تلك الحروب الواسلية . . .

❦ خروج الواسلية من المعتزلة عن الامام ❦

❦ وحروبه معهم ❦

كانت الواسلية وهي فرقة من المعتزلة في جموع قوية عددا وعدة بجهات المغرب وهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة لهم رئيس في مدينة قريبة من مدينة طنجة وهو الذي بايع ادريس صاحب المغرب الأقصى وكان بنواحي تيهرت منهم فريق لا يقل عن ثلاثين وقيل عن أربعين ألف مقاتل فيهم من مشاهير العلماء وأبطال الحرب وأولي الثروة عدد وافر لا ينكر قدره يفوق الكل رجلا من أحدهما عالم فاضل اللجة حائز قصبة السبق في ميادين المناظرة

ذو علوم حجة ولسان طلق ومنطق بليغ وله في المجادلة أطوار وطرق يعجز
دونها خول العلماء قدماً عجب بنفسه فأضحى يزخرف للملام مذهبه ويزين
حججه ويطلب مناظرة كل من ينسب الى العلم من علماء غيرهم من الفرق
وبفوزه في مواطن متعددة تطاول الى الامام وفتح معه أبواب البحث وجرت
بينها محاورات عديدة كاد الامام يعجز فيها عن الجواب.

* والآخر وهو ابن رئيسهم فتى عرف بالشجاعة وشدة الاقدام والبسالة
وشهر بالفرسية والبطش بكل من بارزه حتى صار أشهر من نار على علم في
في تلك الاقطار.

* فاهتدت رجال هذه الفرقة الى تأليف القلوب وبث روح التعارف بين
افرادها حتى اتحدت كلمتهم وتوحد رأيهم فقامت تشق عصا الطاعة تأسيساً
بابن فندين وتطلب الاستقلال والخروج عن حكم الامام زاعمة انها في درجة
يمكنها ان تحكم فيها نفسها بنفسها وان تقوم بادارة شؤنها وكأنها رأت ان
من العار عليها خضوعها لمخالف لها في المذهب مع وجود رئيس لها يدعي
الامارة . ولعل هذا الرئيس أغراها على ذلك فتكاتب رؤسائها على الخروج
ومناصبية الامام الحرب وأتوا من أقاصي الأطراف رجالا وعلى كل ضامر
من كل حذب ينسلون حتى اجتمع منهم ومن انضم اليهم ممن يسمى في
الارض فساداً من غيرهم قريباً من المدينة جيوش غطت السهل والجبال
فناصحهم الامام المرة بعد المرة وخوفهم الوعيد وكرر لهم الارشاد والتنبية
ودعاهم الى ترك مابه ضلوا والى الاستسلام والسكون فلم يكن منهم الا القتل
والعناد والجهر بانكار امامته ثم بدأوه بالحرب فصار يجهز اليهم المساكر
ويسوق الجيوش فتظفر تارة وتنهزم أخرى وفي كلاهما لم يدرك ذلك

الفتى ابن الرئيس المتزلي أحداً من الفرسان الا ويقتله ويتولى سلبه حتى
تتهقرت امامه الأبطال وطارصيته فبابه كل موسوم بالشدة والبسالة ولما
كان الامام لا يقل عن درجة والده في الدهاء ان لم يتجاوزها وعلم انه قد انتقل
من حرب قوية (حرب ابن قندين) الى حرب أقوى منها مع قوم هم أشد
من الاولين بأساً وأكثرهم قوة وان الاسترسال في ذلك ربما يؤدي به الى
مالات محمد عقباه دعاهم الى الاتفاق على هدنة الى أمد معلوم يكف فيها القتال
ويتصرف فيها الفساد وينظر فيما هم قائمون لأجله ولعله يهتدي الى ما فيه
اصلاح الحال فأجابوه الى ذلك وكف القتال واستراح الناس .

— طلب الامام الاعانة الحربية من جبل نفوسة —

في محاربة الواصلية

لما أنهى الامام عقد الهدنة مع الواصلية صرف همهته الى الاستعداد لهم وتهيئة
ما يظفي به جذوة نفاتهم ولما كان جبل نفوسة وما يليه من حيز طرابلس من
جملة ولايات مملكته التي تدين بطاعته وتتفانى في رضائه وفيه من أهل النجدة
والشجاعة وأبطال الحرب وغول العلماء ما يعد بالالوف رأى ان يطلب منهم
الاعانة على مستقبل حروبه . فأرسل الى عامله بالجبل كتاباً يطلب منه جنداً
يتألف من أربع مائة نفر مائة منها من خيرة فرسان نفوسة وصناديدهم
الممارسين لغنون الحرب الماهرين فيها الموصوفين بشدة الاقدام . ومائة
من المتبحرين في علم التفسير . ومائة من علماء الكلام الواقفين على نزغات
الفرق المارفين بطرق الرد على المخالفين ونقض مقالاتهم . ومائة من العلماء
المتضلعين في مسائل الحلال والحرام .

ولما بلغ العامل أمره المطاع جمع أهل النظر في الامور وأصحاب الرأي

وعرض عليهم كتاب الامام وبعد مذاكرة وتربص في الأمر اتفقوا على توجيه أربعة من خيار رجالهم قد شهرروا في اصنافهم ببلو المنزلة والكمال ليقوم كل واحد منهم مقام مائة ممن طلبهم الامام وهم العلامة المتكلم مهدي النفوسي والعلامة المفسر محمد بن يانس. والعلامة الفقيه أبو الحسن الأبدلاني. والفارس الشجاع البطل الشهير العلامة أيوب بن العباس .

* فأرسل العامل اليهم ولما حضروا عنده أخبرهم باتفاق اخوانهم المسلمين على ارسالهم الى المغرب اجابة لطلب الامام فأجابوا بالسمع والطاعة مسرورين وبعد أن هيئوا أنفسهم للسفر وودعهم اخوانهم ودعوا لهم بالفوز سازوا على بركة الله ملحوظين بعنايته محفوظين برعايته .

ولما تجاوزوا حد جبل نفوسة ودخلوا البادية احتاجوا الى من يقوم بخدمتهم فطلب ابن يانس وهو منهم ان يتولى ذلك بنفسه وان يقوم بأمرهم الى أن يصلوا المغرب فامتنعوا وأبوا نظراً لعلو مقامه ورفعة مكانه عندهم فألح عليهم في الطلب الى أن ساعفوه وصار كلما نزلوا منزلاً هياً لهم مقدمهم ومصلاتهم وربط خيلهم وأحضر لهم الطعام والماء حيث يلزم للشراب أو الوضوء ثم اذا صلوا وناموا قام الى التهجّد والصلاة فيفضل راکماً ساجداً حتى يطالع الفجر فينبههم ويهيئ لهم الخيل وبعد الصلاة جماعة يركبون وكان هذا دأبه ودأبهم وهو صائم النهار قائم الليل فشق عليهم الأمر شفقة عليه فسأله الرفق بنفسه والتخفيف مما هو عليه اما بترك الصوم واما بترك جانب من السهر والقيام بالليل فأبى الا التماسي وأبوا الا التخفيف ولما لم يمثل قالوا له اما أن تترك السهر واما ان ننظر غيرك لخدمتنا. وأما قيامك بخدمتنا بالنهار مع الصوم والقيام بالليل الى الصباح فلا نرضاه منك بعد هذا اليوم وان

لنفسك عليك حقاً حافظها .

ولما لم يجد ملجأ مما الزموه به قال لهم اني رضىت بحكمكم الا اني
استأذنكم في صلاة ركعتين كل ليلة مع البقاء على خدمتكم فرضوا بذلك
وأذنوا له .

وفي الليلة المقبلة قام بعد أن ناموا ليصلي الركعتين فقرأ في الاولى النصف
الاول من القرآن وفي الثانية النصف الثاني وما سلم حتى طلع الفجر فقفنوا
له فازدادوا اشتغالا وقائلوا له قد نهيناك عن طريق فسلكت أشد منه فانك
كنت تستريح في كل ركعتين برهة من الزمن لقراءة التحيات فصرت تف
من العشاء الى الفجر فارحم الى ما كنت عليه أولاً فانه أخف مشقة وقد
رضينا بك خادماً .

فرجع الى ذلك ولم يسأم رحمه الله ولم يقطع عادته طال الليل أم قصر
صباحاً أم أمطر الى أن وصلوا ابيرت . ومما يحكى عنه انه قام حسب عادته
في ليلة ذات برد شديد ورياح عاصفة ومطر قوي فالتبه أحد رفقاءه فراه
واقفاً يصلي والريح تعبت بطرف كسائه كالمعلم فقال ان كان لا يدخل الجنة
الا من كان مثلك يابن يانس ستصيبك فيها الوحشة . فله درهم من مجاهد
صابر مخلص جامع بين خدمتي الظاهر والباطن ورحمة الله رحمة واسعة . هذا
ما كان من أمر هؤلاء .

وأما الامام فانه بقي في انتظار جيش نفوسة منذ أرسل الكتاب الى
الجل ونذر أن يمتق من يشره من مماليكه بوصوله فصاروا يترقبون ويقفون
على قارعة طريق الشرق ويستخبرون من القادمين أخبارهم وكان له مملوك
أعرج لا يقدر على الخروج فلازم إحدى شرافات السور ناظراً نحو طريق

الشرقيين غير غافل عن الممالك الواقفين هناك الى أن رآهم يوماً يتسابقون الى المدينة فأدرك أنهم متسابقوا الا ليشرخوا بوصول الوفد فنزل ودخل على الامام قبل أن يصلوا وأخبره فوفاه بما وعد به من العتق ولما وصل الآخرون ليبلغوه الخبر قال لهم (فاز بها الاعرج) فأرسلها مثلاً وهو أول من قالها ثم وصل النفوسيين واذا علم أنهم أربعة لا غير وقع في نفسه ما وقع من انهم نفوسة بالتقصير في اعائته اذ طلب أربعة و قبل أربعة آلاف وجاءه أربعة رجال فقط .

* فأمر بأزالتهم في دار الضيافة وبعد استراحتهم اجتمع بهم وأظهر لهم السرور التام بقدمهم وان كان في نفسه من الانكسار ما كان .

* وبعد أن أخبروه بوظائفهم وبما كلفهم به اخوانهم وتمهدوا لهم بالوفاء به طابت نفسه وقال لمهدي اصنع اليّ حتى أعرض عليك ماجرى بيني وبين المعتزلي من المحاورات لتكون على بصيرة من الامر وتعلم مقدار معرفته فأصغى اليه وصار يسرد له الحديث وكما رأى خطأ في كلام المعتزلي قال ها هنا حاد عن جادة الصواب وسفسط وكان من الصراب ان توجيهه بأمر المؤمنين بكذا وكذا فأطلع الامام عند ذلك على جميع خطأ المعتزلي في كلامه وأدرك حيلته في السؤال والجواب فازداد بذلك سروراً ورجاء بلوغ القصد وعمّ بالأمر بالمذاواة في القبائل للاجتماع وفتح باب المناظرة أولاً ثم المبارزة فقالوا له دعنا أياماً نستريح فيها وتستريح دوابنا فقد أضناها السفر ولحقها التعب فترك الامام ما همّ به والنفوس من القرقيين في اشتياق الى رؤية النفوسيين اذ كان لجيئهم مهدي أطبق الاقطار .

* وفي بعض تلك الايام تغيّب مهدي عن رفقائه من الصبح ولم يأتهم

الا في ائليل فنلظ في عجين كان في وعاء بجانب عشاءه فأكله وبعد أن أتمه قال لهم أري ان عشاءكم لم ينضج كثيراً واذ تحقق غلظه قال اني أحمد الله على ثلاث خصال لم أرها لتيري * أقضي أربي . من كل طعام صادقته ولا يلحقني ضرر منه . وأقل شيء من النوم يكفيني ولا يضرني السهر ولوتوالى . ولا أخاف باذن الله مخالفاً أن يضحض حجتي الا ان داهنت في دين الله . (لا سأل الله) ثم قال لهم قد أغمت في هذا اليوم تسمين عالمين المخالفين واسترحت منهم والحمد لله . ولما قرب انتهاء مدة استراحتهم تقدم أيوب الى الامام وقال له ان جوادى قد أضعفه السير وأدركه الحفاء وأخاف أن لا يقوم بحاجتي عند مبارزة فارس المعتزلة فاخترلي عميره من خيل بيت المال فأصره الامام ان يدخل المحل ويختار ما أعجبه منها فدخل وكلما رأى جواداً حسن الصورة قوي البنية قبض على ناصيته بيده وجذبه اليه فلا يثبت ويكاد يقع على ركبته فيتركه وينتقل لغيره . وهكذا حتى أتى عليها كلها ولم يجد فيها ما يناسبه فقال علي بجوادى فأوتي به اليه وفمل به كما فمل بغيره فراه لم يتزحزح عن مكانه وأرسي أرجله في الارض ثابتة كأنها ضربت بمسامير فقال البركة في البرذون فأرسلها مثلاً وأخذته وعالجه بالدهن والرمل المحمس حتى زال ما به من أثر التعب .

المنظرة والمبارزة

وبعد أن انتهت مدة استراحتهم دعا الامام المعتزلة الى الطاعة فأبوا فنأدى مناديه بالحضور الى المنظرة والمبارزة فهرعت من الفريقين أمة كالجراد المنتشر شاكة السلاح في خيول تدك حوافرها الجبال ورجال تذيب لامة حربهم سامج الابطال أزعج ضجيجها الثقلين وسد تقع عبار حركتها ما بين الخافقين في يوم

بلغت فيه أرواح التريقين الحناجر. وخطب فيه خطباء الرخم والسباع على المنابر وزلت فيه عند الامتحان أقدام الطاعين ورفعت فيم رايات النصر لاهل الحق المبين وكانت القابم بأمر المناظرة في هذا اليوم المشهود من الاربعة المذكورين ذلك العلامة المقدم السميع المهام خائض لبحر الفنون على الاطلاق محائر قصبات السبق في ميادين السباق. الشيخ مهدي النفوسي بعد أن عرضها على العلامة ابن يانس وقال له تقدم أنت ولست بأعلم مني .

* وكان المعتزلي داخله الرعب أو قصد الحياة فقال لمهدي ما نالوا ببدء عورات الناس وكلانا ممن شهر في قومه ونال الصيت البعيد فهم لتعاهد على أن يستر كل مناصحبه سواء حاجبتي أم حاجبتك ولا يعلم أحد بمن كانت له الغلبة منا على صاحبه فأجابه مهدي لذلك وقد أدرك انها مكيدة منه وقال لا صحابه اني قد عاهدته على السر وعدم التكلم ولكن اذا نزلت القلنسوة من رأسي ووضعت يدي تحت ركبتي فادركوا اني قد فزت عليه وظفرت بالفضية .

* ولما خرجا الى ما بين الصفوف ومع كل منهما خواصه من العلماء كان الامام معهم فتناظرا في المسائل الخلافية وأطلا في ذلك ودخلا ابوابا وفنونا صعب على الحاضرين فهمها حتى كان الكلام بينهما كصفق الحجر لا يدرك أحد من الحاضرين معنى له على ما قيل ثم عجز المعتزلي وسلم .

* فنزع مهدي قلنسوته كما وعد به أصحابه فكبروا للارأوا ذلك تكبيرة رجل واحد بانغ صداها غنان السماء فهت المعتزلي وقال غدرت يا مهدي وخالفت العهد وما هكذا كان الوعد بيننا وقاما والفخر يصاحب هذا والقهر يوازر ذلك فبتر على أثر ذلك فارس المعتزله وابن رئيسهم في هيئة مرهبة شاك السلاح على جواد سابق وهو يزأر كالأسد ويرمح كالعقاب ويظهر

للناس من أنواع فروسيته ما جعلهم في غرابة وعجب .
 * فخرج أيوب من بين الصفوف يقود جواده مع سكينته وهدو الى أن
 ترا آي للفريقين وكانت العيون شاخصة لرويته مصوبة السهام نحوه من كل
 الاطراف لما يبلنهم من أخباره في الفروسية وشهرته ولما أراد الركوب وكلهم
 ينظرون تجاهل فركب من جهة اليمين خلافاً لما هو المتعارف عند الناس
 من الركوب من جهة الشمال .

* فضحك المستجلون من المعتزله الذين لا علم لهم بمكائد رجال
 الحرب واستبشروا وضمنوا الفوز لصاحبهم الا والده فانه أدرك ذلك في
 الحال وقال متأوهاً وقلبه يرجف ولسانه يتلجلج هيهات هيهات الآن حل
 أجل ولدي اذ جاء قاتله بلا شك .

* فسأله بعض الناس عن ذلك فقال ألم تروا كيف تدلي اليه فرسه ولا يفعل
 الفرس ذلك الا مع الفارس الحاذق .

* وبعد أن استوى مهدي على ظهر جواده قذف حربته في
 الهواء كما هي عادته حتى كادت تغيب وكانت تزن ثمانية عشر رطلاً وهياً
 لها رمح فجاوت فيه مستوية متمكنة لا تحتاج الى تركيب وذلك أول ما ألقى
 به الفزع في قلوب الناظرين فاستعظموه وهالهم أمره ثم جال في ذلك
 المضمار جولان الاسد الضائر وأقبل وأدبر مع المعتزلي على جواد
 كالعقاب الطائر .

﴿ مكر مفر مقبل مدبر معا . كجلود صخر حطه السيل من عل ﴾
 حتى رأى منه الاقران من فنون الاحتيال وغريب طرق الفروسية في النزال
 وبديع الخداع في الاقوال والافعال ما قذف في قلوبهم الرعب

وصدهم عن القتال .

* وما كان غير ساعة حتى التقم فارس المعتزلة وابن رئيسهم التمام عصا موسى سحر سحرة فرعون وجندل به الارض مع ذلك الجواد المستأسد وذلك السلاح المكنون فتحمست المعتزلة وزحفن الى القتال فتسمرت نار الحرب بين الفريقين برهة من الزمن حتى فيها الوطيس واشتد الخطب وعظم المصاب وكانت أفلح بن الامام وأيوب يجزان الهام ويشتتان الصفوف ميمنة وميسرة الى أن سقط في أيدي القوم ورأوا أنهم قد ضلوا وضربت عليهم الذلة وبأوا بنفض من الله وولوا الادبار منهزمين وقدمات منهم خلق كثير حسبوا منه ما قتله أفلح وما قتله أيوب فوجدوا لايوب قتيلا زائداً على أفلح وكأن كلا منهما استقل بجهة والا فكيف يصح تمييز ذلك خصوصاً في يوم كذلك اليوم الزدحم والله أعلم.

* وكان أيوب قد أحس في اثناء الضرب بزلزلة شديدة في ذراعه فلخبر بها بعد ذلك وقال اني قد ضربت شيئاً صلباً لا أدري ما هو ولا أظنه آدمياً فتصفحوا القتلى فوجدوا بينها عموداً قائماً ولما جسوه بأيديهم وقم الى الارض نصفين فلموا أنه هو الذي أخبر به أيوب وقد ضربه وهو يظن أنه رجل وكان لسيفه مقدار شبر لا حدة له مما يلي مقبضه لكي لا يضره ان جعله على عاتقه اذا سم من حمله أو تعب من الضرب به وبعد استسلام المعتزلة واقرارهم بالطاعة التامة لم يبق لهم طعم ولا رجاء في القيام بهذه الحادثة

* فعاد الامام الى عرش خلافته يكتنزه الظفر ويتوجه الفخر وقد ناله من الجذل ما حمله على نشر الشناء الفاسخ والذكر الماطر على ذلك الوفد

النفوسى المنصور.

استدعاء المعتزلة أبا العباس للضيافة ❦

❦ بقصد الغدريه ❦

ثم بعد ذلك يومين على ما قيل ارسل وجوه المعتزلة الى أبي العباس يدعونه للضيافة عندهم فنهه خواص المسلمين وحذروه الغدريه فأبى الا اجابة دعوتهم والمسير اليهم ولما وصلهم رحبوا به وأظهروا له من أنواع التبجيل ما ظنوا انه أغتر به ولدى اجتماعهم وتبادل الرأي في كيفية غدره وقتله رأوا أنه لا يمكنهم ذلك وهو في اليقظة لما علموه من شدة بأسه وأجمعوا أخيراً على أن يكثروا له من الاطعمة الجالبة للنوم حتى اذا نام قتلوه فقدموا له عند المشاء قصعة طمام عليها عجل صغير برمته وقربة من اللبن الحامض وكان رحمه الله عظيم البنية جداً كثير الاكل فاستوفى الطعام أكلاً وانتقى العظام عظماً عظماً وشرب ذلك اللبن كله اظهراً للقوة أمامهم اذ فهم مرادهم من ذلك ثم استوى في وسط الخصى متربها وأخذ في تلاوة القرآن العظيم حتى طلع الفجر فصلى الصبح بوضوء المشاء اذ لم يتنقض لا بنوم ولا بمحدث وكان ما أكله من الطعام واللحم وما شربه من اللبن لم يكن شيئاً مذكوراً ولما طلعت الشمس طالب جواده ليذهب فأحضره وقد أبهرهم مارأوه منه في تلك الليلة وقالوا له ان فتيان الحمي طلبوا منك ان تعلمهم شيئاً من الفروسية ومما عندك من فنون الحرب فقال أجل وليحضروا فركبوا خيلهم وبأيديهم قضبان ليعلمهم كيفية العمل بها عوضاً عن السيوف وكان فيهم رجل مشهور عندهم بالاقدام والقوة تهادلهم بقتله وبينما هم في أثناء التعلم أخذ الرجل في الاحتيال لضربه فقفطن له وتناقل عنه حتى

هم به فائق ضربته والتفت اليه فصرعه الى الارض ميتا ومال عن يمينه فقتل
 ثمانية ثم عن شماله فقتل مثلها وصباح بنساء الحي وهن يرقبن ويبيكن فقال
 أزيد أم يكفيكن وترك الكل في نحيب وعويل وتوجه راجعا من حيث أتى
 فر بواد فيه سبع قل من يتجاوزوه وينجو سالما ولما أحسوا به تسارعوا اليه
 فشمروا لهم عن ساعده وقطع أرجلهم وتركهم يزحفون وجاز على بعض أحياء
 البربر فقال لهم من أراد اللحم المكروه فليذهب الى الوادي الثنائي ولما جاء
 الى الامام ورفقته أخبرهم بما جرى فحمدوا له السلامة وشكروا الله على
 نجاته وخلاصه من هذه المكيدة * ذكر هذه الحكاية كما سمعتها كل من
 العلامة الشماخي والعلامة أبي زكريا رحمهما الله والظاهر ان في كلامهما
 اختصارا عجبا بما يقتضيه المقام من الايضاح والاقني بعضها عندي نظر
 فان استدعاء المعتزلة أبا العباس بعد يومين من تلك الحرب العظيمة مع ما حصل
 منه فيها مما يستبعد العقل جدا ثم أجابته دعوتهم وذهابه اليهم بدون رفقة
 كما يفهم من كلام الشيخين أشد بعدا اللهم الا ان تكون الحكاية راقصة قبل
 اعلان الحرب رسميا لا يندها أو كان الدين دعوه لا دخل لهم في هذه الحرب
 وانه استصحب معه رفقة وأهل الشيخان ذكرها والله أعلم بالحقيقة. وكان يقول
 لا أعلم أن لي مقابلا يبارزني فيما بين مصر وفاس. وبعد أن قضوا وطراهم من
 تويرت في أيام وليالي قطعوها بين احترام وتعظيم ونالوا حسن التوجه
 من الامام وتزودوا بالدعاء من أكابر العلماء وأفاضل الصالحين والاولياء
 عطفوا أعتهم نحو وطنهم ومقر عزهم موطن الفخر والعلاء اذ ذاك ذاك
 الطود الشامخ عالي القمم والمهم مرتفع الرؤس والنفوس والجبل نفوسة
 سيد جبال الغرب ومجمع الفحول من الرجال ومنبع علوم المقول والمنقول

في ذلك الوقت بلا جدال .

ولهؤلاء الاربعة فضائل ومآثر كثيرة وكرامات ذكر الشماخي رحمه الله بعضاً منها فلتراجع هـ.كـ

ومما يوتر بالذكر من كرامات العلامة مهدي في هذا السفر ما ذكره الشماخي من انهم ضربوا أخيتهم في الطريق أثناء رجوعهم من (تيهرت) لحر أصابهم وكان مهدي خارج الاخوية فسمعهم يتنون أمورا خاطرت لهم فقال أحدهم لا أتمنى في هذا الحر الا لبناً صافياً بارداً وقال آخر ما مناي الا شربة من ماء (أيندل) وهي عين بقرب الجزيرة المروقة بقرب (مدينة شروس) ولم اقف على ماتناه الثالث ولما سمع ذلك منهم دخل اليهم وسألهم عهد الله وميثاقه على كتمان ما سيطلمهم عليه من السر فاعطوه العهد على ذلك فخل وكاء قربة لهم فيها شرابهم وصب منها لمن تمنى اللبن لبناً خالصاً ولمن تمنى الماء ماء لا يشك في انه من عين (أيندل) وصب للثالث ماتناه أيضاً فخدموا الله على نيل مطالبهم وشكروا فضل مهدي وزادوا في توقيره لما رأوه من الكرامة على يديه وجدوا السير الى ان وصلوا الجبل وقد خلقوا الامام بتيهرت راضياً مستريح البال لا حرب ولا شقاق ولا نفاق الى أن تنوسي الامر بمرور الزمان وبلغ الامن منتهاه وحدث من لم يحضر تلك الوقائع من حديثي السن وقربي العهد بالدخول في زمرة المعدودين من الرجال وأولي الثروة فنت في قلوبهم بذر النفاق وسري فيهم سم الخيانة فكانوا سبباً لحصول وقائع وحروب اخرى حملت الامام ودولته مشاق التجهيزات والخسائر القوية في الاموال والرجال وقد ذكرها ابن الصغير المالكي مفصلة على وجه لم يذكره غيره من المؤرخين فخذها على سبيل الاجمال طبقاً للقاعدة المتقدمة

﴿ حرب أخرى لهذا الامام ﴾

(ممزوج) جرت عادة قبائل البربر وغيرهم من سدراته ومزاته وغيرهما من أهل البوادي أن يرتحلوا من أوطانهم التي يجتمعون فيها من بلاد الزاب وغيره من الجهات في زمن الربيع الى حوالي (تبرت) وما يليها من الاودية والجبال والغابات لما فيها من المشب والالتساع مع الأمن ولما يجري رؤسائهم عادة من الاكرام والضيافات والاحسان من أقاربهم وأحبابهم الذين هم بالمدينة ومن وجوهها وتجارها مع مشاركتهم في الرأي فيما يخص بمصالح الاسلام والامام ولا داء حق التزاور في الله وصلة الرحم.

« ولما دار في الخواطرها جس الفساد وسرى سم التفاق في صدور أهل البني والعتاد من أهل المدينة كانت الارتحال من قضاء الله في سنة من السنين (ولم يعين ابن الصغير تاريخ تلك السنة) خارقا للعادة فجاء من كل قبيلة وفرقة خلق لا يحصى حتى امتلأت المدينة بروءساء تلك العشائر فوجد ارباب الفساد ومن قصد الشقاق من رجال المدينة فرصة لبث وسائل البغضاء وبذر نافع السم في الدسم فاستمالوا القوم على حين غفلة من انفسهم وناجواهم بالظن في ولاية الامام وقضائه وأصحاب شرطته وقالوا لهم قد ساقكم الله الينا وأنتم من أكرم الاضياف بسمع لكم القول ويقبل منكم النصيح وقد تبين عليكم الدخول الى الامام لتسألوه عزل هؤلاء الولاة وتبديلهم بغيرهم ممن يحمد الناس سيرتهم (ولا يحقني على العالم الخير ما عليه غالب أهل البوادي من جهل السياسة الحضرية وعدم ادراك الحيل ومقاصد أهل الحضرة شأن سائر ارباب البادية) فأثر ذلك في نفوسهم وظنوا أن ذلك من النصيحة في الدين بمكان كبير به ينال المرء عظيم الدرجات

عند ربه .

* فاجتمعوا واستأذنوا على الامام فاذن لهم ولما دخلوا تلقاهم حسب عادته بكل بشاشة وقابلهم أحسن مقابلة وبعد تبادل عبارات التحية قام متكلمهم فحمد الله وأثنى عليه وقال . ان رعيته يا أمير المؤمنين قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطك وقد جئناك نطلب منك أن تستبدلهم بنيرهم ممن يرضونه من خيارهم وبذلك تحوز رضاهم وتحوز برضا مولاك .

* فأظهر الامام الارتياح لهذا الطلب وقال لهم جزاكم الله من وفد خيراً فقد افقدهم من الاسلام ما يفتقده من كان مثلكم وما أنا ذا قد فوضت لكم الامر في ذلك فينبوا لي من ترونه صالحاً لذلك لا أقدمه .

» فدعوا له وأثنوا عليه بخير اذ ساعفهم فيما اقترحوه عليه وانصرفوا فدخل على الامام بعدهم وجوه رجال دولته وقواده وأهل الاصلاح من جماعة المسلمين وقالوا له ما بال اخواننا أتوك اليوم بأجمعهم وأخليت لهم المجلس وحجبت غيرهم ولعلمهم أشاروا بخير ودلوا على صلاح .

* فذكر لهم ما قالوه مفصلاً وما أجابهم به فاغتموا وقالوا له قد أسأت الى نفسك والى جميع اخوانك المسلمين ورجالك فقال وكيف ذلك وقد قالوا خيراً وما سألوا شططاً . فقالوا لو كان ذلك منهم لقصد الاصلاح والنصيحة في الله لمان الامر ولحسن المآل ولكنهم سألوك عزل من أرادوا من رجالك بدون سبب ليحرفوا عنك قلوب العامة ثم اذا فعلت ما طلبوه شكروك وحمدوا فملك وأتوك بعد ذلك قائلين ان المسلمين قد تقموا عليك أشياء أخرى فتركها فان أجبتهم الى ذلك شكروك وان أبيت خلعوك ثم لا تأمن

وان أحببهم الى كل مأسأله اذ يقولوا لك ان المسلمين لم يجتمعوا عليك في ابتداء أمرك فأردد اليهم أمرهم حتى يجتمعوا عليك ويكون ذلك زيادة في شرفك .

• وعلى كل حال فسئوالهم هذا هو عين الفساد وأس الاضطهاد .
 • فأمعن الامام النظر وقدر زناد الفكر في الكلامين الى أن أدرك سر الطالب وما كن فيه من المكائد فقال وما الرأي الآن وقد تقدم مني لهم من الجواب ماسمعتوه ولا يجمل بمثلي الرجوع فيما قال . فقالوا له ان الامر في ذلك سهل قال وكيف ذلك قالوا اذا رجعوا اليك غداً لانجاز الوعد فقل لهم ان لنا واكم اخوانا لاغنى لنا عن مشاركتهم في الرأي في أمر عظيم كهذا لما فيه من العزل والتولية فيجب حضورهم معنا ثم أجمع بيننا وبينهم فنكفيك . وونة الجواب ان شاء الله .

• وفي الغد دخل الغوم على الامام في الوقت المعين لهم لانعام ما وعدهم به وبعد تمكن كل من مجلسه سأل مقدمهم من الامام الوفاء بالوعد فقال رضي الله عنه اني على ما عاهدتكم به من قبل ولكني أرى من التيسير بي وبكم أن نستأثر بمثل هذا الامر دون اخواننا لما فيه من تغيير قلوبهم وكسر خواطرهم الموجبين لشتات الرأي والاختلاف فقالوا صدقت وأصبحت فأحضرهم ولا نراهم الا موافقين لنا فأمر بهم فجلسوا في الحال وقال لاؤائك أخبروا اخوانكم بما به أشرتكم وبما لأجله اجتمعتم فبينوا لهم عند ذلك ما دار بينهم وبين الامام من الكلام فقالوا لهم جزاكم الله عن الاسلام وأهله خيراً على هذا الاهتمام الا انا نطلب منكم بيان علة هذا الطلب والداعي اليه اذ لا يتحى على كل عاقل مثلكم ان العزل بدون سبب بين وجرحه واضحة لا يمكن

ان يصدر من الامام لما قد ينشأ عن ذلك من المضار فأبرزوا ان علمهم شيئاً
يوجب ذلك حتى يجعله الامام حجة عليهم جبراً للخواطر وأما العزل بمجرد
سمي السعاة فلا نرى انكم تطالبونه مع ما أنتم عليه من الدراية والعقل فلم
يكن منهم الا أن قالوا هذا رأي حادث وأمر مبهم وما هكذا كان اتفاقنا
مع الامام بالامس .

* ثم خرجوا ممتئين غيظاً حالفين على أن لا يدخلوا في أمر دون عزل
من سألوا عزله أو محاكمة الامام فشاع خبرهم بين قبائلهم وأنضم اليهم لفيف
من الناس ومن كان على رأيهم وظهرت المناقشات في ذلك وفشا الخلاف
واتسع خرقه فاستشار الامام رجال دولته ومن تجب مراجعته من ذوي
الرأي والعلم فأشاروا عليه بالقاء المواعظ اليهم واعلامهم بخرج موقفهم
وانذارهم بسوء عاقبة ما اتحلوه من الشقاق ان لم ينتهوا عما يقولون ثم ان
أصروا وأبوا الا العناد والعتو في الارض كانوا بغاة فيجب على الامام والمسلمين
ردعهم وقتلهم (علا بقوله تعالى فان بنت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي
تبغي حتى تنفي الى أمر الله) .

* فعمل الامام بمقتضى هذه الاشارة ولم ير منهم الا الاعراض والعناد
والسعي في اثارة الفتنة فشر لاقتناعهم بالسيف .

— قال —

* فلما رأى ذلك عبد الوهاب ومن معه برز اليهم فما كان الا كلعج البصر
الا وجميعهم صرعى الا من شذ وولوا ولم يتبعوا لهم مولياً ولا أجزوا لهم
على جريح ثم انصرف عبد الوهاب قافلاً بمن معه وولت القبائل الداعية الى
مواضعها واستمكت الأمر لعبد الوهاب وبقيت حزازات في النفوس في

قلوب عشائر من قتل ثم اشتد أمر عبد الوهاب وقوي واتقّل من حال
الامامة الى الملك اهـ .

﴿ تزوج الامام من قبيلة لواتة وحرب ﴾

﴿ بني مـ الة معه لذلك ﴾

« ممزوج »

* لا يخفى أن القبائل الكثيرة المدد قلما تخلو في الغالب من رؤساء
متعدين متفاوتين في كثرة الاتباع والمنتسبين اليهم وقد كانت القبائل
القاطنة بازاء (تاهرت) على هذا المنوال فكانت في هواره تلك القبيلة الطويلة
العريضة من الاباضية رؤساء مقدمون يقال لهم الاوس ويعرفون ببني مسالة
فتقرب رئيسهم لرئيس قبيلة لواتة (وقيل لغيرها من قبائل البربر الكبيرة)
بقصد مصاهرته في ابنة كانت له توصلا الى تعزيز جانبهم بضم تلك القبيلة اليه .
ولما أحس من له بصيرة وعلم بحقيقة ذلك أشار على الامام بالمبادرة
الى تلافي الامر بأن يخطب البنت وتزوجها او يسمي في تزويجها من يامن
شره اضعافا لشوكة ذلك الرئيس وابعاد آله من الالتحام بقبيلة البنت وانضمام
القبيلتين بطريق المصاهرة اتقاء من حصول الاتحاد على الفساد والتعصب
(وهكذا شأن الملوك في سياستهم حتى الآن فانهم يخافون من حصول الوفاق
بين القبائل ولا يطمثون لكل من رأوا له اتباعا من الرؤساء واصحاب
الطرائق لما ينشأ عن ذلك غالبا من الفتن وظهور الثائرين حسبا قضت به
التجربة وشهدت به التواريخ بما دون فيها من الوقائع)

* واذا ذلك خطب الامام البنت وتزوجها ولما بلغ خبر ذلك الى الرئيس
الأوسي غضب وآلى أن لا يساكن الامام في مدينته وارتمل منها الى واد

ينسب الى هواراة على بعد نحو عشرة أميال من المدينة وهنا لك انضمت
اليه عشيرته ومن غضب لنضبه ممن ضاقت بهم سبل الحق وقيدتهم خطلة
المعدل وراموا الزئج عن جادة الاستقامة ولما صار في جموع كبيرة
أعلن الخلاف .

• ولم نزل السماء بين الثفرين رائحة غادية الى أن أوقدت نار الحرب وبدأت
بالعارات فأصاب أول غارة لهواراة ولدأ لبقال على نهر هناك يعرف بنهر
أبي سعد الله فقتلوه وتركوه ولم يغيروا من حاله ولا من ماله شيئا وثارت
الصيحة الى المدينة فابتدر الناس الغلام فأصابوه ولا روح له ولما لم يجدوا
فيه تغييرا حاروا في الامر ثم صاروا يبحثون في متاعه الى أن فقدوا خاتما كان
في أصبعه .

❦ قال ❦

• فكبروا وقالوا هؤلاء قد استحلوا الاموال والسلب اه فخل للمسلمين
واما هم قتالهم فخلوا قتلهم وواروه التراب وأخذ الامام في التهيء للحرب
والخروج اليهم فاجتمع له من العسكر خيلا ورجلا ما ملأ البقاع واجتمع
للاخرين من الجموع ما لم يجتمع لثامهم

❦ قال ❦

• حتي عدوا في خيامهم من لون واحد الف فرس أبلق وخرج عبد الوهاب
بساكره من المدينة في جموع لا يعلم عددها الا الله واتصل بخروج عبد
الوهاب ببني أوس . فجمعت جموعها وعبت كتابها على نهر يقال له اسلان
قالوا وكان عبد الوهاب قد أصابته ريح فأمر براحلته فرحلت وجعل عليها
محمل وجعل عذيله رجلا من تقوسة وقائد راحلته رجلا من نفوسة

وكان القائد ربما يحل ويقال له رويدا رويدا قال فيقال له ويحك انما قيل رويدا
فيقول هو ذلك فلم يزل يسير حتى تراءى المسكران اهـ

ممزوج

فرتب الامام قواده وصفوفه وجالت الخيل في ميدان الحرب ميمنة
وميسرة وتنازلات الابطال من الصفين والتحم القتال فسد غباره ما بين
الخافقين وكما نظر الامام ذات اليمين وذات الشمال والقاب رأى فارسا فاق
الاقران ودوخ الكتائب فيقول من الفارس فيقال له هو ابنك أفلح فقال
معجبا به قد استحق أفلح الامامة (فانها انما تنال بامثال هذا الاقتدار
لا بغيره)

قال

* فكان أول يوم عقدت له فيه الامامة قال فلم يزل الناس يقتلون لا
يولي بعضهم لبعض الدبر الى أن سال وادي سلى ذلك اليوم دما اهـ .
* (ممزوج) ولما رأى الامام صبر الفريقين وعدم ترحيح العدو عن موقعه
والسيوف تحز الحام ولبرقها الممان في سحب تلك السهام اشتد غضبه وزاد
في الثقل ونادى يادينار زم الخطام وتقدم بنا ففرع زميله النفوسي وخف
فرجع الامام به ولما شعر بذلك قال ما بال الحمل قليل له قد خف زميلك
النفوسي (وقد يكبو الجواد والا فان لنفوسة الثبات في الحرب) فقال ثقلوه
بحجر ولا زال دينار يتقدم والامام يثقل والنفوسي يحف فيزيدون معه حجرا
الى ان هزم العدو وولى الادبار ولحق بجبل يخبان واستكان للطاعة وخمدت
نار الفتنة ورجع الامام يحف رايته النصر والظفر فأقبل على ابنه أفلح وقر به
اليه ورشحه للامامة .

قال

* وانقطع له (أي لافلح) المنقطعون ودارت الحوائج اليه والعطاء من تحت يده اهـ .

وصار الامام بعد ذلك في راحة ودولته في تقدم الى ان كان كما وصفه بعد ذلك .

قال

وكان عبد الوهاب هذا ملكاً ضخماً وسلطاناً قاهراً قد اجتمع له من امر الاباضية وغيرهم مالم يجتمع لأباضي قبله ودان له منهم مالم يدن لغيره واجتمع له من الجيوش والخفدة مالم يجتمع لأحد حتى انه لقد حكي لي جماعة من الناس انه لقد بلغت بهمة الى ان حاصر مدينة طرابلس وملك المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان اهـ .

ومدينة تلمسان الآن من اعمال الجزائر وهي نهاية حكمها بما يلي مملكة فاس فيها من الأبنية العجيبة والصنائع المهمة ما يستحق الذكر واهلها اولو رفاة ونظافة غير بعيدين في ذلك عن سكان مدينة تونس ذات الأدب والعلم والحضارة في المغرب بهذا العصر ولهم في التجارة غرباً وشرقاً حسن اقتدار وقد استبحرت في العمران بعد استيلاء الدولة الافرنجية (فرنسا) عليها تبعاً للجزائر ونمت تجارتها بما جرى فيها من تسهيل طرق المواصلات والنقل كثيرها من مدن قطر الجزائر وتونس التي لا تبعد كلها في الوضع والشكل والترتيب عن بعضها بعض اذ كان نافع روح العمران والحضارة المصرية وبث الصنائع على اختلاف أنواعها وفنونها في الكل دولة واحدة .

— ﴿ عزم الامام على أداء فريضة الحج ﴾ —

— ﴿ ومروره بجبل نفوسة ﴾ —

• ولما رأى الامام رحمه الله من سائر اتباع دولته كمال الانقياد واستيلاء الامن والعافية على البلاد وانقطاع دواعي الفساد وجرثومة القتل والعناد عن تشويق الى زيارة ضريح أفضل الخلق على الاطلاق نور الوجود . ونبراس اليوم المشهود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الابرار والى تلك الديار المقدسة الطاهرة . وقد علم من نفسه رحمه الله انه ممن تعين في حقه القيام بأداء فريضة الحج المعظم لما لديه مما آتاه الله من الثروة الواسعة اذ كان رحمه الله قبل تحمله أعباء الامامة من أحاطم أولي الاموال الوافرة في عصره فكانت تجارته في أشهر المدن والجهات كالسودان والحجاز واليمن والبصرة وغيرها من مدن الشرق حتى قال شاهداً على نفسه بالغنى شكراً لله تعالى وتحدثاً بالنعمة مامعناه ﴿ لو لم أكن الا أنا وابن جبرني وابن زلفين لأغنياني مال المسلمين بما علينا من الحقوق الشرعية ﴾ فهو ذو ذهب وفضة . وابن جبرني فلاح عظيم كانت زكاته في السنة آلاف حمل من البر والشعير وقيل ان أنذر زرعه يرى من مسافة أيام كالجبل . وابن زلفين ذو ابل وغنم له من ذلك ما يمد بمئات الالوف ذكر المؤرخون ان له من صنف الحمير وحده اثني عشر ألف حمار .

* وبعد أن أبرأ ذمته من التبعات وقضى ماعليه من المطالب ديناً ودنيا امتطى متن جواده مستصحباً معه (زوجته) وتوجه الى الحجاز مع البر في جمع كبير فر على جبل دمر وأقام فيه أياماً اعترفوا له فيها بالامامة وقدموا له البيعة مباشرة واستعمل عليهم عاملاً يعرف بمدرار .

* وله هناك مسجد كبير ومصلى مشهورة في موضع يقال له (تلات) فيه رخامة كان يستند اليها تساوي رأسه عند قعوده وقد ذكر صاحب السير رحمه الله وهو من علماء آخر المائة التاسعة منها في وقته تساوي صدر الواقف وكأنه رحمه الله كانه أفصح عظيم البنية . وله في وادي تناوين بحجة أفريقيا مصلى أيضا أصلح خرابه العلامة الشماخي رحمه الله باعانة مجاوريه من العرب كما حكاه في سيره أنابه الله .

* ثم سار الامام من جبل ذمر الى أن دخل حدود جبل نفوسة وبينما هو يسير بين المنازل والقرى النريبة اذ أدركه المطر واشتد البرد وكان ذلك بالقرب من قرية (وينو) الكائنة فوق جبل مدينة (سروس) وهي قرية جميلة المنظر تدل اطلالها ورسومها المتينة على اتقان صنعة بنائها . فقصده الامام دار العلامة مهدي فيها فوجدها دار رجل زاهد عابد لا غطاء ولا وطء وقد حصل للامام ومن معه من البرد والمطر تعب كبير .

* وكان الشيخ فرج بن خالة مهدي رجلا مترفا متحضرا اذا بسطة في المال وكثيرا ما عاتب مهديا على غلوه في التثقف والاعراض عن الدنيا وكأنه يميل الى استحضات أمثال قولهم لا يستقيم الدين الا بالدنيا . وقول الشاعر .

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتماعا * وأقبح الجهل والافلاس بالرجل
* فيعكس مهدي عليه القضية ويماتبه على اشتغاله بالدنيا وتعلقه بأسباب
جمعها تعلقا زائدا حتى انهما اجتماعا ذات مرة بتيهت بين يدي الامام قبل
قدومه الى الجبل فشكا له كل منهما صاحبه فقال مهدي ان ابن خالتي هذا يا
أمير المؤمنين قد اشتغل بدنياء حتى كاد يضر بآخرته وقال فرج ان مهديا

هذا ابن خالتي وقد اشتغل بآخرته حتى أحجف بدنياء وطلما نهيته عن ذلك ولم يقبل فمن المصيب منا يا أمير المؤمنين . فسكت الامام ولم يرد لها جوابا الى ان كاث قدومه هذا الى الجبل بعد سنين متعددة وبينما هو بدار مهدي على ما وصفناه من عدم توفر أسباب راحته من مشقة السفر والمطر اذ أقبل ابن خالته من غيته فطلب منه نقل الامام ومن معه اليه فساغفه وفي الحال حضرت الخدم وهيا لهم ولدوابهم ما يكتفيهم من المحلات وخصص لكل واحد منهم فراشا ووسادة وغطاء وبدلة ثياب نظيفة طاهرة ونشر أثوابهم المبلولة بالمطر وقدم لكل واحد كانوا من الجمر امامه وأحضر لهم في الحال ما كفاهم من أنواع الطعام الفاخر وأكرم دوابهم بما لزم من العلف والشمير وبسط عليهم مما لديه من الخير ما جعلهم في راحة تامة .

* واذا ذاك تذكر الامام الحكاية المتقدمة فدعا مهديا وقال له قد حاجك ابن خالك يا مهدي (لأن الدنيا في اقامة الدين يدا طولى) . وقد تعجب القوم من استحضار فرج في أقرب وقت على حين غفلة تلك الكوامين كلها ويقال أنها محابس نغار كان اعداها للفرس . وكانهم كانوا يستعملونها على نحو ما يستعملها الناس اليوم في المذن . وهذا دليل على أنهم كانوا أهل اعتناء وعمل للدين والدنيا لأهل بطالة وكسل على حد قول حكيم زمانه وامام أوانه العلامة أبي نصر الملوشتائي النفوسي رحمه الله

احب قتي ما ضي العزائم حازما * لدنيا وأخرى عاملا بالتشمر
وأما أخو الزومات لامر حبابه * ولا بالجثوم الراكد التندثر
* وبعد أن قضى الامام في قرية (وينور) أياما استراح فيها من تعب

السفر ارتحل الى بلدة (ميري) وهي قرية متوسطة بقرب حصن بني زمور المشهور في التواريخ وبلدة ابي يحيى التردتي وبلدة أبي الشعثاء السنتوتي مستجابي الدعاء الشيرين في جبل نفوسة بالملم والورع والكرامات الباهرة وتعرف تلك الناحية في زماننا هذا بناحية الرجبان لعمراتها بمدخراتها وجلاء نفوسها منها يهرب يسمون بهذا الاسم يتمذهبون بمذهب الامام مالك وهي تابعة في الحكم الآن لحاكم فساطوا المقيم في بلدتنا (جادو) المسماة باسم مدينة جادو المشهورة في التواريخ التي خربتها قبائل العرب عند ضعف نفوسها ولا تبعد عنها الا بمقدار نصف ميل تقريبا.

منع نفوسة الامام من

الذهاب الى الحج وخبر

« ذلك »

ولما فشا خبر توجه الامام الى الحج اجتمع العلماء وأصحاب الرأي من نفوسة وغيرهم واتفقوا على منعه والتعرض له خوفا من غدر ملوك الشرق (بني العباس) به ومن قبضهم عليه لان الملك في تلك الاقطار لهم ولائهم كانوا منه في رعب شديد .

« فاستأذنوا عليه فأذن لهم ولما دخلوا وأخذوا مجالسهم قام متكلمهم وقال انك قد تقلدت يا أمير المؤمنين أمور المسلمين فأحسنت السيرة وقت بالعدل ولا يخفك ما لملوك الشرق نحوك من الحقد وخبث النية وانا لنخاف أن يقبضوا عليك أو يفرؤا أحدا على قتلك فتعظم مصيبتنا وتضيع الحقوق وتعطل الاحكام . ولذلك اجمع اخوانك المسلمون الرأي على أن يشيروا عليك بالاستخارة في ترك ذلك والرجوع اخذاً بالرخصة (لانه ورد أن الله يحب

أن تؤخذ رخصه) وما كلفت به من امر الإمامة ومصالح الاسلام والمسلمين
واقامة العدل شيء عظيم عند الله تعالى .

* وبعد أن أثني عليهم بما أظروه من الاهتمام بالدين بين لهم شدة تعلق
قلبه بزيارة تلك البقاع المقدسة وأنه لا يمكنه الرجوع الا بقول معتد ظاهر
الحجة من أكابر علماء المذهب وكأنه لم يطمئن الى الاخذ بقول علماء الغرب
باقراده وبما علمه هو وأراد تقويته بقول علماء المشرق وكان المرجع في الفتوى
لاصحابنا في المشرق اذ ذاك العلامة المحدث الربيع بن حبيب والعلامة ابن عباد
رضي الله عنهما فارسل الامام اليهما رسولا بكتاب من عنده يستفتيها في
ذلك وبقي في انتظار الرسول الى أن عاد بالجواب . فكان من جواب الربيع
جواز اعطاء الاجرة لمن يحج عليه حيث كان مشغولا بامر المسلمين
والاسلام مع خوفه على نفسه من ملوك المشرق وكان من جواب ابن عباد
سقوط فرض الحج بالكلية ممن كان بهذه الصفة (وبكل أسف لم نثر على كلا
مهما حتى نقله بعينه)

* فأخذ الامام احتياطاً بقول الربيع واستأجر رجلاً من بلدة (تمردا)
بفتح التاء والميم وسكون الزاي وهي من احدي القرى الكبيرة في ناحية
جبل فساطو عاصمة الآن بالاباضية وفيها قليل من العرب المالكية وبعد أن
توجه الاجير الى الحج أقام الامام بقرية (ميري) وكانها من اشهر بلاد الجبل
في ذلك العهد ولذلك اختارها لاقامته أو فعل ذلك لانها جاءت وسطاً بين
طرفي الجبل وبني فيها مسجده المشهور الآن بمسجد سيدي عبد الوهاب
وقد تهدم بعضه لخراب البلدة بجلاء أهلها وهرقهم في البلاد بتسلط العرب
عليهم بالغارة عند قتلهم وفي هذا الوقت يضع عرب الرجبان في وسطه

وفيما يليه من الارض مما يمد من حريمه زرعههم تأميناً له من السرقة كما هي العادة في كثير من القرى والبوادي لما يشاهدونه لتلك المساجد والمقامات من الكرامات حتى ها بها المفسدون وطالما نبهنا عليهم هنالك على هذا العمل ولم ينف الكلام شيئاً لما عليه العامة في كل الجهات من شدة التمسك بالعوائد وأشدهم تمسكاً بذلك أهل البوادي والقرى الصغيرة والتي لا علم فيها حتى انهم قد يمدون العادة من الدين وان كانت في الواقع معصية فتراهم يهتكون الحرمه توصلاً الى الاحترام فيدخلون دوابهم الى المسجد فتبول فيه وتروث ليضموها فيه زرعههم حماية له باعتقاد البركة فيه وقد زرت هذا المسجد مراراً فرجده في غاية الاتساع والكبر وما بقي فيه من البناء الاول واتقاضه يدل على ما كان فيه من حسن الترتيب والصنعة طالما عمره هذا الامام بمجالس الذكر العظيم وأضاء فيه الليالي الطوال بالعبادة والقاء الدروس على اختلاف فنونها ويقال ان غالب دروسه في السبع سنين التي أقامها هناك في مسائل الصلاة خاصة ولم يتما .

* وبالجملة فقد نشر في تلك المدة من درر البيان وجواهر التبيان ما اهتدى به كل جاهل واستضاء به كل مظلم وتنبه به كل غافل من علوم زاهره . ومواعظ زاجره . وأحاديث فاخره . عطفت عليه الالباب . وأخضعت له الرقاب . فالتسعت حلقة مجلسه المهيّب وانتظم في سلاك عقدها العلماء الراسخون وأمها من الفقهاء والعلماء والادباء والعباد وأهل الصلاح من نفوسه وغيرهم من يتلج ذكركم الصدور ويملا حديث مفاخرهم ومزاياهم الدفاتر والسطور . فرحم الله الكل ورضي عنهم .

حكاية أبي عبيدة في نهى

الامام رحمه الله

• ومادون في التاريخ ان خيل الامام ودوابه أفسدت بعض المزارعات
والاشجار المجاورة لمعاها بهاون الرعاة واهمالها فبلغ الخبر أبا عبيدة عبد الحميد
الجاناني ذلك الرجل الباسل علامة عصره وكان شديد الشكيمة في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر عالي المهمة بعيد ألباه لا يخاف في الله لومة لائم
ذا علم غزير وورع زائد وزهد فائق وفصاحة بالغة فأتى الى الامام مستأذناً
فأذن له ولما دخل وسلم كما يلزم قال وهو قابض على سيفه مخاطباً للامام بأمر
المؤمنين قد آذيت الضعفاء والفقراء واليتامى بخيلك لا همال رعائك فكفها
عن المضرة والاحال يتننا وبينك هذا (يعني السيف) فأطرق الامام لحظة
من الزمن مفكراً وقال ان كان أبو عبيدة في شيء من هذا القطر فهو هذا
فقال له الحاضرون الامر كذلك فقال صدق المشايخ الذين زارونا بتبهرت وأعجبنا
حالهم وسألناهم عن خلفوه في الجبل اذ قالوا تركنا من هو خير منا وهو أبو عبيدة
ثم قرب مكانه منه وشرف منزلته ورسخت محبته عنده حتى اختاره بعد
ذلك لامارة الجبل كما سيأتي. ذكر الحكاية كل مؤرخينا وفيما ذكره
اختصار محجف بما يقتضيه المقام بل في كلامهم ما يوهم ان الحكاية وقعت
بعد وصول الامام الى قرية ميري واقامته فيها وهو أمر يستبعد العقل جداً
فان أبا عبيدة مع جلالة قدره وشهرته لا يمكن ان يحمله الامام حتى يستنهم
عنه بل لا يمكن أن يعرف أجداً قبله فالمناسب أن يقال ان القضية وقعت حال
مسير الامام بين قرى الجبل قبل وصوله ناحية فساطو وقبل اجتماعه برجال
تلك الجهة أو يقال ان أبا عبيدة كان مسافراً في بعض جهات بعيدة ولم يأت

الابعد وصول الامام واقامته والله أعلم بالواقع وعلى كل حال فالمسئلة دليل قاطع على ما كان لرجال الاباضية من قلة المبالاة في الدين وما كان لائمتهم من الخضوع للحق وقبول المرشد من أربابها والمكافأة عليها بزيادة الاحترام والاعتبار والرضاء التام وفي ذلك من الترغيب في ابداء النصائح ما لا يخفى رضي الله عن الجميع .

﴿ محاصرة هذا الامام لمدينة طرابلس ﴾ -

* كانت قبيلة هواره من البربر قبيلة كثيرة الانفاذ واسعة الاطراف ذات جموع كثيرة رجلا وفرسانا تحيط منازلها بطرابلس احاطة السوار بالمعصم وكلها اباضية المذهب والآن كلها مالكية وكانت كلها او غلبها خاضعة لعامل بني الاغلب بطرابلس ثم وقع بينهما خلاف كبير (لم يذكر المؤرخون سببه) أدى الى وقوع شقاق فخرج اليها الجند من طرابلس الى وادي الرمل ولما التقى الجمعان وانتشبت الحرب ولي الجند منهزما الى المدينة فاتبعته جنود هواره اليها وحاصروها قال ابن خلدون عند الكلام على ذلك في الجزء (٦) هكذا

* ثم ثارت هواره من بعد ذلك على ابراهيم بن الاغلب سنة ١٩٦ وحصروا طرابلس وافتحوها وخربوها وتولى كبر ذلك عياض ووهب آه ولا ذكر لهذين الرجلين في كتب الاباضية أصحابنا ولعلمها في غير الولاية عندهم . ولما ضاق الحال بالجند خرج هاربا الى ابراهيم بن الاغلب بافريقية وكان بمديته القيروان واليا لهارون الرشيد ثم لابنه الامين .

ولما بلغه بعد أن لاقى من الخسارة في الاموال والرجال شيئا كثيرا وجه الى طرابلس ابنه عبد الله في ثلاثة عشر الف فارس وعدد وافر من

الرجال وجدد القتال مع هواره حتى كاد يأخذ بثاره منهم فاستغاثوا بالامام عبد الوهاب ولما لم يمكنه الا تلبية دعوتهم للعلاقة المذهبية ولما في اغانة المظلوم للقادر من الثواب الجزيل جهز من الجبل جيشاً جراراً وسار به حتى نزل على المدينة وحاصرها محاصرة شديدة مدة من الزمن لم يبينها المؤرخون فسد عبد الله باب زناته وصار يقاتل من باب هواره وفي أثناء ذلك استشهد العلامة الشيخ مهدي النعماني المتكلم الجليل الذي تقدم انه ذهب الى تيرت في مقام مائة عالم . وذلك انه اقرد عن المسكر على شاطئ البحر ورأوه من المدينة فسبحوا اليه وقتلوه وأخذوا رأسه وعلقوه على السور فان قالوا له انهزم أصحابك الاباضية عيس وانقبض وان قالوا له انهزم الجند تبسم وانبسط . قل ذلك الشماخي وغيره رحمهم الله (وان الله خرق العوائد فلا غرابة) . وقد صعب موته على الامام والمسلمين كثيراً واستعظموا مصيبته وان كان القضاء لا يرد وكل حي خلق للموت الا ان لموت مثله في مثل ذلك الوقت الذي هم في حاجة فيه الى أمثاله وقع عظيم .

وحيث ان المدينة حصينة جداً وسورها في غاية المنعة صعب على الامام افتتاحها فصار يجمع رجاله لتدبير الوسائل المعينة على ذلك كل ليلة وكلما دبر بالليل رأياً وجده بالنهار فاشيا في العسكر فيؤخر عن حضور مجلسه في الليلة المقبلة من ينهمه بأفشاء السر وصار يفعل ذلك كل ليلة الى أن بقي هو ووزيره ذلك السياسي الكبير المدبر الخطير العاقل الشهير بأصالة الرأي والصدق في الأقوال والأفعال (مزور بن عمران) فقال عند ذلك لا أحاصر مدينة كهذه في المنعة برجل واحد . وفي ذلك الوقت أرسل اليه عبد الله رسولا يطلب منه الصالح لما بلغته وفاة والده ابراهيم بالقيروان فأجاب الامام طلبه وخفف وطأة

الحصار وأبرم معه عهداً علي أن تكون المدينة والبحر لعبد الله وما كان خارج المدينة كله الى نهاية أرض سرت للامام فدخلت هوارة كلها ومن معها من القبائل في دائرة حكم الامام وولى على الكل عمالاً من عنده وعاد بمساكره راجعاً الى الجبل وقد نودي بالآمان في المسكرين وفتحت أبواب المدينة وعادت المعاملة بين الناس الي مجراها واستقل كل بما خصصته له تلك المعاهدة .

والظاهر أن حركة هوارة وتشبثها بمخالفة بني الاغلب انما كانت والله أعلم لغرض خاص وهو التوصل الى الانضمام الى دولة بني رستم الحاكمة على جبل نفوسة الموافقة لها في المذهب وزادها رغبة في ذلك حضور الامام بالجبل طمعا في اعاقته أياها كما وقع وهو المفهوم من كلام ابن خلدون حيث قال وحجبي هوارة ببعد الوهاب بن رستم من مكان امارتهم تاهرت فجاءهم واجتمعوا اليه مع قبائل نفوسة وحاصروا أبا العباس الخ وان كان الصحيح أن اصل مجبي الامام من تيهرت الى الجبل كان لاجل الحج كما مر لا بطلب من هوارة كما قال والله أعلم .

— (محاصرة عسكر الامام لمدينة قابس) —

ولما توجه الامام من طرابلس الى الجبل أرسل من طرفه قطفان بن سلمة الزواغي في عسكر الى البلاد القريبة من طرابلس فرتب فيها المال ولما وصل مدينة قابس امتنع عامل بني الاغلب فيها من الدخول في الطاعة والتسليم فشد قطفان الحصار على المدينة الي ان استولى عليها وهي مدينة مستبحرة العمران ذات نخل وافر وأنهار جارية مشهورة بين مدن الغرب في ذلك العصر ثم انتقل منها الى ما يليها من القرى والعيال كمطماطة وزنزقة

الى جبال دمر التي هي في حكم الامام من قبل ذلك والى جزيرة جربة
فاستولى على الكل ورتب فيها العمال .

— ﴿ رجوع الامام الى تيهرت وتعيينه السمع عاملاً ﴾ —
﴿ على الجبل بعده ﴾

وبعد أن اطمأن الامام على ما استولى عليه في رحلته هذه ورتب كل
ما يلزم ترتيبه مما يعود على الرعية بالراحة والامن في هذه الولاية الطرابلسية
التي تحدها شرقاً بأرض سرت وغرباً بجبال مطاطة ودمر وعاداليه أجيره من الحج
عزم على العود الى تيهرت ولما شاع خبر ذلك اجتمع اليه اهل الفضل
والصلاح من نقوسة وغيرهم وسألوه أن يولي عليهم واليا قبل سفره يستندون
اليه امورهم ويقيم فيهم العدل ويقبض حقوق بيت مال المسلمين
ويرسلها اليه .

* فخيرهم في بعض وزرائه فأبوا الا وزير السمع بن أبي الخطاب عبد الأعلى
الامام الاول بطرابلس وكان الامام ضيقنا به محبا له لما رآه منه من النصيح له ولتته
مع سداد الرأي وحسن السياسة فصعب عليه فراقه ولما لم يجد مخلصا من
توليته لشدة رغبتهم فيه أجاب طلبهم وقال (قد طمتم يامعشر المسلمين ان
السمع وزيرى وأخص الناس بي وأحبهم الي وأنصحهم لدولتي وبذلك
لا أصبر على فراقه وقد آثرتم على نفسي تسميا لرغبتكم فما اناذا قد وليته
عليكم فاحسنوا الطاعة له والالتقاء لاوامره ماسار فيكم بسيرة المسلمين ولم
يجد عن جادة العدل والانصاف ولم يرتكب ما يؤذن بسخط الرب وبمخالفتنا)
* وقد ذكر العلامة الشماخي رحمه الله في السير أن من كان مع الامام من
الفرس والاتباع تزوجوا أيام اقامتهم معه في الجبل باماء بني زمور وخوف العنت

ولما أرادوا الرجوع معه أيضا إلى تيمرت رفعوا ما ولدن منهم من
الاولاد أمامهم على الخيل فجاء أبو عبيدة رحمه الله وأنزلهم عن السروج
قائلا خذوا عبيدكم يا بني زمور (لان ولد الامة ملك لسيدها)

ثم ودعهم الامام وودعوه بأعين سائلة وقد حل بهم من الاسف والحسرة
بفراقه وفراق مجالسه العلمية ما جعلهم في حيرة وزاده محبة في قلوبهم
فأحسن السيرة فيهم بعده واليهم السمع وعدل في الاحكام وساس الرعية
بأقوم سياسة ورتب المال والقضاة ورجال الشرطة من امناء الاهالي في
النقط المهمة وراكنز العمران وفق مرغوب أمامه بحيث لم ينكروا عليه
شيئا في مدة ولايته كلها لا يخرج عن رأي الامام ولا يخالف له أمرا إلى
ان أدركته منيته والمسلمون والامام في رضاه عنه

❦ وفاة السمع رحمه الله وولاية ابنه خلف وما ❦

❦ نشأ عنها من الفساد ❦

ولما حضرت السمع الوفاة اجتمع اليه اهل الرأي من المسلمين وقالوا
له أوصنا بما بدالك يرحمك الله وانصحننا فاننا طيعون لامرك وقابلون
لنصيحتك اذ لم تقصر من قبل هذا في كل ما يجلب لنا الخير ديننا ودنيا
وانا نقدم لك على ذلك الشكر ونسأل الله تعالى أن يكافئك
بما هو أهله .

فقال لهم أوصيكم بتقوى الله تعالى واتباع ما أمركم به الشرع الشريف
وبطاعة امامكم عبد الوهاب وتأيدته ونصرته ما دام ستمتيا على الحق الذي
مضى عليه السلف الصالح من المسلمين .

ثم سار إلى رحمة تعالى ماسوقا عليه يندبه كل من عرف سيرته وأطلع

على أحكامه وقد بلغ في الناس موته مبلغا عظيما وبعد تشييع جنازته ودفنه
اجتمعوا للنظر فيما يصلح أمرهم ويحفظ جامعتهم الى أن يعرفوا الامام بوفاته
ورأيتهم الامر منه بتعيين غيره .

ولدي المذاكرة بادرنا العامة ومن لا نظر لهم في عواقب الامور
الى نصب ابنه خلف مكانه ظنا منهم ان ذلك ارضى لامير المؤمنين وأوفق
لرأيه لما فيه من احياء أثر السمع وجبر خاطر عائلته وتهوين مصيبتهم . وأنكر
الخاصة ذلك كأبي الحسن أيوب بن العباس وأبي الثيب اسماعيل بن درار
الغدامسي وغيرهما وقالوا لا يجوز لنا أن تقدم أحدا قبل ان نستأذن ولي
الامر في ذلك فتمثلت العامة ومن رغب في تقديم خلف بعد المسافة قائلين
تقدمه موقتا ونعرف الامام فان رضي به رضينا به وذلك ما كنا نبني وان
عين لنا غيره قبلناه وتركنا هذا فسكت من انكر ذلك طالبا للسلامة وفرارا
من التفرق وتشعب الآراء ووصولها الى درجة المراء ثم كتبوا كتابا الى
الامام يبينوا له فيه وفاة السمع وتقديم بعض الناس ابن خلف وانكار بعضهم
ذلك وقالوا له الامر موقوف الي أن يأتي كتابك فان رضيت به قبلناه
وان أخرته أخرناه وأرسلوه الى الامام مع رسول مخصوص ولما بلغ الامام
تأسف واغتم وتحسر تحسرا لا مزيد عليه لوفاته وزيره السمع وأجابهم عن
كتابهم بهذا الجواب .

﴿ جواب الامام رحمه الله الى جبل نفوسة في ﴾

﴿ مسألة خلف ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله »

﴿ من أمير المؤمنين عبد الوهاب ﴾ الى جماعة المسلمين بميز طرابلس

أما بعد فإني آمركم بتقوى الله واتباع ما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه .
وقد بلغني ما كتبتم به إلي من وفاة السمع واستخلاف بعض الناس خلفا
وردد أهل الخير ذلك .

فإن من ولي خلفا من غير رضا امامه فقد اخطأ سيرة المسلمين ومن
أبى من توليته فقد أصاب فإذا اتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله
منكم السمع إلى عمالته التي ولي عليها الا خلف بن السمع حتى يأتيه امرى
وتوبوا إلى ربكم وراجعوا التوبة لعلكم تفلحون اه .

ودفعه للرسول فأتى به إلى طرابلس ولما فتحوه في الجبل ووجدوا فيه
مخططة من نصب خلفا والرضا عن أنكر ذلك استعظم الذين قدموه الامر
وأنفوا من ابطال الامام عماهم وقد ذاق خالف في تلك المدة حلاوة الحكم
وتلذذ بطلاوة الأمر والنهي ففض بنواجده عليها وحث أصحابه على التمسك
بما فعلوه وأن يكرروا الكتابة إلى الامام في تنفيذ ما كان منهم من تقديمه .
وكأني به وقد وعدهم بالوظائف ونانم بأماي جملة أشد الناس
حرصا على الطلب كما فعل ابن فندين وشعيب فكتبوا عند ذلك إلى الامام
كتابا آخر في ذلك وأرسلوه ولما وصل الامام استشعر من القوم الدخول
في دور العناد وأحس بوقوع التفرق فتربص في الجواب وتشكر في سد
هذه الثامة مليا ولا ريب في انه لا يحيص له من احد أمرين خطيرين فاما
أن يجيبهم إلى ما طلبوه فيعدون ذلك عجزا عن معاستهم ويستفحل أمرهم
وتنكسر شوكة الآخرين وربما يعود خلف إلى التسلط عليهم إذا استبد بال رأي
واستقل (والناس اتباع لمن غلب) واما ان يصدم عن طلبهم ويعين غيره
فإنهم وغيظهم ويتضاعف شرهم ويفسدون في الارض ويمجولون ذلك ذريعة

الى طلب الاستقلال متى وجدوا فرصة بمساعدة أولي الفساد وعلى كلا الحالين
فالأمر مشكل .

ثم جزم بعد اقدام واحجام على طريقة اكتشاف بها الحقيقة ووقف
على نوايا خلف وحزبه وذلك انه كتب باسم خلف كتابين أحدهما فيه عزله
وأمره بتقوي الله تعالى واعتزال أمور المسلمين والتوبة مما صدر منه من
الخطاء وحرم عليه فيه أخذ صدقات الناس . وثانيهما فيه توليته . وكتب كتاباً
ثالثاً الى من اتهمهم من وجهاء المسلمين بجز طرابلس أمرهم فيه بأن يعطوا
خلف كتاب عزله أولاً فإن قبل وسلم الامر ولم يماند سلموا له الكتاب الثاني
الذي فيه أمر ولايته وفوضوا له الامر وان أبي ترك الامور والتسليم واستكبر
تركوه وغيه وعرفوه بذلك ليدي لهم فيه رأيه .

ولما وصلت الكتب الى من وجهت اليهم بطرابلس امتلوا الأمر فسلموا
خلف الكتاب الاول ولما وجد فيه عزله أبي واستكبر وأصر على مباشرة
الامور غير مكثرت بمنزل الامام رضي المسلمون أم كرهوا وساعده على
ذلك جماعته واختل نظام الحكم عند ذلك ثم ات جماعته كتبوا كتاباً الى
العلامة أبي سفيان محبوب بن الرحيل وهو اذ ذلك مرجع أهل الدعوة
بالشرق بعد الربيع ومعاصريه يستفتونه في المسئلة راجين أن يجوز لهم
الخروج عن طاعة الامام ونصب خلف اماماً مستقلاً بدعوى أنهم منقطعون
عن تيهرت ومنفصلون عنها بولايات بني الاغلب كما مر فكتب اليهم بعد أن
وصله كتابهم مع رسالهم بخطته من ولى خلفاً وأمرهم بطاعة الامام وحرم عليهم
الخروج عنه (وكلما بحثنا عن هذين الكتابين لم نقف لهما على أثر) ولما وصلهم
الكتاب وكان على خلاف ما مولهم نبذوه وراءهم ظهرياً وأنكروا امامة عبد

الرهاب وبأيوا خلفا . وعند ذلك حرر جماعة المسلمين الى الامام كتابا في ذلك مفصلا .

❦ ولاية أيوب بن العباس رحمه الله على الجبل ❦

ولما وصل كتابهم الى الامام كتب بالولاية الى العلامة الباسل أبي الحسن أيوب بن العباس أحد الاربعة المتقدمين في الذكر وكان ذا بأس وشدة في الدين ولما بلغه الامر فرح المسلمون بذلك وهابه خلف وأتباعه فالتزموا السكينة ورفع هو راية العدل وحمل الناس على الواضحة وسار فيهم سيرة حمدا جلياهم وحقيرهم ولا زال في رضاه الامام وقبوله الي ان حضرته منيته وسار الى غفر ربه وسعة رحمته وهو في رضاه المسلمين (ولم تقف على ما بين مدة ولايته) فالحق المسلمين بفقدته من الكدر مالم يلحقهم على أحد قبله لما أظهره في مدة ولايته من العدل ولا خماة فتنة خلف .

وبعد أن شيعت جنازته ودفن أرسل المسلمون من نقوسة ومن معهم الى الامام كتابا بوفاته وطلبوا منه تعيين من يقوم مقامه ولما وصله الكتاب أدركه من الكدر ما أنساه حرارة جمره وفاة السمع قبله ثم تفكر مليا فيمن يوليه الأمر فلم يهتد الى أحد لا رتبك أفكاره وتغير سماء ذهنه بمصيبة هذا الشهم الجليل التي ذكرته رزية ذلك الطود الفاخر فأرسل اليهم ان يختاروا من كان منهم أهلا لها ويمرفوه ليأذن لهم في تقديمه .

❦ ولاية أبي عبيدة عبد الحميد رحمه الله على الجبل ❦

ولما ورد عليهم كتاب الامام اجتمعوا لقراءته واتفقوا على أبي عبيدة عبد الحميد الجنائوني ذلك الرجل المشهور بالعلم والورع وكتبوا الى الامام بذلك كتابا ولما وصله رد في الحال اليهم كتابا بالاذن في توليته ولما بلغهم استبشروا

وأرسلوا إلى أبي عبيدة (وكانه لم يبلغه خبر اتفاقهم الأول ولعله كان سراً) فحضر إلى المجتمع وبلغوه اذن الامام وقالوا له ان أمير المؤمنين يأمرنا بطاعتك والالتقاد لأوامرك على ان تضي فينا بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الصالحين فماذا تقول .

فاستعظم أبو عبيدة الامر ورهب من ذلك الموقف الجلل لما في مستقبله من الصعوبات بوجود خلف واتباعه الشاقين لمصا الطاعة ولما في تقلد أمور المسلمين من المشقة وسوء العاقبة ديناً ودنياً ان زاع يوماً (لا سأل الله) عن جادة الصواب فلم يكن منه الا أن دفع ذلك عنه وتبرأ قائلاً انا ضعيف انا ضعيف انا ضعيف (عن القيام بهذا الامر العظيم فانظروا غيري) ولما لم ينالوا منه طوعاً ولم يظفروا به راد بمدكل رجاء اعادة الخبر إلى الامام وبينوا له ما جرى مفصلاً فازدادت رغبة الامام فيه وشرس فيه النجاح .

فأرسل اليهم كتاباً مصدراً بأيمان مغلفة بأربع لغات عربية وحضرية وبربرية وحبشية (لانه كان رحمه الله يتكلم بلغات متعددة) على انه لا يقلد أمر المسلمين الا رجلاً يقول انا ضعيف وكأنه رحمه الله أدرك بذكائه حكمة تكرير أبي عبيدة جملة انا ضعيف ثلاثاً فكتب اليه الامر بالدخول في العمل وحتم عليه قبول الولاية وقال له ان كنت ضعيفاً في البدن فادخل في أمور المسامين والله يقويك وان كنت ضعيفاً في المال فبنت مال المسلمين يسمعك ويسمع غيرك وان كنت ضعيفاً في العلم فمليك بأبي زكرياء التوكيتي . ولما ورد الكتاب على نفوسة اجتمعوا وطلبوا ابا عبيدة فحضر وأطاعوه على قول الامام وقالوا له لا يسمعك الا من لا يقول وامثال الامر . واذا ذلك علم انه لا محيص له عن القبول الا أن من باب الثبات

والثاني في ذوات البال من المسائل سألهم المهلة في الجواب ثم توجه الى مجوز هنالك مشهورة بالعلم والزهد وكان يتهاجماً للعلماء واهل الصلاح من المسلمين وقال لها ان امير المؤمنين قد ألح علي في التولية على الجبل بعد كل امتناع مني وقد جئتك مستشيراً فما رأيك . فقالت له ان كنت تعلم ان في نفوس من هو افضل منك واقوي على القيام بالامر وتقدمت فستكون خشبة في جهنم وان علمت انه لا يوجد فيهم ذلك وتأخرت فكذلك . (وليس هذا الكلام من قبيل كلام ابن فندي ومن معه فليأمل) فقال لها أما في امور الرجال فلا اري ان احداً يقوم مقامي (وهذا ايضاً منه رحمه الله حكاية للواقع لانه في مقام الاستشارة الموجبة لذلك لا اقتذار) فقالت له ادخل حينئذ في الامر واشهر الحق واذا فسخ الله عظامك في النار . فرجع الى الجماعة يوم في انتظار وقبل الأمر قسرح الناس فرحاً شديداً ومهمهم السرور حتى قالوا امضوا بنا لزيارة (وقاية) فانها افضل من عمائنا حيث كانت السبب في قبوله الولاية .

فشرحه رحمه الله لاهياء السيرة وعدل في الاحكام واستعمل على النواحي من حسنات سيرته وطايب سيرته من المسلمين واستصحب معه للمشورة في مهمات الامور خيار المسلمين وارباب العلم والتصحية في الدين كابن زكرياء المذكور وابي مرداس وابي الحسن الابدلاني وغيرهم ممن يطول ذكرهم * وقد ذكر العلامة الشماخي رحمه الله نقلاً من الطبقات انه كان اجد علماء نفوسة الموصوفين بالاخلاق النفيسة ميالاً الى ما طبع عليه من الورع واطراح الحرص في الدنيا وترك الطمع وقال كان غاية في اشاذ الامور وامضامها وقائماً بالمداخلة لاحوال البناء ودفاعها ووافياً بما امر به من

اصلاح النفس والدين والدنيا وتحصينهما

• ولما بلغ خبر قبوله الولاية الى خلف طارت شرارة غضبه بين قومه وتولى الشيطان كبره فرفع راية العناد وجدد الخلاف والانكار على الامام ثم شن الفارة على بعض الاطراف مما تحت حكم أبي عبيدة وعنا في الارض فأخاف السبل وقطع المواصلات بين الناس فأرسل أبو عبيدة الى الامام ببيان ذلك كله وأستاذنه في محاربه وكان الامام كما قلناه شديد التحري في سفك الدماء وعلان الحرب فلا يقدم على شيء من ذلك الا بوجه شرعي لا خلاف فيه فرد الى أبي عبيدة الجواب بملاطفة خاف ومناصحة وعدم المبادرة الى فتح باب القتال معه الا ان فأجأهم بمكره فليدفعوه عن أنفسهم بأقرب وسيلة وأبعد طريق عن المضره فامثل أبو عبيدة الامر وعدل الى السكون فهدأت حركة خلف قائماً بما في حيزه ساعياً في استمالة الناس اليه .

حكاية ابن يانس المفسد التابع لخلف وجواب الامام اليه

وكان من خواص رجال خلف عمرو بن يانس منيع النيمة ومعدن الفساد وجرثومة الشر وأس المتعريات الذي كان دابه تتبع خطايا المسلمين وزلاتهم . والنجس عن أحوال الناس خاصتهم وعامتهم لا ينهاهم عن منكر فعلوه أو يأمرهم بمعروف ضيعوه بل ليتوصل بتلك الاكتشافات الى القاء العداوة والبغضاء بين الناس وإيقاد نار الفتنة . فان هذا الرجل كان يكتب الامام بكل ما يسمعه من خطأ في فعل أو قول من أعيان المسلمين مع زيادة أضاف ذلك زوراً وبهتاناً بدون أن يكلفه الامام بشيء من ذلك زاعماً انه يخدم دولة الامام والاسلام تشبهاً بأرباب الاصلاح (وما هو الا مفسد كذوب) شان كثيرين من شياطين الانس في كل زمان ومكان ويمبر عنهم في بعض

البلاد الآن بالشاشيدات فاز شأهم مخابرة المحاكم سرأبعورات الناس مع
الطنن في خواصهم على اقتراف في أكثر الاحوال غواية من الشيطان الرجيم
وحسداً وطمعاً في حطام الدنيا واليأذ بالله .

• ولما أكثر عمرو هذا من مخاطبة الامام وتبين له زوره وكذبه كتب
اليه كتاباً في غاية الايجاز كله حكم وجواهر ترشد الحائر وتهدي الضال
وتبكت الكاذب كما تدل على ذلك قطعة منه عثرنا عليها تصدق ما يقال من أن
كلام الملوك ملوك الكلام وهذا نصها .

— أعاذنا الله يا عمرو بن يانس من النزول بعد الطلوع ومن الترك
بعد الاجتهاد ومن بنض المسلمين بعد محبتهم ومن نفاق تحقيقه الصدور ومن
اقتحام الاشياء من غير تجارب اهـ . —

• وأمر رسله أن يبلغوه اليه وقال لهم ما أظنكم الا أن تدركوه ميتاً وقد
كفى الله المسلمين شره . ولما أشرف المرسلون على بلدته رأوا نكشاً خارجاً
فقالوا من هذا فقيل لهم عمرو بن يانس فقالوا الحمد لله الذي استجاب دعوة
الامام فيه .

• وكان عمرو هذا ممن يتلقى العلوم عن شيخه العلامة الكامل أخيه أبي
المنيب مامد (محمد) بن يانس مع الشيخ العلامة أبي خليل الا أن لاشيخ رحمه الله
فرقاً فيهما في المعاملة بالحام من الله فكان اذا دخل عليه أبو خليل أظهر
احترامه وتعظيمه حتى انه ليقعد اذا دخل عليه وهو مستند بخلاف ما اذا دخل
عليه عمرو فانه يمسك الامر ولما سئل عن ذلك قال اما أبو خليل فانما يتعلم لله
وأما عمرو فانما يتعلم ليؤدي المسلمين ويعتصم فأك أمر أبي خليل الى أن
صار قدوة في الدين وكفناً للمسلمين وآل أمر عمرو الى ما ذكرناه من الانضمام

الى خلف . والله في خلقه تصرف غريب . يفضل من يشاء ويهدي من يشاء
 فمن رد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن رد أن يفضل يجعل
 صدره ضيقاً حرجاً . وبقي أبو عبيدة رحمه الله قائماً بأموره في حيزه مواصلاً
 للإمام بما يجب من المال حتى اتقضى أجل الامام فذهب رحمه الله الى دار
 البقاء والمسلمون شرقاً وغرباً راضون عنه كما ستطلع عليه في هذا الجواب .
 - جواب الى امام عمان -

* وقد وقفت على رسالة من أرباب الصلاح والاصلاح من أهل الدعوة
 الاباضية بالشرق كتبها مجبولون أرسلوها الى امام عمان بتاريخ ٢٢٧ هجرية
 تقريباً ينصحوه فيها كما هو شأنهم في كل عصر افتحوها بما نصه .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله -

الى امام المسلمين الصلت بن مالك التتلي بأمور أهل عمان ومن
 وصله كتابنا هذا من المسلمين أهل عمان من أهل النصيحة لهم والشفقة
 عليهم اخوانهم وأهل دعوتهم من أهل الستر في أمكنتهم . سلام عليكم
 الى آخرها . وهي طويلة تجاوز عشرين ورقة كلها مرشد وتواعد لشد
 دعائم الامامة وحفظ هيكلها وفيها ما يدل صريحاً على أن اباضية المشرق في
 مسئلة الامام عبد الوهاب مع ابن فندين بكلهم على رأي واحد موافقون
 لرأي الريس رحمه الله في الرضاء عنه والاقرار بامامته في المغرب
 وتخطئة المنكرين عليه وهذا ما حرره كاتب تلك الرسالة في ذلك
 بالحرف الواحد .

قال -

* ولو أن فرقة من المسلمين خرجوا عن الامام ياتسون منه أشياء

ويدعونها عليه مما لا يستدل المسلمون على أنهم صادقون فيه او كاذبون
والامام ينكر ذلك ويدعي عليهم ظلماً ايضاً لا يعرف المسلمون ما يدكر فيه
نخرجوا عليه واستحلوا قتله من قبل أن يوضحوا عليه تلك الاشياء التي
ادعواها ضمن بغاة على الامام ويحل للامام قتالهم . وذلك لانه لا ينبغي
للمسلمين أن يقاتلوا امامهم بالاشياء التي يدعونها عليه حتى يوضحوا له ما
ادعوه ويستتيبوه فيصر ولا يتوب وبإي الاختلاع عنهم . فان تمدوا عليه
فقاتلوه وزحفوا اليه يطالبون ازالة امامته بمجرد الدعوى لا غير فقد حل
الامام وجميع المسلمين قتالهم لبغيتهم وتركهم رأي من كان قبلهم
من المسلمين .

• وبهذه المنزلة كانت الخارجية على عبد الوهاب (امام المغرب)
لاستحلالهم الخروج عليه بدعوى الشروط التي يقرون على أنفسهم بالظلم فيها
وقولهم نزل لك لانا أصبنا من هو أعظم منك . وقد كان المسلمون رجة
الله عليهم ولوا من ولوه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الرعية
من هو أعلم منهم في الاحكام ولو كان الامر كما زعموه من عزل الامام
كلما حدث من هو أعلم منه لكان أمر المسلمين مختلطاً أبداً ولكانوا كل
يوم في انتظار ظهور من يزيل امامة امامهم والحال أن المسلمين قد ولوا أبا بكر
رحمه الله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل حاضر وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما أعلم العلماء وقال معاذ أعلم امتي بالخلال
والحرام فلما استحل الخارجون على عبد الوهاب الخروج عليه بالاشياء التي
يعلم المسلمون انها بدعة وخطأ واتما لا تزيل امامته علموا أنهم مخطئون
مبتدعون فدعواهم الى ترك ما دخلوا فيه من البدعة والى مراجعة الحق فأبوا

الاتقاديا على المعصية ثم زحفوا الى المسلمين فقاتلهم المسلمون وامامهم عبد الوهاب على اصرارهم على المعصية وادعائهم زوال امامته بلا حدث واضح عند المسلمين انتهى المراد منه .

— تصحيح قول —

« كنت أعتقد أن الامام الكبير ابا عبيدة مسلما رضي الله عنه توفي في أواخر دولة الامام عبد الرحمن رضي الله عنه لما يؤخذ من ظاهر كلام أبي زكرياء رحمه الله وقد مر ذكره . وادم ذكره في الكتب الموجهة الى المشرق . مدة خروج ابن فندين عن الامام عبد الوهاب . ثم عثرت في رسالة للعلامة محمد بن محبوب العماني الى أهل المغرب على ما يؤذن بخلاف ذلك اذ قال رحمه الله بعد كلام هكذا » وذلك في زمان ابي عبيدة مسلم وعن رأيه كان ذلك من عقد أهل المغرب لابي الخطاب ثم ابن رستم بعده ثم عبيد الوهاب بعد ذلك اهـ

« فدعاني هذا الى البحث على اكتساب حقيقة ذلك حتى وقفت على قطعة رسالة في مجموع لبعض أصحابنا المشاركة ذكر كاتبها انها من الامام أبي عبيدة الى الامام عبد الوهاب فتحققت انه حضر له وأنه كتب الرسالة في صدر امامته وتوفي قبل خروج ابن فندين منه ولذلك لم يذكر في جوابات الشرق والله أعلم .

« والموجود من هذه الرسالة آخرها لا غير لان صاحب الكتاب المنقول منه قال هكذا .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ﴾
 ﴿ وَمِنْ سِيرَةِ الْأَمَامِ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى الْأَمَامِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ﴾
 « بَنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَسْتَمٍ »

﴿ قَالَ ﴾ لَا يَخْلُو أَمَّا أَنْ تَكُونَ دَعَوْتَ النَّاسَ إِلَى نَصْرَتِكَ عَلَى الْأَمْرِ
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ يَجِئُوكَ وَأَفْرَدْتَ فَبَلَكَ الْقَوْمَ وَثَبَّتَ وَلَا يَتَكَ
 لَا خِوَانَكَ وَزَالَتْ أَمَامَتُكَ . وَأَمَّا أَنْ لَا تَكُونَ دَعَوْتَهُمْ فَزَالَتْ أَمَامَتُكَ
 بِالتَّضْيِيعِ وَاسْتِعْلَانِ الْبَاطِلِ قَبْلَكَ وَأَمَامَةُ الْحَقِّ فَلَا أَمَامَةَ لَكَ . وَأَمَّا أَنْ تَحْمِلَ
 سَيْفَكَ عَلَى عَائِقِكَ فَتَفِيءَ اللَّهُ بِمَا ضَمَّتَهُ لَهُ وَتَلْحَقَ بِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَكَ فَيَهْلِكَ
 مِنْ اسْتَنْصَرْتَهُ فَخَذَلَكَ . وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ رَجُلًا قَدْ عَزَزْتَ تَقْسُكَ عَلَيْهِ
 وَمِنْ قَبْلِكَ خَفَلْتَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَلَايَتِكَ وَالسَّلَامُ أَتَمَّ .

* وَعَلَى أَثَرِ هَذَا تَقْسِيرُ لَهُ لَمْ يَنْسِبْهُ صَاحِبُ الْكِتَابِ لِأَحَدٍ إِلَّا أَنْ الَّذِي
 يَدُلُّ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْهَانِهِ لَهُ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْبَعْضُ الْآخَرَانِ لِفَرْدٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ
 فَقَدْ سَلَكَ فِيهِ كَاتِبُهُ طَرِيقَ الشَّدَةِ مَعْرُضًا فِيهِ بِمَا اشْتَهَرَ بِهِ بَيْتِ الرِّسْتَمِيِّينَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ عَلِيٍّ التَّنْجِيمِ وَالرَّمْلِ مَشِيرًا إِلَى بَعْضِ مَا ادَّعَاهُ قَوْمُ ابْنِ
 فَتْدِينَ عَلَى الْأَمَامِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقِيقَةِ قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ .

* (وَتَقْسِيرُ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْأَمَامَ إِذَا رَأَى الرِّعْيَةَ لَمْ تَسْتَقِمَّ لِلَّهِ عَلَى
 الطَّاعَةِ الَّتِي يَنَالُونَ بِهَا ثَوَابَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ فَإِنْ لَمْ
 يَجِئُوهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَقِيَ مِنْفَرِدًا بِنَفْسِهِ
 هَالِكٌ كُلٌّ مِنْ كَرِهِ الْجَابَةِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَبَقِيَتْ وَلَايَةُ الْأَمَامِ عِنْدَ مَنْ حَضَرَ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَزَالَتْ أَمَامَةُ عِنْدَ النَّاسِ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي هَذَا الْوَجْهِ إِلَى حَدِّ
 الْكِتْمَانِ وَإِذَا كَتَمَ الْأَمَامُ خَرَجَ مِنْ حَدِّ الْأَمَامَةِ وَالظُّهُورُ بِالْإِسْلَامِ لِأَنَّ

البينة انما هي على اقامة كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام واتباع آثار المسلمين منه ومن الرعية واذا لم توف الرعية بذلك ضلت وصار الامام الى حد الكتمان لانه لا يظهر المنكر بحضرة الا على احد وجهين اما ان يكون مقهورا ذليلا فعليه ان يخرج من الامامة ويمتثلها

* واما ان يكون مداهنا مقصرا فلا امامة له بالنكث وتركه الوفاء بما عاهد الله والمسلمين عليه

* وقد بلغنا ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه بلغه ان أناسا من المسلمين كرهوا مقامه فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال (يا أيها الناس كرهتموني فاستقبلوني أقولكم فقال له علي بن أبي طالب هيبات هيبات لا تقال ولا تستقال) فاجمع صالحو المسلمين على الرضاء بامامته وذلك لانه لا يلتفت في هذه الامور الى انكار العامة ولا الى رضائهم وانما ينظر الناظر لله ولدينه وللإسلام وأهله وهم المستنبطون وأما سواهم من الناس فانما عليهم الاتباع والالتقياد وليس لهم من النظر للإسلام وأموره والتقديم فيها شيء قال الله عز وجل (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم) وهم أهل العلم بالكتاب والسنة لانهم المنهاج . ألا ترى انه ذمهم حين لم يردوا الامر الى الرسول والمستنبطين .

* وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأى من المسلمين تقصيرا قال لهم اما ان تقوهوا بما عاهدتم الله به والا خرجت اليكم من الامامة . فكذلك ينبغي . لان كلا قد وجب عليه الوفاء لله بما عاهده به وذلك اذا كان عن مشورة من خيار المسلمين ورضائهم به لله ولدينه ثم كان منهم الوفاء بذلك والاستقامة فيه فان عمر رضي الله عنه قال (الخلافة) ما أتمن عليها يعني

ما كانت عن مشورة أهل العلم والصلاح و (الملك) مأخذ بالسيف فكل
امامة كانت عن غير مشورة من أهل العلم والصلاح فهي ملك وكذلك
من عقد له الاشرار فهي ملك .

* (أصل) واما أن لا تكون دعوتهم فزالت امامتك بالتضييع واستعلان
الباطل قبلك وامامة الحق فلا امامة لك . (تفسير) وذلك لان الامام اذا
ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود وصلاة الجمعة بالناس
من غير عذر يعذر بذلك مثله الفقهاء وترك جهاد العدو ودفعه عن المسلمين
زالت امامته بما قصر فيه من أمر الظهور بذلك كله أو ببعضه وكذلك اذا
بدل السيرة فسار بنير سيرة من مضى وبنير ماهو معروف من سيرتهم
وكذلك اذا ترك الاحكام .

* (أصل) واما أن تحمل سيفك على عاتقك فتفيء الله بماضته له او تلحق
بأئمة المسلمين قبلك فيهلك من استنصرته فخذ لك .

* (تفسير) هذا تفسير لاول الكلام لانه اذا بقى معه أربعون رجلاً من
أهل الصلاح فلا عذر له في الضعف فاذا لم يبق معه أربعون من أهل
الصلاح والامانة فعليه ان يعتزل الامامة ويحل اللواء وتسمه الثقة فان
رجعوا اليه فليزمن بيته ولا يقبل ذلك منهم فقد اختبر غدرهم ويقال لا يلذغ
المؤمن من جحر مرتين .

* فكل من دخل في الامامة والعامة وله فيها رأي اذا كان يحجبه ذلك
يعني يجب الدخول فيها ويحتمل اليها وامام المسلمين وعالمهم فيها كالمسجون
وهو كاره لذلك فانه على خطر عظيم . والذي يوجد عن المسلمين أيما امام
جبي ارضا جباها غيره من الجبارة فلم يمنعهم من الظلم لضعف منه أو

مداهنة هو امام جائر فاسق فخلعه ونبرأ منه ولا تلبس الحق بالباطل ونحن
نعلمه لا تختلف أحكامنا على الناس وهذا ديني ومذهبي واعتقادي ولست ممن
يصدق بالنجوم والكهانة ولا بالملام لكني اتبع النبي محمد صلى الله عليه وسلم
وأقتدي بآثار الصالحين الذين لم يتخذوا دينهم لهواً ولعباً. ديني دينهم. وان
كنت قد بان لك الحق فالحق مقبول. والسلام عليك وعلى المسلمين من
لكم البلاد أجمعين وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً انتهى فلي تأمل
وفاته وعدد مدته وأولاده ومقدار علمه

رضي الله عنه

(هذا) والذي يوجد في بعض التقايد أن امامته كانت ٤٠ سنة
والذي ذكره المؤرخ المراكشي المالكي انها كانت عشرين سنة لانه على
رأيه ولي سنة ١٦٨ وتوفي سنة ١٨٨ والصحيح ان ولايته كانت سنة ١٧١ كما
تقدم ومدته ١٩ سنة فوفاته تكون سنة ١٩٠ تقريباً كما سيتضح وكان له من
الاولاد المشهورين ميمون المقتول في حياته ويوسف واقطع الامام بعده
ومن الخفدة محمد بن يوسف ومحمد بن ميمون (ولم له هو الذي قدمه قائداً
للجيش المذكور سابقاً) وأبو معبد عبد الرحمن حفيد ميمون. وكان له
عدة رسائل وأجوبة مفيدة جداً في فنون شتى بعضها موجود وبعضها
مفقود قال ابن الصغير وكان لعبد الوهاب كتاب يعرف بمسائل نفوسة
الجليل كتبت اليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سألت
عنه وكان هذا الكتاب في أيدي الأباضية مشهوراً عندهم معلوماً يتداولونه
قرناً عن قرن الى أن لحق الفضل... فأخذته من بعض الرستميين فدرسته
ووقفت عليه الخ.

* وله أقوال مشهورة معتمدة في كتب الفقه وغيرها. وذكر أبو زكرياء
 وغيره أنه رحمه الله أرسل إلى أخوانه بالبصرة في الشرق ألف دينار ليشتروا
 له بها كتباً ولما وصلتهم اتفقوا على أن يشتروا بها كلها رفاً وكان ذلك واستنسخوها
 من عندهم فكانت وقرأ ريعين جلاً ولما بلغته اجتهد في مطالعتها وتصفحها
 أوقات فراغه من الأشغال وجد في ذلك حتى قيل أنه يتجرد من ثيابه ولا
 يترك إلا السراويل حتى أتمها فقال الحمد لله الذي علمني كل ما فيها من قبل
 ولم أستفد منها إلا مستفيهاً وقيل ثلاث مسائل ولو سئلت عنها لاجبت
 فيها قياساً كما رستافها. فته دره من بحر. وكانت مكتبته تشتمل على آلاف
 من المجلدات وذكر الشماخي رضي الله عنه نقلاً عن ابن سلام أن نفقات بن
 نصر النفوسي حدث أن هذا الإمام أرسل إلى الإمام الربيع بالمشرق اثني
 عشر ألف درهم (إعانة له كما أعانوا والده الإمام عبد الرحمن قبل ذلك)
 فاشترى بها الربيع سلعة وأرسلها إليه مع أخيه فكلف الإمام بها بعض تجار
 تهرت فباعوها واشتروا له بثمنها غيرها في ثمانية أيام وأرسلوها إليه.
 * وقيل أن علماء من أصحابنا المشاركة زاروا جبل نفوسة وتهرت ولما سئلوا
 بعد ذلك أختاروا من تهرت الإمام ووزيره مزور بن عمران ومن جبل نفوسة
 أبا مرداس وأبا زكرياء التوكيتي والعباس بن أيوب وقال أبو العباس في
 الطبقات وكفاك في فضل الإمام وعدله قول أبي مرداس لا أعرف إلا
 الإمام ووزيره وهذا الفزاني ولم أره وإنما أعرفه بكتابه اه يعني عبد الخالق
 الفزاني المشهور وأخبار هذا الإمام كثيرة والله اعلم.
 ————— عمال هذا الإمام —————

* وكان من ولاته وعماله المشهورين العلامة وكيل بن دراج النفوسي من

بني يخلف عامله على مدينة (قفصة) ومايلها . والعلامة سلام بن عمرو اللواتي
عامله على (سرت) ونواحيها . والعلامة محمد بن اسحاق الخزري عامله على
(نقراوة) والعلامة جaron بن القعري الزناتي . والعلامة نهدي بن عاصم
الزناتي . والعلامة ييران اليزم رتي الزناتي . وهؤلاء لم أعلم أماكن ولايتهم
اذ لم يبين الشماخي رحمه الله ذلك . والعلامة أبو يونس وسيم النفوسي
التمزني عامله على قنطرة (مدينة تيجي) والعلامة أبو عبيدة الجنائني
واليه على (جبل نفوسة) ويعرف الآن بجبل الغرب . والعلامة مدمان
المرطلي وقد امتحنه الامام فبث اليه ذات مئة كتابين في أحدهما عزله
وفي ثانيهما ولايته ولما فتح الاول قال رحمه الله الامام علم ضعفي وقصوري
عن هذا الأمر فكتب بمنلي ولما رفع اليه الثاني وقرأه قال رحمه الله الامام
علم أن لا أحد يحاني من هذا الأمر فاستحسن الناس منه هذا الانقياد
التام وكان مستقيم الحال . والعلامة أيوب بن العباس واليه على (جبل
نفوسة) . والعلامة سلمة بن قطفان الزواغي عامله على مدينة (قابس) .
والعلامة مدرار عامله على (جبل دمر) والعلامة مناد . والسيامي الشير
مزور بن عمران الهواري قبل تقليده الوزارة ولم يذكر أحد محل
ولايته هو والذي قبله . والعلامة السمع بن أبي الخطاب واليه على (جبل
نفوسة) والمشهورون من وزرائه السمع ومزور وغير هؤلاء كثيرون
أهمل ذكرهم المؤرخون المتأخرون لعدم وجود المادة بقدها بالحرق في
أواخر الدولة وبعدها كما سيأتي خبر ذلك والله أعلم .



❦ خلافة الامام أفلح بن عبد الوهاب ❦

❦ رحمه الله ❦

« وكناه المراكشي بأبي سعد ولم نره لغيره »

« لما كانت الامور بجبل نفوسة مضطربة بخلف وأتباعه وقد وقع بأطراف تيهرت ما رذكه من الحروب التي أبقت في النفوس حزازات وربت في الضمائر أحقاداً خاف أهل الرأي وأصحاب الشورى من المسلمين بعد وفاة الامام عبد الوهاب ان يحصل بتأخير نصب امام غيره بعض حركات فسادية فبادروا في يوم وفاته الى ابنه الامام أفلح الذي كان مترشحاً للامامة بأعماله العالية وعلومه وداركه الواسعة فبايعوه وساموا له مقاليد الامور بدار الامارة قطعاً للخلاف على أن يسير فيهم بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح فقبل منهم ذلك على ذلك سنة ١٩٠ مائة وتسعين من الهجرة وعلى قول المراكشي يكون ذلك سنة ١٨٨ وليس كلامه في هذا الباب بسديد لما سياتى تحقيقه.

« وما كاد ينتشر خبر وفاة الامام عبد الوهاب وولاية الامام أفلح حتى وردت اليه كتب المال وصالحاء المسلمين من كل الجهات والولايات بالتمزية مع تقديم البيعة ومن ذلك كتاب ابي عبيدة ومن معه في حين طرابلس وفيه استأذنه في محاربة خاف وحزبه اذ اشتد فسادهم وكثر جورهم وتعديهم بعد سماعهم بوفاة الامام فلما منهم أن الامر بتيهرت لا يستقيم بعده وأن الذي يتولى الامامة سيكون له اضطراب وارباك فلا يلتفت اليهم فينالون في تلك المدة غرضهم فأجابه الامام بكتاب امره فيه بمسايرة خلف واستعمال كل سياسة توطن الأمن وتحقق الدماء وتسد أبواب الحرب كما صنع والده قبله فامثل ابو عبيدة الأمر وزاد خلف في العناد فوالى النهب والقتل والسلب في كل من عثر عليه من

أتباع أبي عبيدة وتميز بجيوشه الى مكان يعرف بتعتي والظاهر والله أعلم انه قرية من القرى التي يسكنها عرب الرجبان في وقتنا هذا وتلقب على ما وراء ذلك من الجبل الى جهة الشرق وقطعه عن أبي عبيدة وهم بين راض وساخط وشدد المضايقة على أبي عبيدة في حدوده حتى ملّ الناس واستمالهم ومن حكمة القضاء والقدر أن أخصب الله جهته وأجذب جهة أبي عبيدة في بعض السنين فرغب أرباب الحيوانات وأهل البادية في جهة خلف ورحلوا اليها تبعاً لخص الأسمار وجودة الرعى فكثرت بذلك اتباعه وقوي جنده وأعجب بذلك حتى حدث نفسه بالهجوم على أبي عبيدة والاستيلاء على ما في يده وضم الجبل كله اليه .

✽ الحاربة الاولى لأبي عبيدة رحمه الله ✽

﴿ مع خلف ﴾

« نخرج خاف بجيش كبير فأصداً ناحية (جادو) ولما سمع أبو عبيدة بذلك خرج بمن معه الى طرف غابة الزيتون وعسكر بمكان هناك يبعد عن الجبل بمسافة ساعة تقريباً غير بعيد من قرية (أدرف) بلدة العلامة أبي محمد الدرفي وهي مشهورة الى الآن بهذا الاسم الا أنها خراب مأوى لقطاع الطريق والسرقة وبه كمن للصوم ولم يشعر أبو عبيدة رحمه الله حتى غشيته فرقة من جيش خلف فيها أربع مائة فارس بين مواليه وأقاربه وأخوته فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وعدم التعرض لهم الى ان يسدوا بالشر ويدخلوا حريمه فأغاروا على قرية (أدرف) وهي في طاعة أبي عبيدة وشرعوا في النهب والقتل وكان أهلها ضعافاً قلائلاً ولما بلغ أبا عبيدة انهم قتلوا نحو عشرة رجال وتحقق ذلك قال لأصحابه الآن وجب الدفاع واندفع هو وأصحابه اليهم وناجزهم القتل فوولوا

الادبار منهزمين بعد أن هلك منهم من هلك حتى وصلوا خلفاً ومن معه من
العسكر وقد ترك أبو عبيدة سيبلهم ولم يتبع ادبارهم ونهى عسكره عن ذلك
فرجع بهم خلف إلى (تمتي) وعاد أبو عبيدة إلى جنان وهو يظن أن ذلك
يقنعهم ويردعهم عن الرجوع .

ثم إن أبا عبيدة كتب إلى خلف كتاباً يعظه فيه ويرشده رجاء أن
يتيقظ من عينه ويكف عن الفساد ويقول له فيه هكذا ﴿ واذ نرعت يا خلف
يدك عن الطاعة فكأن في حيزك وأكون في حيزي وما بال الحرب ﴾ فلم
يقنع ذلك وحرص قومه على الاعتداء والثأر على الغارة والقتل بأصحاب
أبي عبيدة أينما وجدوهم ودام الحال على ذلك نحو سنة وأبو عبيدة يناصحه
ويلاطفه ولم تنفعه الذكري . (ومن يضل الله فلا هادي له)

— المحاربة الثانية لأبي عبيدة رضي —

﴿ الله عنه مع خلف ﴾

ولما اشتد الحال وضاق الفضاء بأبي عبيدة ومن معه من فساد اتباع
خلف وبلغ خبر ذلك إلى خلف خرج بعساكره قاصداً أبا عبيدة كأول مرة
وكان في أربعين ألف مقاتل فللقاه أبو عبيده لما بلغه خبر خروجه في قليل
من أصحابه إذ جاءه الخبر على حين غفلة ويقال أن الذين كانوا معه لا يتجاوزون
عدد أهل بدروهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وقيل كانوا سبعمائة من أهل الفضل
والعلم الذين لهم الثبات في الحرب .

﴿ ولما تراى العسكران تاه خلف إعجاباً بكثرة جنده وقوته وقلة جند
أبي عبيدة غافلاً عن قوله تعالى ﴿ وما النصر إلا من عند الله وقوله كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله إن الله مع الذين

اتقوا والذين هم محسنون ﴿١﴾ واذ ذاك رأي أن قتالهم عبث وتلاعب وان
 محوهم وبادتهم بالسيف على زعمه مع اقرارهم بامامة الامام أفلح ممالا بورث
 له نفراً يذكر اذ لم يكونوا كفؤاً له ولجيشه على حسب غروره . واستظهر
 أن يدعوهم الى خلع الامام ومبايعته هو والاقرار بامامته طمعاً منه في رهبتهم
 ومبادرتهم الى اجابة طلبه فيكون ذلك زيادة تعظيم لشأنه واعلاء لقدره واهانة لهم
 وامانة لقلوبهم وجعل لذلك مقدمة كانت السبب في انهزامه فسرّح عسكره فيما
 قرب منه من قرى أبي عبيدة ورعيته تسلب وقتل ثم أرسل الى أبي عبيدة
 رسولين يأمرانه بخلع الامام والدخول في طاعته هو ولما بلغا أبا عبيدة طلبه قال
 لهما كيف نخلع امامنا بدون حدث يوجب خلعنا والبراءة منه وما الذي سوغ
 لصاحبكما (خلف) هذا الخروج والمصيان وقد كان أبوه السمع أعلى منه
 شأنًا وقدراً وكان راضياً على الامام طائفاً له الى أن توفي فتعلا له على لسان
 خلف يعمد ما بين تهرت والجبل وفصل بعض ولايات بني الاغلب بينهما وزعما
 ان ذلك مما يجوز لهم الاستقلال فقال لهما ولم لم يفعل ذلك والده ولم يقله بل
 كان يجمع الحقوق ويرسلها الى الامام لما كان عاملاً له .

* ولما طال الكلام بينه وبينهما وأخفهما بالحجة القاطعة عدلاً الى اظهار
 القوة والارهاب فقالا انا نخاف عليك ان لم تجبه الى ما دعاك اليه أن تكون
 سبياً في اراقه دماء لا يعلم قدرها الا الله وذلك أمر عظيم عنده فقال وأي
 الأمرين عندكم أعظم ترك القيام بدين الله واضاعت أم اراقة الدماء فقالا اراقة
 الدماء أعظم فقال لو كان ذلك صحيحاً لما اجتمع أهل التهر وان للدفاع ولا
 أهل النخيلة ولا ابو بلال واصحابه ولا ابو يحيى طالب الحق وابو حمزة
 واصحابهما ولا ابو الخطاب ومن تبعه ولا ابو حاتم ومن معه . وما اشبه

هؤلاء فان كل فريق منهم قام للدفاع في زمانه عن الدين واحيائه عالما بأن في ذلك من اراقة الدماء واتلاف الأنفس ما تعلمونه وقد استشهد بعضهم على تلك النية الحسنة (وانما الاعمال بالنيات) وبلغ بعضهم القصد فانار الملة وأظهر الحق وأحمد الباطل ما شاء الله من الرضى. وما نحن الا بضعة منهم وبقيّة من آثارهم فنحن على نهجهم القويم سائرون. لا نبني به بدلا ولا عنه حولا ومن أراد غيره فالله يحكم بيننا وبينه بالعدل وهو خير الحاكمين ثم اعارهما جانباً من اللين فقال حيث انكم تعظمون أمر الدماء على الدين فأبلغنا خلفا بأن ترك القتال اليوم ونصبح غدا (وهو يوم الجمعة) صائمين ويأتي لنصعد على الجبل ومعنا أبو المنيب اسماعيل بن درار الغداسي ثم نبتهل الى الله تعالى فنجل لعنة الله على الظالمين ونسأله أن يفتح بيننا وبينكم الحق وهو خير الفاتحين .

* فقام الرسولان الى خلف واخبراه بما دار بينهما وبين ابي عبيدة من الكلام فامتلاً غيظاً وأمر في الحال بالتهيء له هجوم عليه بدون انتظار واذ سمع ابو عبيدة بذلك استعد له ولما التقى الجمعان ورئت الصفوف جاء الى ابي عبيدة رجل من بقايا قوم ابن فندين وقال له دع عنك القتال فانك لا طاقة لك اليوم بمقابلة خلف وعساكره ولا حاجة لك في لقائه وكان ابو عبيدة يحسن التكلم بعدة لغات فخلف له بالبربرية والكأمية .. قائلاً لأقاتلنه ولو ألقاه منفرداً بسيفي هذا وضرب يده على قائم سيفه ثم انسل اليه رجل من جيش خلف وقال له انى مشير عليك بسبيل ان سلكته ظفرت بلا شك أزحف بجيشك الى ناحية الجبل فان ظفرت أدركت ما أردت بسهولة وان انعكس عليك الحال كنت في حصن وملجأ لا يستطيعون لك فيه كيدا فقال ابو عبيدة

لما استحسن رأيه (نصيحة نزعها الله من عدو) وهذا الرجل اما أن يكون
مائلا في الباطن الى أبي عبيدة واما أن يكون قد سئم من القتال مع خلف
على غير طائل فأراد هلاكه ليستريح والله أعلم .

• فأمر أبو عبيدة الجيش بالانتقال الى المحل الذي اشار اليه الرجل وأسندوا
ظهورهم الى الجبل ولعل هذا المكان هو المعروف عندنا اليوم بقصبة
المصلى فانه قريب من الجبل وفيه مصلى ينسب الى أبي عبيدة يزار
ويجتمع فيه الناس في وقتنا هذا من قرى متعددة لصلاة العيدين اذا حضر
(والدنا أو بعض أنجاله وهو الذي سن هذا الاجتماع هناك حفظه الله)
أو هو المكان الذي فيه الآن المسجد الجامع المسمى (أم يبدت) وهذا اللفظ
منحوت من عمي عبيدة نحتاً بربرياً فيما يظهر بعد تصحيف لفظ عمي وموقعه
الآن في وسط بلدتنا جادو مركز الحكومة والمشهور أن المسجد بني على مصلاه
وانه اغتسل هناك كما سنده كما لا يبعد عن شافة الجبل الا بخطوات ولولا
الشجرة المذكورة لقلنا أن المكانين قريبان جداً من مدينه جادو القديمة
فلا يمكن وصول العدو الى هناك والله أعلم .

ولما رأى خلف ما حصل من أبي عبيدة من الرجوع الى ورائه ولا
علم له بما أبداه بعض أفراد جيشه من النصيحة ظن أن ذلك من أبي عبيدة
جبن وفرار تخلصاً من الهزيمة ففرح وهزه الطرب وقدم الابطال والفرسان
من عسكره واقتفى أثرهم ولما غشيت ابا عبيدة الخيل دعا رجلاً من قومه
فنصبوا له سترأ وأحضروا له ماء فاغتسل وتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله
سبحانه وتعالى بما حضر له من الدعاء سائلاً انتصار جنده ثم بسط كفيه
مواجهاً بهما السماء (وهي الجهة المطلوب استقبالها عند الدعاء) مع تضرع

وخشوع وقال (اللهم يامن لم أعرض عنه منذ استقبلت أمره لا تفرق هذه
 المصابة على يدي اذك على كل شيء قدير) وذكر الشماخي رحمه الله أن أهل
 مدينة سروس أقبلوا مسلحين لاعانة خلف فقال أبو عبيدة اذ رأيتم على
 ذلك هيجوا فينا حرارة الخوف فلا أعدمهم الله ذلك قال فبقي فيهم ذلك
 الى يومنا هذا وقام أبو عبيدة بين عسكره خطيباً محرضاً ومرغباً فشوق
 النفوس الى الاندفاع في الحرب وأزال الرهبة من القلوب

* ثم تدانى الصفان واتشبت الحرب ساعة من الزمن أظهر فيها رجال
 عسكر أبي عبيدة من الشدة والاقدام ما ترك أعداءهم في انهمام وكان
 معه من الابطال المشهورين العباس بن أيوب وقد أظهر من شجاعته ما حى
 به اليمينة والميسرة حتى قال فيه أبو عبيدة اذ رأيته يحول بجواده في اثناء الحرب
 عينا وشمالا ﴿ انى أرى العباس في عيني كالمقاب معصم لا أكلته النار ﴾
 ثم خرج من عسكر خلف رجل يعرف بهيديد بن سيدي ورجلان معه لطلب
 المبارزة فخرج اليهم أبو عبيدة وأبو مرداس والعباس اما العباس فأسرع الى
 صاحبه بالقتل واما أبو عبيدة فطال امره مع صاحبه وكانا متماثلين واما أبو
 مرداس فقد لاقى من صاحبه عيب المذكور مشقة حتى كاد يفترسه ولما
 رأى العباس ذلك عطف على عبيد فضربه على ركبته بالسيف فأبانه ثم
 حزن رأسه وقال لما رأيته طائراً في الهواء من شدة الضربة (الى النار)
 فقال الرأس (وبئس المصير) فقال العباس (انا لله وانا اليه راجعون)
 جسد طالما دعوت له بالجنة ستأكله النار . لان الرجل كان ممن شهر بالنسك
 والعبادة سخي اليد محباً لاهل العلم يهاديهم بأكباش الغنم وأحمال الطعام
 وكان العباس يمتد فيه الصلاح لذلك (ولكن الاعمال بخواتمها . وكلكم

ميسر لما خلق له) ولما رأى أبو مرداس فعل العباس بصاحبه عبيد قال ضربة
فنى لا أسكات معصمه النار)

* وبمسد أن هلك من عسكر خلف مالا يعلم عدده ولى الأدبار خائباً
فنادى أبو عبيدة حسب عادته (ونمت العادة) في عسكره ان لا يتبعوا لهم
مدبراً ولا يجهزوا لهم على جريح ولوى عنان جواده غير منقص ولا مغلول
الى مكانه وذلك عشية الخميس الثالث عشر من شهر رجب سنة ٢٢١ احدى
وعشرين ومأتين هجرية وعاد خلف الى قرية (تحتي) المشومة عليه وأمر
باخراج جميع من كان فيها من تهوسة وغيرهم ممن يميل الى أبي عبيدة وأجل
لهم ثلاثة أيام فارتحلوا تاركين أرزاقهم ومنازلهم ومنهم الأرامل واليتامى
والضعفاء ومن لا ذنب له ولا دخول له في شيء من أمر هذه الفتن وأجلى
معهم كثيرين من أصحابه الذين ظن فيهم الميل الى أبي عبيدة غلظة وجفاء ولما
أكثر من ذلك تقهقرت نفوس أصحابه وعلموا بأن أمره قد أدبر ففترقوا
عنه وأتوا الى أبي عبيدة تائبين فقبل منهم من قبل ورد من رد ممن عظم
خطأه وبقي خلف وحيداً ينتظر رتبة من أبي عبيدة تقضي عليه وعلى من بقي
معه بالهلاك وأبو عبيدة صارف عنه النظر سائر فيما كلف به من الأمر بسيرة
العدل والانصاف . وأرسل الى الامام بوهم شوكة خلف واقتراق حربه .
* ولما بلغ أصحابنا المشاركة انحال خلف الخروج وما وقع من الفتن قاموا بما
وجب عليهم من النصيحة في الدين كما هي عادتهم فأرسل منهم العلامة أبو عيسى
الخراساني رسالة مع جماعة الى أهل المغرب يرشدوهم فيها الى اتباع الحق ونبذ
الباطل وجمع الكلمة واتباع أهل الاستقامة واقتفاء آثار الاولين من المسلمين
وبالغ فيها في الثناء على الامام عبد الوهاب والامام أفلح وعلى السمع وفي

الانكار على خلف ابنته وأتباعه في كلام طويل جازاهم الله عن الاسلام خيراً.
 * وممن كان مع خلف منيب بن حامل العلم أحد أئمة المذهب اسماعيل
 ابن درار النعماني وأبو يوسف حجاج بن وفين ذكر الشماخي رحمه الله
 ان أبا يوسف أتى أهله فقالت له زوجته وهو لدى الباب (عندك يابائع دينه)
 فوقف في مكانه الى الصبح واحدى رجله داخل الباب والاخرى خارجه
 وهو عيزين أبي عبيدة وخلف ثم ثبت عنده ان الحق مع أبي عبيدة بخاءه
 ثابثاً وصار بعد ذلك من أفاضل المشايخ .

* ثم أدركت أبا عبيدة منيته فسار الى رحمة الله الواسعة يكيه العدل والعلم
 ويندبه المحراب وقيام الليل وله مسجد مشهور متوسط وآثاره تدل على انه
 كان أكثر اتساعاً مما هو عليه الآن قيل انه اجتمع فيه سبعون عالماً من
 أكابر علماء قرية جناون وقد كانت معدن العلم والعلماء حتى انها لا تحتاج فيها
 دار الى أخرى في العلم كما كانت قرية تدميرة ولأهل القريتين الى الآن
 شهرة في الذكاء وجودة الفهم وتمسك بالدين وقد دفن رحمه الله في المقبرة
 السكائنة بالجنوب الغربي من القرية المذكورة الا ان قبره محجول فعنده الله
 برحمته الواسعة وسيأتي زيادة كلام على هذه القرية ان شاء الله .

❦ ولاية العباس بن أيوب على الجبل ❦

هو بعد أبي عبيدة رحمه الله

« الله »

ولما توفي أبو عبيدة كتب المسلمون من نقوسة الجبل ومن معهم الى
 الامام بذلك كتاباً يمزونه فيه ويطلبون منه تعيين غيره ولما بلغه الخبر اشتد أسفه
 وبلغ منه الكدر مبلغاً عظيماً وأرسل في الحال أمر الولاية الى العلامة العباس

ولما وصله ولم يجد عذراً لدفعه التزم قبوله وجمع أهل الرأي ومن عليهم المدار
من رجال نقوسة وتلاه عليهم فأملوا حسن مستقبلهم وضنوا لأنفسهم الراحة
والأمن لما يهدونه في العباس من الحزم والنشاط مع ما أوتيته من المهابة
وعزة النفس في مواطنها وكان الأمر كذلك وأكثر من ذلك إذ قضى
فعدل وحكم فأنصف وحارب ففاز (وكان خلفاً اتعش حاله بعض انتعاش
وانضم إليه من جمعه بعض من نشئت أولاً وذلك فيما بين وفاة أبي عبيدة
وتولية العباس فتحرك كعادته مكدرآ صفو الأمن وجدد الفارة والنهب
وهو من أعلم الناس بما للعباس من الشدة فناصحة العباس ونهاه ولما لم ينته
عن غيه خرج إليه في عسكر لا يزيد عن عسكره في الكثرة بل كان أقل
على ما قيل إلا أن فيه من الفرسان من يمد في مقام العشرات من الأبطال
ومنهم العالمان الشيرازي بالشجاعة أبو مرداس التبرستي وأبو الحسن
الأبدلاني ولما تقابل الجمعان بموضع يعرف بفاغيس وأظن أنه قريب من تمي
هال بعض أهل النظر من عسكر العباس ما رآه من كثرة جند خلف فأتى إلى
أبي مرداس وكله في ذلك فقال له لا أخاف انهزاماً على عسكر فيه أبو الحسن
الأبدلاني ثم أتى إلى أبي الحسن وكله أيضاً فقال له لا أخاف على عسكر
فيه أبو مرداس فتعجب الرجل من اتحاد كلاميهما . ولعمري أنها لموافقة
غريبة تشهد لهما بما كانا عليه من صدق النية وصفو القلوب وتوارد الخواطر
الناشئة ذلك كله عن الحب في ذات الله ولأبي مرداس كالأبي الحسن فضائل
عالية ومناقب فاخرة تكفل بذكرها المؤرخون وكان في العلم آية من آيات
الله وفي الزهد نادوة من نوادر الدهر صاحب الامام عبد الوهاب حتى مات
وصاحب ايوب بن العباس ثم ابا عبيدة بعده ثم العباس هذا وكان معه كبيراً

في السن وهو قصير القامة يجر سيفه على الارض اذا مشى امام الجيوش .
ومن غرائب الاتفاق انني كلما ذكرته او تذكرته خطر ببالي المشير أدهم
باشا العثماني قائد الجيوش الشاهانية المنصورة في حرب اليونان سنة ١٣١٥
وهو بطل مشهور في هذا العصر وكلما ذكرت هذا ايضا ذكرت ذاك

* ولما التحم القتال واشتد خلف وعساكره وثبتوا للعباس ثبوت الابطال
ولم ترحزهم بن أما كنهم الزماح والنبال أتى أبو مرداس الى العباس وقال
له قد طال وقوفهم معنا في ميدان الحرب وما كان الباطل ان يقف امام الحق
هذا الزمن كله ولعلك أضمرت سوءاً أو صدر منك ذنب عظيم كان عقابه
لنا من الله ماتراه فأظهر التوبة وارجع الى ربك واستغفره لعل الله يؤيدنا
بنصر من عنده ويبدل الحال فكرر العباس عند ذاك الاستغفار وأظهر التوبة
(ولا معصوم من الذنب الا الانبياء والملائكة)

* ويقال ان أبا مرداس قال عند ذلك ماذا فعل العباس . وما علمنا منه
الا الخير . ولكن الحرب عذمت رجالها ثم امتطى ظهر جواده واندفع
للميدان بسلاحه . ولم يمض بعد ذلك من الزمن الا قليل حتى انهزم خلف
وتخرمت صفوفه فزادى أبو مرداس في العسكر بعدم اتباعهم فقال بمض
أصحاب الرأي لا تتركهم حتى نخرجهم من حيزنا فسكت أبو مرداس واقتفوا
أثرهم حتى تجاوزوا (لالت) كما في السير وهو نهاية حكمهم اذ ذاك والظاهر
ان المراد بلالت هو الوادي الفاصل بين الزنتان من جهة (تقرمين) والرجبان
من جهة فساطو المسمى الآن بروادي الآخرة لصعوبته وعمقه ويسمى (متلالة)
ايضاً بالاسم القديم مع زيادة ميم وتاء في أوله على ما يؤخذ من كتاب السير
وانت عبر في بعض الاحيان بلالت على لالوت وهي في طرف الجبل من

ناحية الغرب ولعل هذا الاسم كان يطلق على قريتين شرقية وغربية والله أعلم .
 * وكان (مدينة تفرمين) لم تدخل في الطاعة ولم تحز الشهرة التي كانت
 لها في دولة بني رستم الا بعد هذا . ثم رجموا وأقبلوا على العباس يهنونه
 باتصاره فقال لهم انما يهنؤ بهذا ابو مرداس وأبو الحسن اللذان لم يناليلهما
 يدعوان الله ويتضرعان اليه وبذلك اتانا الله من فضله ما اتانا فله الحمد والشكر .
 * ثم لما وصل المعسكر ترجل عن جواده وأقبل يعزي المشايخ الحاضرين
 في اقاربهم الذين كانوا مع خلف ومانوا قائلاً آجركم الله على مصيبتكم في
 اخوانكم واقاربكم فقالوا له يا عباس اما اولئك فاقاربنا وأولو أرحام منا واما
 انتم فاخواننا حقاً .

* ثم لم يزل العباس يوالي الوقائع والمجور على خلف ويستبيل اولي الالياب
 بمد له واستقامته وبرهب اهل الفساد بشدة وحزمه الى ان اوهن الله
 شوكة خلف واشتتت بقية جموعه واضمححل امره ومات وترك ولداً هرب
 مع من رام محافظته واحياء اثر والده الى جزيرة جربة وكان من امره بمد
 ذلك ما سنده ذكره عند الكلام على الامام يوسف ان شاء الله وبقي العباس
 محمود الخصال ممدوح المال يتابع الوقائع والحرب مع من لم يخلد الى الطاعة
 من جباب الجبل الشرقية بجبل شماخ وجبل يفرن وككلة وما حول ذلك
 حتى اطاعوا كلهم واعترفوا للامام افلح بالامامة .

* وكان ابو مرداس رحمه الله كثير التعرض له ومنعه من محاربة تلك
 الجهات وكأنه يؤمل منهم الدخول في الطاعة بدون حرب حيث كان المذهب
 واحداً او علم منهم القوة والكثرة فأراد استجلابهم بالملاطفة واللين ومن
 ذلك ما ذكر من ان العباس خرج ذات مرة (بعد هلاك خلف) بمسكرو

الى جهات جبل يفرن وكان معه ابو مرداس نخلابه وأمره بالرجوع فأبى فقال
له ان لم ترجع صحت في المسكر فتفرق عنك (لأنه يعلم ان كلمته مسموعة)
فجمع العباس رجال عسكره وقام فيهم خطيباً فقال (تقد الزاد وضعف الكراع
فارجعوا حتى اذا سمعت الدواب وجددنا الزاد رجعنا) فامثلوا الامر ورجعوا
وكان الواقعة كانت في الشتاء ثم خرج اليهم مرة ثانية فجاء ابو مرداس
واشار عليه بالرجوع فامتنع فقال ابو مرداس معاتباً نفسه على ذلك هكذا
وما اكثر جنون مهاصر (يعني نفسه) الذي يطالب رجلاً مثله (يعني العباس
ويترك ربه) ثم دعا ربه وسأله النيث فأنزله الله عليهم ماء غدقا وتسايع المطر
حتى طلب المسكر الرجوع وتفرق فقال ابو مرداس للعباس ارددهم الآن
ان قدرت يا عباس . وخرج اليهم مرة أخرى فتأخر ابو مرداس وابوز كريات
عن الحضور فافتقدتهما فقليل له قد رجعا فخاف ان يكون رجوعهما لحدث
او منكر انكراه عليه فأوقف السمكر في مكانه واقتفى ارجها الى ان وجدتهما
عند أم الخطاب وهي عجوز عالمة مشهورة بالورع والزهد في بلدة (اغرميان)
بناحية ترمين ومعنى هذا الاسم (قصر النفس في مجلس الذكر) فقال لهما
ولم رجعنا فقالا انك على الحق لم ننكر عليك شيئا وما رجعنا الا لكرامة
لمعان السيوف فحمد الله على موافقتهم وقال اركبا لمعان السيوف لمن يطيقه
وكانت ام الخطاب لم تعلم برجوعهما من العسكر فذبحت لهما شاة ولم اسمعت
ذلك اخذت اللحم كله ووضعت في خرج على فرس العباس وقالت للشيخين
هذا هو الذي يستحق اللحم وأتما يكفيكما الجلبان (تعني العدس وما
اشبهه مما طبخ مع ذلك اللحم) فرضيا بذلك واستحسناه وكانها لم تعلم
العباس بذلك فركب جواده ولحق بعسكره.

* وممن كان معه في هذه الواقعة على ما رواه الشماخي رحمه الله العلامة أبو نصر التميمي أحد فضلاء جبل نفوسة علما وعملا وزهداً دار الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفات وقيل من فتنة خلف قال وكان ضير البصر فنزل الى القتال وقال اللهم اني لا أبصر ما اتقى ولا ما أضرب فلم تقع به ضربة ولم تحط له ضربة اه وهذا من غريب ما يسمع ويدل على ما كان لهم من الاعتناء والله أعلم.

* وكان رحمه الله على جانب عظيم من الآداب وحسن التخلق ولا سيما مع أهل الفضل والعلم خصوصاً العلامة أبا مرداس فقد ذكر الشماخي رحمه الله نقلاً من تاريخ نفوسة الكبير الذي لا وجود له الآن أنه هو وجماعة معه فيهم أبو مرداس جازوا في طريقهم وهم مشاة بموضع قطعه الماء فتخطاه العباس وعجز عنه أبو مرداس لانه قصير القامة وطاعن في السن فوقف يحاول ذلك ثم قال للعباس لم أقدر على الوثوب مثلك ولا أريد أن أخالف طريقاً سلكته ولو صعدت مع حائط لسلكته لما لك علينا من حق الطاعة والانتقاد فرجع العباس اليه وسلك طريقاً آخر سهلاً وأظهر لهم التوبة مما صدر منه أولاً من تغافله عما ورد من الامر بمراعاة الضيف والسير بسيره فما ألطف هذه الآداب وما أبلغ هذا الانتقاد الى الحق منهما ولا يظن القاري أن هؤلاء الذين يقاتلهم ابو عبيدة في الأول والعباس في الآخر كانوا على مذاهب أخرى . بل كانوا كلهم من الاباضية وشقوا عصا الطاعة وانتحلوا الخلاف في مسائل طفيفة لا تخرجهم من الاتساق الى المذهب طلباً للاستقلال عن خلافة تهرت لما رأوه في أنفسهم من القوة والكثرة اذ لم يكن الجبل وجهات طرابلس في ذلك الوقت على هذا الحال الموجود الآن من

صغر القرى وقلة الناس بل كان في الجبل وحده وفي ظاهره من قبائل
 نفوسة ومزاتة ما يتجاوز مائة الف فارس وعشرة آلاف فارس وكانت
 فيه من الرجال ما لا يحصى وكانت هذه القيا في الخالية الآن بمجبات طرابلس
 والجبل كلها عامرة بالقرى وأهل البوادي كما تدل على ذلك آثارهم المؤيدة لصحة
 ما في التواريخ وبمدآن علم الناس قيمة العدل وعرفوا فائدة الأمن وذاقوا طعم
 السلامة والراحة انقطع النازحون واستراح العباس وصفوا الحال للإمام وانتظمت
 له الأمور فبسط العدل في الرعية . وسار فيهم سيرة مرضية . واستقامت له
 الأحوال وساعدته الأقدار فاقتني سيرة أبويه ولم ينعم عليه أحد في شيء من
 أحكامه وكان من المهابة والفروسية وغزارة العلم والحلم والكرم والاقدام والورع
 بمنزلة يكل عن وصفها اللسان . ويعجز عن حصر صفيرها القلم والبنان . هو
 السيد الأبطال عييده . وهو الأسد الضارثي والأقران صيده . اذا زار
 دخل الرعب القلوب . واذا جال في ميادين الوغى هيأت اللحوذ وشقت الجيوب .
 ملأت أخبار بسالته البقاع . وصدعت هيئته الاسماع . وأدهش اقدامه في
 معامع الخطر عقول العقلاء وكان حائماً الجواد بعد فيضان بحره الطافح من
 البخلاء . حدث عنه من باب الكرم ولا حرج . وقل ان شئت هو ممن عن
 دائرة ممكنات العقل في هذا الحديث خرج . فله دره من امام واسع
 العطايا . كريم الشجايا . باسط يمينه لادرار الخير وافاضة الاصرار
 قابض شماله على سيف النعمة لنكال الخاطئين وحصاد أعناق العصاة . خاض
 عباب سياسة الملوك بذكائه المستقيم . واستخلص جواهرها الثينة بمسبار
 عقله الكامل الحكيم . وجعلها نبراس سيره في خناديس . مهات الأمور .
 فكانت سيرته جارية على محور الاستقامة رغماً عما يطرأ من حوادث الدهر

وتقلبات السنين والشهور . فهو أيم الحق جامع الخصال الحميدة . ناظم عقد
الكلمات بفضائله القريدة .

﴿ ليس على الله بمستنكر ﴾ أن يجمع العالم في واحد ﴿

﴿ فن سرح جواد فكره في صفحات التواريخ والسير . وريض نير
عقله في رياض ذكر رجال السلف وما لهم من التوادر والمسير . رأى لهذا
الامام العظيم من بينهم من الذكر الجليل . والآثر الجليل ما يهر الألباب .
ويؤدي الى الوله والاستغراب ﴾ وقد تكلم المؤرخ ابن الصغير المالكي
على سيرته نخذاً على القاعدة المتقدمة استدلالاً على صحة ما قلناه في حق
وان كان قليلاً .

قال

﴿ فلما ولي أفلح أخذ بالمزم والحزم ونشأ له من البنين مالم يكن لغيره ممن
قبله وطار له الصيت وأتته نفوسة الجبل يسألونه أن يقدم عليهم من يتولى
أمرهم ولم تكن الشراة تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته ولا
في أعشاره الى ان قال وكان قد عمر في امارته مالم يعمره أحد ممن كان
قبله أقام خمسين عاماً أميراً حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه
وابتني القصور واتخذ أبواباً من الحديد وبنى الجفان وأطم فيها أيام المجاعة
الجميعان وقد تقدم ذكرها قبل هذا وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال
والمستغلات وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات
وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة
وأجروا الأنهار فابتنى أبان وجوية القصرين المرفوقين بهما بأملاق وابتنى
عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره مما يطول ذكره ولقد حدثني

من أثق به أن أبان وحموية خرجا يوماً إلى قصرهما متزهين ومعهما جماعة من اخوانهما فذكر عن بعضهم أنه قال لما اشرعنا على القصرين أحسن بنا بعض عبيدهما فأعموا سكان القصرين بقدمهما قال فتشوف من كان بالقصرين اليهما قال فوالله ما رأيت شرافة من شرافات القصرين الا وعليها ثوب أحمر أو أصفر على الجدار كالبدور وانتشرت القبائل وعمرت العماير وكثرت الأموال بأيديهم وكانت العجم قد أبنت القصور ونفوسة قد أبنت العدو والجند والقادمون من أفريقية قد أبنتوا المدينة العامرة اليوم وأمنت الساحات وكثرت الأموال حتى أطغت أهل الحواضر والبوادي حتى لقد حدثني غير واحد أنه كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابنتي له سوقاً يعرف به فكان صاحب شرطة أطلع اذا تخلل المدينة لاقتادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هبة وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة ويوت الأموال * وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق آه بلغظه يعني أن نفوسة هم الذين ينتخبون له من يصلح لتلك الوظائف سواء كان منهم أو من غيرهم وهو يمينه وكانت الأجناد تلي بطانة السلطان واولاده وحشمه

— دهاء هذا الامام —

﴿ ممزوج ﴾

* وبينما هو في أرغد عيش وأصفاه . وأتم حال وأهنأه . على نحو ما حكيناه . اذا أوجس من القبائل المتشرة حول المدينة وداخلها خيفه . ورآى من مباديء الثورة آيات جليلة وحركات خفيفة . لما رآه رؤساء القبائل والمقدمون في أنفسهم من القوة والجهاء ونفوذ الكلمة لدى عشائهم بما ملكوه في ظل عدل ذلك الامام من منقوش الدرهم ومدور الدينار وحر

النم ورؤس البقر والشاة وجياد الخيل ولما اتخذوه من الخدم والعبيد والفرس
والستور والاسرة فأشروا وبطروا وخاسروهم الكبر ودخلتهم الالفه من أن
تقام عليهم حدود الشرع الشريف أو أن يتقيدوا بقانون من قوانين الدين
المطهر المنيف تصديقا لقوله تعالى وهو أصدق القائلين .

* ان الانسان ليظنني أن رآه استغنى ((وقوله ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر يقدر ما يشاء)

* فعندها شمر رحمه الله عن ساق الحزم وكشف عن عضد العزم . انضم
الخرق قبل اتساعه . واطفاء لهب تلك المقاصد الشريرة قبل ارتساعه .
فألقى موجبات التخالف بين كل مقدم واتباعه . وبث الجوايس بين شعوب
تلك القبائل بطارق سياسته . وتديرات باطنيه . كفته . وثقة القتال . وقامت
مقام تجنيد الجنود وسفك دماء الأبطال . شان من تقدمه من حكماء الملوك
الذين حنكهم التجارب . وكرعوا في بحار الحكمة واعترفوا من حياض
السياسة البالغة من آباءه وأجداده وغيرهم .

* وما كان غير بعيد حتى اختلفت الآراء بين تلك القبائل ونضادت
الأهواء وصار بين كل قبيلة وحليفتهما من الشقاق . أضفاف ما كان بينهما
من الألفة والاتفاق . فنشرت قبائل زناتة من قبائل لواتة ومطماطة وعظم
الشاحن بين الجند والعجم . وفشت البغضاء بين كل رئيس ومقدم . وصاروا
كلما أوقدوا نارا للحرب مع الامام اطفأها الله . ورد العاصين بالخيبة وكفى
امام المسلمين القتال فألت راضخة لسيطرته بدون محال . خاضعة الرقاب
باسطة الأكتاف لقبول أوامره ونواهيه بدون جدال * كل يخاف ان يسعي
به قرينه اليه او يستميله فيقر به منه ويفض عليه . وعندئذ أمن مكرهم هذه

السياسة . ورد كيدهم في نحورهم بهذا الدهاء والفراسة .

﴿ قال ﴾ فلما رأى ذلك استلقى على ظهره آمناً ومد يديه ورجليه مطمئناً وعلم أنه كفي أمرهم وبقيت تلك الضغائن في القلوب اهـ
 ✽ أحوال الامام أفلح مع الملوك ✽

• وكان له مع أغلب الملوك مؤدة ولا سيما ملك (صوصو) او (كوكو) التي تبعد عن تاهرت بمسافة ثلاثة أشهر تقريبا وكان أكثر المسافرين لتجارة السودان في ذلك العهد من أهل مدينة (وارجلان) وهوارة قال الشريف في نزهته • ومدينة كوكو مدينة كبيرة مشهورة الذكر في بلاد السودان وهي على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومنه شرب أهلها الى أن قال ثم أن ملك كوكو ملك قائم بذاته خاضع لنفسه وله حشم كثير ودخلة كبيرة وقواد وأجناد وزعي كامل وحلية حسنة وهم يركبون الخيل والجمال ولهم لباس وقهر لمن جاورهم من الأمم المحيطة بأرضهم ولباس عامة أهل كوكو الجلود يسترون بها عوراتهم وبجارتهم يلبسون القداوير (الجبب) والأكسية وعلى رؤسهم الكرازي وحلهم الذهب وخواصهم وجلهم يلبسون الأزروهم يداخلون التجار ويحبالسونهم ويضعونهم بالبضائع على جهة المقارضة وينبت في أرض كوكو العود السمي بعود الحية ومن خاصيته انه اذا وضع على حجر الحية خرجت اليه مسرعة ثم ان ماسك هذا العود يأخذ من الحية ما شاء بيده من غير أن يدركه شيء من الجزع ويجد في نفسه قوة عند أخذها والصحيح عند أهل التربة الاقصي وأهل وارقلان ان ذلك العود اذا مسكه ماسكه بيده أو علقه في عنقه لم تقر به حية البتة وهذا مشهور وصفة هذا العود كصفة الماقر قرحاً مفتولاً لا كنه اسود

اللون ومن مدينة كوكو الى مدينة غانة شهر ونصف اه ثم ذكر أن بين غانة ومدينة (أودغست) في شمالها ١٢ مرحلة وبين أودغست ومدينة وارقلان ٣١ مرحلة فتحصل أن ما بين تهرت وكوكو على هذا الطريق يقارب ثلاثة اشهر والمترق اليها مسلوكة مأمونة بما أبداه أئمة بني رستم من الهمة بحفاضة قوافل التجارة الى الشرق والغرب والسودان كما سيأتي عن ابن الصغير * وقال في صحيفة ١٢٠ ومن مدينة المسيلة الى وارقلان ١٢ مرحلة كباراً وهي (أي وارقلان) مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان الى بلاد غانة وبلاد وقارة (لها هكارة) فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلدم باسم بلدم (أي يطعمون منه سكة دراهم ودنانير) وهم هوية أباضية ومن وارقلان الى غانة ٣٠ مرحلة اه وهذا الطريق اقرب من الاول الى كوكو . وذكر أهل وارقلان في التواريخ بشأن التجارة الى السودان كثير جداً .

* وكذا رأيت لهوارة ذكراً كثيراً في هذا الباب ومن ذلك ما قاله في النزهة أيضاً وإن أراد بذلك حالهم بعد انقضاء دولة الرستميين فنقول انه نشأ في مدنتهم قال . وهم (يعني هوارة) أملاء تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمل الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف من الزجاج والأصداف والاحجار وضروب من الأفاوية والمطر وآلات الحديد المصنوع وما منهم من يسفر عبيده ورجاله الاولى في قوافلهم المائة جمل والسبعون والثمانون جملاً كلها موقرة ولم يكن في دوله المثلث «بعد دولة بني رستم» أحد أكثر منهم أموالاً ولا أوسع منهم أحوالاً وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم الى

أن قال وأما الآن في وقت تأليفنا لهذا الكتاب (وهو أول المائة السادسة) فقد أتى على أكثر أموالهم (قبائل) المصامدة وغيرت ما كان بأيديهم من نعم الله اهـ .

* وله مع ملوك الاندلس وغيرهم مواصلة وارتباط ومودة فيها دونه بالهدايا النفيسة ويهاديهم بمثلها وله عندهم شهرة ومقام رفيع ينظرونه بعين المهابة ويرمقونه بأعين الاجلال والاعتبار بحيث لم يحم حول مملكته طامع من الملوك الأخرى توقياً من وثبه واندها شام من صوته الا ما كان من أبي العباس محمد بن الأغلب لما استولى على غالب شطوط افريقية فانه دعاه الطمع الى التوغل في المغرب حتى تاخم حدود (تاهرت) وشرع في بناء مدينة هناك فسكت الامام رحمه الله ولم ينكر عليه منع علمه بما سينشأ عن عمراتها من المضايقة في الحدود وتقص التجارة الى أن تم بناؤها وترتيب أسواقها على نسق عجيب وترتيب غريب فوثب عليها ووثب الأسد بجيوشه وأجلاهم منها وأبقاها خاوية على عروشها يمررها العنكبوت واليوم * قال المؤرخ ابن خلدون المالكي وشييد (يعني أبا العباس محمد بن الأغلب) مدينة بقرب **تاهرت** وسماها العباسية وذلك سنة ٢٧٠ سبيع وعشرين وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب بن رستم وكتب الى صاحب الاندلس يتقرب اليه بذلك فبعث اليه بمائة الف درهم اهـ

* وقد ذكر الحكاية أبو العباس البلاذري كذلك في تاريخه فتوح البلدان المطبوع ببلاد الافرنج في صحيفة ٢٣٤ الا أنه قال ان ذلك كان سنة ٢٣١ لا ٢٧ ولم يذكر التقرب وأنت ترى أيها القاريء ما في كلام ابن خلدون مما يدل على ما كان له من الحقده نحو بني رستم كما قلناه من قبل ولم نعلم له سبباً ولا فكيف يتقرب

أفصح الى صاحب الاندلس وهو يهاديه بالمال كما قال وهذا على فرض
صحة النسخة المنتقولة منها والا فربما كان الاصل هكذا فوجبعت اليه بمائة
الف درهم يتقرب اليه بذلك (فتأمل) والله أعلم *

بعض رسائل هذا الامام رحمه الله -

* وله رحمه الله عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ
وحكم دلت على ماله في الفضل والكمال والعدل من طول الباع وفي غزارة
العلم وقوة الادراك من الاتساع ومن كلامه رحمه الله لبعض عماله قوله

- بسم الله الرحمن الرحيم وصلي -

الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من أفصح بن عبد الوهاب الى البشير بن محمد سلام عليك واني أحمد
الله الذي لا اله الا هو واسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى
الله عليه وسلم وعلى آله (وأما بعد) ألبسك الله عافيته فاني أذكرك عظمة الله
لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال
والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات
والارض والجبال والشجر وأذكرك ما أعده الله لابن آدم من الكرامة التي
تكمل الانسان عن وصفها فلولم تكن كرامة تطلب الا النجاة من جهنم لكان
في ذلك ما ينبغي للعبيد أن ينصفوا من أنفسهم ويفارقوا جميع الذات . الا
اني أقول لك ان الدواء في هذا هو الاستغاثة الى الله في العصمة فمن أراد
به الاحسان عصمه (أي حفظه من الاصرار على المعاصي ووقفه الى التوبة)
وجعله من أوليائه الذين قال لا يليس فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
فاطلب الله وارغب اليه في العصمة والتوفيق وان يحول بينك وبين عدوك

واعلم أنه لا شيء لمن عقل خير ممن وعظه ومن موعظة يأخذها . فاقبل واجتهد في القبول الى أن قال وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سيلاً وأطلق يدك وأن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب : فلعمرى انه لكذلك ولكن ليس في هذا انما هي أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهى الا على قدر الاجتهاد فاتق الله واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها اليها على هذا مضى من كان قبلك الخ ومن كلامه أيضاً قوله .

— بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله —
أما بعد عافانا الله وإياك عافية المتقين الذين أنعم الله عليهم بطاعته وهداهم الى ما اختلفوا فيه من الحق باذنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب كتبت اليك ومن قبلي في عافية والله لا شريك له أحيت أن أعلمك ذلك بالكتابة به اليك لتحمد الله على ذلك وتشكره كما هو أهله .
وأوصي نفسي وإياك بتقوى الله ولزوم طاعته والتوقي على دينه والتوكل عليه وحده . لا شريك له فانه عز وجل يقول (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) فالزم التقوى نفسك واشعرها قلبك واصبر على ما أصابك ان ذلك لمن عزم الامور . والتقوى من الله بمكان عظيم والمتقون هم الفائزون خلصوا من هموم الدنيا وأشغالها ونجوا من عذاب الآخرة وزكاهم . فهدوا لانفسكم وقدموا المعادكم واعملوا عملاً يسرهم غداً مكانه فكأنني بكم وقد فارقت الدنيا ولحقتم بالموتى . وعليكم بالتمسك بما مضى عليه سلفكم الصالح أهل الفقه واليقين والبصيرة في الدين

نظروا الى الآخرة بقلوبهم فهان عليهم فراق الدنيا وما فيها. فلا تذرناكم فانها
فانية زائلة فكاننا واياكم قد فارقتنا فارقنا بين يدي الله تعالى فيجزى الذين أسأوا
بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى عصمنا الله واياكم بالتقوى ورزقنا
العمل بطاعته فانه ولي ذلك ومتهى الرغائب لاشريك له ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ شعره ﴾

* وكان رضي الله عنه من الادباء ذا اقتدار على النظم وحفظه له منه كل
مارق وطاب فمن شعره الرائق تلك المنظومة المشهورة بين التلامذة الجامعة
لحكم ونصائح هي جديرة بالحفظ والاعتناء بل يحق لها أن تكتب بمداد التبر
على صفحات اللوحين وأن يحملها كل من كان ذا اعتناء بالعلم والعمل به من
مكونات فؤاده ومن درر محفوظاته حتى يصبح مذهب الاخلاق والخلق
متجلباً بحاسن الآداب العالية والعلوم النافعة وقد عني بتشطيرها ذلك الرحالة
الشهير الاديب الكامل العلامة المفلح الشيخ علي بن أحمد المماني من علماء
أباضية الشرق في أثناء سياحته بالقارة الافريقية في أواسط القرن الثالث
عشر من الهجرة لما زار مشاهد جبل نفوسة ورأى ما عليه أهله اذ
ذاك من التهور في المناهي الشرعية مع خراب المساجد وانطماس معالم السير
ومن هناك توجه الى السودان وفي طريقه ذلك سرقة منه ديوانه الجامع
لأشعاره وقصائده وما حرره من رحلته فاعتم لذلك غمّاً لا مزيد عليه وهنا
لك توفي رحمه الله . واليك نص المنظومة الرائقة مع تشطيرها البديع رضي
الله عن صاحب الاصل ورحم من حاذاه بالمثل .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾
 (العلم أبقى لأهل العلم آثاراً * وليهم بشموش العلم لم قد نارا)
 يمي به ذكرهم طول الزمان وقد * يريك أشخاصهم روحاً وأبكاراً)
 (حي وإن مات ذو علم وذو ورع * ان كان في منهج الابرار ماماراً)
 أو أنها غبرت أشخاصهم ومضوا * مامات عبد قفى من ذاك أوطاراً)
 (وذو حياة على جهل ومنقصة * ولا يسالي أخيراً نال أم عارا)
 حياته عديم في طول مدته * كمت قد ثوى في الرمس أعصاراً)
 (لله مصبة أهل العلم انت لهم * في كل أفق من الآفاق أنواراً)
 نالوا الأمانى به طمراً وبان لهم * فضل على الناس غيابة وحضاراً)
 (العلم علم كفى بالعلم مكرمة * ومن يرد غير خير العلم ما اختاراً)
 كم جاهل بأمر الدين محتبط * والجهل جهل كفى بالجهل ادباراً)
 (العلم عند اسمه أكرم به شرفاً * للبر إذ يكتسي بالعلم اطماراً)
 ما لا تقي غير نور العلم من رتب * والجهل عند اسمه أعظم به عارا)
 (يشرف العلم للانسان منزلة * ويحتج من جنه العذب أثماراً)
 العلم نفع علا عن كل مرتبة * ويرفع العلم للانسان أقداراً)
 (العلم درله فضل ولا أحد * محص له كل عقل دونه حاراً)
 فصل خبيراً وجب غور العقول ومن * في الناس يدري لذاك الدر مقداراً)
 (للعلم فضل على الاعمال قاطبة * كانت ذووه لدين الله أنصاراً)
 وفضله الجلم قد نص الحديث به * عن النبي روي في أخباراً)
 (يقول طالب علم بات ليلته * برغبة تورد الضمائم تياراً)
 ومن يت في الدجى بالجد مبتلاً * في العلم أعظم عند الله أخطاراً)

(من عابد سنة لله مجتهداً * ومنفق من كنوز التبر قنطاراً
 ما نال فضلاً كفضل العلم قط ولو * صام النهار وأحى الليل اسهاراً)
 (وقال ان مداد الطالبين على * دوامهم فيه أصلاً وأسعاراً
 ان أثر النسخ منه حين ييدي على * ثيابهم وعلى القرطاس اسطاراً)
 (مثل دم الشهداء المكرمين لهم * في جنة الخلد حور العين أبكاراً
 فضل ذوي العلم حتماً لا يئالنه * فضل فأكرم بأهل العلم أخياراً)
 (وقال هم يزتون الانبياء كذا * مراتب العلم لا يرتاب من ماراً
 فهم ولاية لرب العرش لا عدموا * فيهم رويانا أحاديثاً وأخباراً)
 (أكرمهم من ذوي الفضل الممين لهم * برئ كسى مظاهرات الارض أنواراً
 ما ارتاب في فضلهم أولو المقول وهم * ارث النبوة في أيديهم نصاراً)
 (الكاشفين معاني كل مشكلة * من العلوم وما فيه النعي حاراً
 النادين الى دين الاله به * والمفهرين خفي الغمض اظهاراً)
 (اشدد الى العلم رحلاً فوق راحلة * وكن الى طالب التليم سياراً
 واعص الكرى واصطبر دهر أعلى أرق * وصل الى العلم في الآفاق أسفاراً)
 (واصبر على دبح الاغساق معتسفاً * واقطع من الارض غيطانا وأقفاراً
 وابذل من الجهد ما يشفي الفؤاد وجب * مهامه الارض احزاناً وأقطاراً)
 (حتى تزور رجالاً في رحالهم * فان لهم واقبتس من نارهم ناراً
 واصل زيارتهم طول الزمان تجد * فضلاً فأكرم بأهل العلم زواراً)
 (والطف بمن انت منه العلم مقتبس * وكن به مشفقاً برأ ولو جاراً
 لو كان فظاً غليظ القلب منقبضاً * جدد له كل يوم منك ابراراً)
 (فاللطف مستخرج منه فوائده * دون اللائي ترى لليم تياراً)

واجعل بقلبك بر الوالدين له * وكن لصوته ان صال صبارا (
) فصدر ذي العلم ان راجعته حرج * راع الرضا منه واخذ حينما فارا
 واخفض جناحك ان تهدر شفاشقه * فقد يرى الله هذا الخلق اطوارا (
) وارصد خواطرساعات النشاط له * واستمطرن سبحاناً منه مدرارا
 وحاذر الزيف واحسن في السؤال له * اذا أردت لبعض القول تكرارا (
) وأحسن الكشف عن علم تطايبه * وانصت بحسك اسماعا وأبصارا
 ودم عليه ولا تسأم له طلباً * والزم دراسته سرا وأجهارا (
) ولا تكن جامعا للصحف تخزنها * تملأ التواييت بالأسفار أوقارا
 وأنت عن طلب التعليم في شغل * كالعير يحمل بين العير أسفارا (
) نعم الفضيلة نعم الذخر تورثه * فكل ذخرك وكنز دونه بارا
 والعلم خير كنوز المرء وهو غني * لنفسك اليوم ان أحسنت آثارا (
) وان همت بخير الناس تألقهم * تلق أفاضلهم مشى وأوتارا
 لقد وجدت اصطحاب الاكرمين وقد * ألفت بالعلم أبراراً وأخيارا (
) فاطلب من العلم ما تقضي الفروض به * واردف به عملاً في القلب نوّارا
 وطهر النفس من أوساخ شهوتها * واعمل بعلمك مضطراً ومختاراً (
) واطلبه ماعشت في الدنيا وسدتها * وكن بعزمك والترغيب مغوارا
 واجعله ذخراً ليوم لم يفد ندم * لموقف العرض أن لا تورد النارا (
) واجعله لله لا تجعله مفخرة * بين الأنام لذيل الكبر جرادا
 وصنه عن كل جبار تقى عملاً * ولا تراءى به بدواً وأحضارا (
) تسأل لكل مرأٍ غير مقصد * كانت بطينته شوباً وأكدارا
 لقد عدا طوره فيما يخوض به * وقد تقلد آثاماً وأوزارا (

(يصطاد بالمعلم أموال المباد كما * ساءت خلائقه واختارت العمارا)
 يلقي الحبالات راج القنيص كما * يصطاد مقتص بالباز أطيارا)
 (لو كان في فوات الارض معترضا * فزه ولا تقسم من ذاك دينارا)
 ولو ترى الارض من أطرافها ذهباً * وللدراهم في الأسواق طرادا)
 (فلا تخادع بما تبديه خالقنا * واحذر وكن عن قبيح الفعل فرارا)
 واجهر وسر التقى واذرف دموع ديم * والله يعلم ما تخفيه اضمارا)
 (مولاك يعلم ما تخفي الصدور فلا * تفتن بفعلك مهما كنت غدارا)
 ان حدث عن ربك الباقي الرؤف فلا * يكن لك الحلم من مولاك غرارا)
 (ولا تداعن اذا ما قلت مسئلة * وكن من العدل والانصاف ممتارا)
 ولا تداعن بفتياك الأثام لقد * أضرت بالدين ان داهمت اضرارا)
 (واجمل لنفسك حظاً من مذاكرة * ولا تكن لأخيك البر هجارا)
 ومل الى مجلس تجلو الموم به * مع الصديق اذا استوحشت اسماوا)
 (وانشط لعامك اذ لا بد من ملل * اذا عرا قلبك التهام وانضارا)
 وجانب النذل لا تنزل بساحته * ولا تكن من جميع الناس فرادا)
 (وعاشر الناس وانظر من تعاشره * فان في الناس صدأ قاً ومكارا)
 صاحب أخا الصدق مع علم تسره به * قصدا ولا تكثرن الصحب اكثارا)
 (قرب مكثر صعب لا يزال يري * مذاق ودٍ وبالاثنان كشنارا)
 ورب صحبة من يهوي التقى جلبت * لنفسه قرناء السوء أشبارا)
 (الخير في الناس معدوم وفاعله * أرى الزمان له قد صار غدارا)
 ما في الزمان بقي خلٌ تسرُّ به * الا القليل وذاك القلُّ قد بارا)
 (وكن بربك لا بالناس مقتصاً * فالناس كانوا كلهم الآل غرارا)

وثق به واستكن فيما دعاك له * كفى بربك رزاقا وغفارا)
 (خير العباد عباد الله ان له * طرفا الى خشية الرحمن نظارا
 ترى له عند خوف العبد من ضرر * لطفاً خفياً يرد العسر أيسارا)
 (سبحانه صمد لا شيء يشبهه * فرد قديم مديد الملك قهارا
 أنا الفقير اليه أرجو رحمته * أقررت لله بالتوحيد اقرارا)
 تمت القصيدة مع تشطيرها ❦

* وكفى المطالع دليلا على غزارة علم هذا الامام أنه تصدر للتدريس
 والقاء العلوم على اختلاف فنونها قبل أن يبلغ الحلم وكانت عليه أربع حاق
 وقيل سبع من طلبة العلوم وقد بلغ في العلوم كلها حتى الرياضية والتنجيم مبلغا
 لا يدرك شأوه حتى أنه كان ذات ليلة مع أخته يتجاذبان أطراف الحديث
 ويتحاوران في المباحث العلمية والفنون الأدبية اذ كانت هي أيضاً كسائر
 عائلته ممن رضع لبان العلوم ولها القدم الراسخ في المعارف فخرها الكلام
 الى علم التنجيم وبعد أن تماورا فيه ملياً قال لها لينظر كل منا أول ماسيدبح
 من الحيوانات في السوق غداً فحسب هو فقال أول ما يذبح بقرة صفراء
 في بطنها عجل أغر فضبطت هي الحساب وقالت له صدق حسابك في البقرة ولونها
 والعجل وأخطأ في النرة فان العجل لا غرة له وذلك البياض الذي استظهرته
 من حسابك هو في رأس ذنب العجل وقد التوى حتى صار على جبهته وفي الصباح
 أمر أن يرضوا عليه أول ما يذبح فاذا هو كما قالت اخته بدون خلاف. ومع
 ما سدرناه من درجته في العلم كان والده الامام عبد الوهاب رحمه الله يخرج
 عليه الدخول في التجارة تورعاً وبعداً عن الوقوع في بعض الشبه من حيث
 البيع والشراء حتى أنه عنهم مرة على التوجه الى جهة {صو صو} بقصد التجارة

في حياة والده لأن السبل الى السودان للتجارة اذ ذاك مهمة مأمونة وبعد أن هيا نفسه وبرز برحله خرج اليه والده ووقف له عند باب المدينة وصار يسأله ويناقشه في مسائل الربا والبيع والشراء حتى غفل في مسألة وأجاب فيها بخلاف الواقع فقال له ارجع يأفلح عما قصدته حتى تستمد لهذا الامر والا أطعمتنا الحرام من حيث لا ندري فرجع مثلاً لأمر والده وتورعاً اقتداءً بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله كننا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في الحرام . ذكر الحكاية الشماخي رحمه الله ولعلها كانت في حال صباه قبل رسوخه في العلم كما يدل عليه سياق الكلام

❦ خبر فرج النفوسي المعروف ❦

❦ بنفات الخارج عن الطاعة ❦

❦ وخبر العلامة سعد بن أبي يونس معه ❦

* وفي أيامه رحمه الله خرج عن دائرة الآداب فرج المعروف بنفات ابن نصر النفوسي واتخذ الطعن في الأئمة الرستميين ديدناً وخالف المسلمين في مسائل استحق بها البراءة *

١ منها قوله ان الله هو الدهر الدائم ولما سئل عن ذلك قال هكذا وجدته في الدقتر . يعني الكتاب المسمى بهذا الاسم *

٢ ومنها انكاره الخطبة في الجمعة وادّعاؤه أنها بدعة وضلال *

٣ ومنها انكاره استعمال الامام العمال والسماة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا *

٤ ومنها قوله ان ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب *

٥ ومنها قوله ان المضطر بالجوع لا يمضي ببيع ماله اذا باعه لأجل ذلك وعلى

من شهد مضرته تنجيته *

٦ ومنها قوله ان الفقد لا يتحقق الا فيمن تجاوز البحر * الى غير ذلك من المسائل التي اتحل فيها الخلاف * وقد كان ذافهم عجيب وذكاء غريب واطلاع وادراك زائدين أخذ العلوم من منبعها والتقط غرائب الفنون من معدنها مع زميله العلامة سعد بن أبي يونس النفوسي وذلك عن الأئمة { بتاهرت } وسنيين خبره مفصلاً على ما ذكره أبو زكرياء وغيره فنقول وبالله التوفيق * كان نفات هذا من إحدى القرى القريبة من جبل نفوسة وأظنها هي القرية المعروفة الآن بنفاعة العامرة بقبيلة مالكية المذهب تعرف بهذا اللقب ولعلمها من سلالة اذ كان هذا اللقب موجوداً فيها من زمن جدنا ذاك الشير بالعلم الغزير والكرم الواسع والعدل في الاحكام بجبل نفوسة في أوائل المائة السادسة أبي يحيى زكرياء رحمه الله تعالى . وهي في قمة جبل صعب المراقى في سمت بلدة (تنزغت) من جهة الشرق الشمالي تلي بلدة (إجريمن) من جهة الشمال أهلها فقراء جداً وبينها وبين بلدة { تمزين } مسير خمس ساعات تقريباً الى ناحية الغرب وهذه لم تزل عامرة بمجموعة من أهل المذهب لا تخلو في الغالب من فقهاء ولأهلها محافظة زائدة على عمارة مسجدهم بالصلاة جماعة وبمجلس القرآن العظيم ولهم اعتناء خاص بالسؤال عن مسائل الدين كلما اجتمعوا بمناسب الى العلم وذلك لكثرة المتردين منهم على جبال بني مصعب لطلب العلم من علامة الزمان نادرة العصر شيخ الاسلام أستاذي الشيخ محمد بن يوسف المصعبي صاحب الصيت الكبير بمؤلفاته العظيمة * وكلن أبو يونس وسيم النفوس منها وقد ولاه الامام علماً على قنطرة المعروفة عندنا الآن (بثيجي) ذات المارة الواسعة والثمار المتنوعة والعيون

الجارية في ذلك العهد وان لم يبق فيها الآن الا شيء قليل من النخيل وعيونها
تسيل على وجه الارض لارتفاع كثير من منابعها ولا يتنفع بها أحد بشيء .
فتوجه العلامة سعد بن أبي يونس بأشارة من والده الى (تاهرت) لتلقي العلوم
فيها فصاحبه نفات هذا وأقاما هناك ما قدره الله من الزمن يلازمان فيه
مجالس الامام وغيرهما من نوادي العلم حتى أدركا درجة استحقاقها المذكور
وكانت تظهر في أثناء تلك المدة من سعد دلائل الصلاح وتلوح عليه سجايا
العفة والاستقامة أكثر من نفات وان حاز نفات قصة السبق في الذكاء
والفهم على كثيرين من أتباعه وبينما هما كذلك اذ بلغ الامام وفاة أبي
يونس عامله على قنطرة ووالد سعد ولما سمع سعد بذلك حن الى الرجوع
الى وطنه للقيام بأشغاله فانه تأذن الامام في المسير فأذن له وطمع نفات في الولاية
لما رآه في نفسه من القدرة عليها فعزم على السفر مع سعد واجيا أن يعينه
الامام حاكما في مكان أبي يونس ويرجعه على سعد اذا رآه متوجها معه ولكن
الامام بعد استشارته أهل الرأي ترجح لديه صلاحية سعد للقيام بهذا
الأمر لما شاهده منه بعد تكرار التجربة من الصلابة في الدين والشدة
والوقوف عند مناهي الشرع الشريف فكتب السجل {اليورلدي أو الفرمان}
باسم سعد وطواه وختمه وسلمه لها بدون أن يخبر نفاتا بشيء ولا بد من أن يكون
قد أخبر سعدا وأمرها بالمحافظة على ذلك الظرف الى أن يسلمها لمن وجهه باسمه
من جماعة المسلمين بقنطرة فاستراب نفات القضية واستفزه الشره وسوء الظن
بالامام فتخلف في طريقهما عن سعد وفتش في الرجال واستخرج الكتاب
وفتحه فاذا هو محرر باسم سعد لا باسمه فامتلا حقدًا وأضمر في نفسه كل
شر قدر عليه * وبعد أن وصلا وسلا الظرف لصاحبه واتضح ان الامام عين

سعداً حاكماً جمع سعد أهل النظر والرأي وقرأ عليهم أمر الامام بتعيينه عاملاً عليهم فاستبشروا به وشهدوا باصابة رأي الامام . وقع الرضاء والقبول منهم فأحسن سعد السيرة وأقام منار العدل جارياً على سنن والده في التعفف وجمع الكلمة وكان له مسجد معروف به يقيم فيه الجمعة والعيدن والأوقات كلها * هذا ما كان من أمر سعد وأمانات فانه ذهب الى قريته وهي لا تتجاوز في البعد عن قنطرة مسيرة أربع ساعات أو خمس تقريباً وشهر هنالك الطمن في الامام قائلاً انه يلبس الطرطور ويخرج الى الصيد ويصلي بالأشهر ويزيد في الخلقة (يعني انه عظيم العظمة كبير الوجه طويل اللحية جداً) الى غير ذلك مما يمدده في زعمه طمعاً وجهر بالقول بمسائله المتقدمة التي خالف فيها فخاف سعد من أن يفر العامة بكلامه فصار يكرر له النصائح وكلما اجتمع به ونبخه وهدده وربما ألأزله القول اذا خلا به سياسة وتأنيساً له أملاً في رجوعه ومحافظة على الهيئة الجامعة من الشقاق الا انه لم يجد نفعاً وبلغ من ملاطفة سعد اياه والاحتراس من فتنته أن اشترى داراً بمجنب داره وشرع في بنائها ففرح أهل القرية والقرى المجاورة لها بذلك لما شهر به سعد من الاستقامة في أحكامه بتنطراة وصار الناس يأتونه لزيارته واعانتته بلوازم البناية ولقضاء حوائجهم أفواجاً أفواجاً * وللعلاقة التي بينه وبين نفات من حيث العشرة صار نفات هو المقدم في مباشرة الأمور ساعياً بقدر طاقته في الاعانة بما يلزم من نفسه ومن غيره وكان مؤدياً حق الصحبة والجوار بمجتهداً في العمل بيده اذ كان بناءً عظيماً له معرفة بطرق البناء فاذا رأى سعد الناس قد اجتمعوا قال لنفات وهو في عمله متى تترك كفرتك وضلالك ينفات خوفاً من أن يتوهم الناس أنه راض عنه وأنه في ولايته اذ استعمله في البناء وقدمه

في أشغاله فيقول ثقات منزهاً نفسه معاذ الله أن أكفر أو أضل ياشيخ وربما قال له ليس الشتم بمادة ياشيخ وإذا خلا المجلس من ثقات قال سعداً لحاضرين إنما جزاء ثقات مني على عمله هذا وخدمته الخبز واللحم لا الشتم والتهميد وما فعلت ذلك إلا ليعلم الناس أنني غير راض بسيرته فلا يفترون بأقواله وفتنته • ولما بلغ الإمام خبر ثقات وانتقاده عليه قال ليأت إلينا ثقات فيوضح لنا ما أنكره منا فإن كان حقاً قبلناه (والرجوع إلى الحق فريضة) وإن كان باطلاً (فإيه) فلما سمع ثقات ذلك وعلم بطلان حجته قال إن كلمة (إيه) من السلطان هي القتل عينه فإلى أين أذهب وبقي على ذلك والإمام لم يأذن فيه بشيء والعمال لم يتجاسروا على معاملته بسوء انتظاراً لأذن الإمام فيه بما يراه من الحكم إلى أن شاع أمره وذاع خبر خلافه وفساد عقيدته فكذب عمال الإمام الذين بلغهم خبره إليه ببيان حاله ومسائله التي خالف فيها.

— جواب الإمام أفلح رضي الله عنه —

﴿ إلى المسلمين في شأن ثقات ﴾

• ولما كثرت ورود أخبار ثقات على الإمام من عماله أجابهم رحمه الله بهذه الرسالة موجهاً بها إلى عامله على نفاذها وهي تراها بعيدة عن جبل نفوسة وطن ثقات مستقلة عنه وعن قنطرة إلا أن العمال لشدة احتراسهم ومحافظةهم كاتبوا كلهم الإمام بشأنه حتى لا يكونوا مقصرين في النصيح وكان عامله هذا من المقبولين عنده أكثر من غيره لحسن سيرته ولمكان أبيه عنده إذ كان وزيراً له.

﴿ قال رضي الله عنه ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم »

* ﴿ من أفلح بن عبد الوهاب ﴾ الى ميال بن يوسف يقرأه على من
 بحضرته ويوجهه الى كل من يرى توجيهه اليه ﴿ واما بعد ﴾ فالحمد لله المحسن الى
 أوليائه المذمم عليهم بحسن بلائه معز أهل طاعته وناصر القائمين بحقه فليس من اتبع
 أمره بمخذول ﴿ وأحمده ﴾ على ما أنعم به علينا وأحسن فيه لنا حمداً أبلغ به رضاه
 وأستوجب به الزيدانه قديرة انتهى الى الكتاب الذي كتب به اليك تحية
 ابن عبد بن فقراته وفهمت كل ما ذكره لك فيه عن كل خائب جاهل بما هو عليه
 متحامل على مالا علم له به متخبط في أمور خبط عشواء لم يبلغ العلماء فيقتبس
 منهم ولم يصحب أهل الورع فتحجزه آثارهم عن المهجوم على مالا علم له به * لكنه
 نشأ وحيداً وأقام متوحشاً من العلماء فتقاب في جوانحه الشيطان بنفخاته
 فأورثه الكبر وعظم عليه الوقوف دون مالا يعلم حتى يعلم فهمهم على
 مالا يحل له فسكل شيء خطر على قلبه تكلم به مصيباً كان أو غلطاً * وما
 أصابه من شيء على غير علم فأصابته خطأ اذ تكلم بما لا علم له به وما أصابه
 من خطأ فهو مخطيء فيه * فهو يتردد في الخطأ اذ أصاب لم يدروا أن أخطأ
 لم يدرفه وراكب مشكلات يخبط خبط عشواء كخاطب ليل لا يدري ما يحطب
 ولعله يحطب ما فيه حنقه أو حية تأتي على نفسه فتعوز بالله من الفتنة ومن
 السلوك على منهاج ذلك الرجل * لقد كان من مضى قبلكم من المسلمين لا يدعون
 مثل هذا يدخل مجالسهم ولا يشهد جماعتهم وكان عندهم مقصي ومبعدة
 مدحوراً يهجرونه ولا يجالسونه حتى يرجع الى سنة المسلمين وأنتم
 محقوقون باتباع آثار سلفكم والسلوك على منهاجهم وأن تفعلوا بهذا التائه
 المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله لكي ينزجر من أراد الله به خيراً
 ويتبته غيره ممن يخاف عليه الاقتداء به واتباعه ولا تظهر سنن أهل البدع

ولا تقوم للشيطان دعوة وأنا مبديء لكم ما ذكره وراذ عليه ضلالته) * ثم شرع في الرد عليه وفي ابطال مسائله التي اتحل فيها الخلاف للمسلمين بجميع واضحه وبراهين قاطعة وهي رسالة طويلة فاطلها في غير هذا *

* ثم ان تقاناً لم ينته عن غيه ولم يتيقظ من ضلاله ولم تؤثر فيه مرashed العلماء وأهل الفضل مع توالي النصائح اليه مشافهة وتحريراً من الامام وغيره ممن له اعتناء بشأن الدين واصلاح الأمة بل ازداد عناداً ورياء فكثرت الكتابات في حقه الى الامام من عماله وغيرهم ممن ائتمهم وخصهم بمكاتبة واخباره بأحوال الولاية والعمال والرعية في الجهات فأجابهم رضي الله عنه بواسطة مكاتبه بهذا الجواب *

❦ الرسالة الثانية للامام أفلح الى المسلمين ❦

﴿ في حق نفات ﴾

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

من أفلح بن عبد الوهاب الى (يياض في الاصل)

* اما بعد البسنا الله واياك عافيته وكفانا واياك مهمات الامور برحمته * كتبت اليك وأنا ومن قبلي من خاصتي والرعية عامة على أحسن حال جرت به عادة الله وتواترت به نماؤه فله الحمد كثيراً والشكر دائماً أنا في كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك واحسانه اليك والى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فسرني بذلك وحمدت الله كثيراً عليه وسألته تمام النعمة علينا وعليكم برحمته انه مجيب * وذكرتم أمر نفات وأكثرتم فيه الكتب ووصفتم عنه أشياء لا يشك أحد منكم

في أنها بدعة وخلاف لما مضى عليه سلفكم فإن يك ذلك كما وصفت فما ينبغي
 لاحد منكم أن يخالجه الشك في أن ذلك ضلال لأن الهدى في أيديكم والحق
 ما شرعه لكم سلفكم الصالح والائمة الرضويون رضي الله عنهم فمن أتى من
 بعدهم بما يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة
 ضلال وكل ضلال كفر وكل كفر في النار * وأتم على يقين من سنة أسلافكم
 ولا يتبع الهدى الا في موافقتهم ولا يخاف العاقل الهلاك الا في خلافهم *
 وقد قلتم في كتابكم هو غلام حدث غر لا تجربة له في الامور فنخاف ان
 جشمناه السفر والشيوخ أن نحمله اللجاجة مع اعجاب الرأي واليه بالنفس
 على التماذي فيما يهلك به نفسه * فواجه ما سألتم من ذلك وهل أنتم على
 شك من دينكم أو رية في أمركم * السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون كانوا
 على مثل حالكم * بل كانت لهم عمال في حال كتمانهم وكبارية ومون بكل أمر
 من الحقوق وغيرها في حال الكتمان وليس أحد منهم يقول ما حكيتموه عن
 هذا الغلام * فلما حدث منه ما ذكرتموه كان أمره واضحاً وهو أنه أخذ بخلاف
 ما مضى عليه سلفه وأحدث مقالة لم يقلها عنهم غيره وأنتم على يقين من
 أمركم فما أوجبكم الى عجيته واشخاصه وان كنتم تريدون أن تعلموا ما نحن
 عليه فنحن على ما مضى عليه سلفنا ومقرون لما حكيتموه عنه ان قاله
 * فقوموا عليه فان رجع عن مقالته ونزع عن بدعته فقبول منه رجوعه ومرحباً
 بالتائب حيث كان ومن كان وأين كان وان أبي الا التماذي فانتم تعلمون
 السيرة فيمن ابتدع في دين الله وشق عصا الاسلام وقال بخلاف الحق * فانه
 محقوق بأن يهجر ويقصى ويعد * وقات مثل واحد من الناس لا أخصه بشيء
 دون غيره والسيرة فيه وفي غيره واحدة والسنة قائمة وحكم الله لا يزول

ولا يتبدل . فإنا نشهد الله على من كان من أهل هذه الدعوة وعمالها وقوادها أهل العلم من أصحابنا ومن ألف إليهم من رعيتنا أن لا يسم أحدًا يتدع في دين الله أو يسلك طريقة غير طريقة أصحابنا الماضين من أسلافنا الا ويكون قد غير ذلك وأطفأه واستتاب من أظهره فان لم يتب خعله * فهذه مني عزيمة واجبة وأمر لازم وفرض محرم أن يتعدي وأن يقال بخلافه * فمن قري عليه كتابي هذا فليسمع وليطعم وليتنبه الى ما أمرت به فان من اتبعني اليه كتابي هذا في حرج ان قصر عما أمرت به * * ومن عاب أحدًا من عمالنا بخصلة من الخصال أو أنكر عليه شيئاً فليرفع ذلك الينا فنكون نحن الذين يغيرونه ان كان مما يغير وليس للرعية الوثوب على السلطان حتى ترفع ذلك اليالان الوثوب على السلطان والاعتفاء للخصال التي نحن اولى بالنظر فيها خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة لان هذا وضربه مما لا يعلم باطنه الا بالبحث وقد يظن الظان في الأمر فيراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم * ولم يظلم من دعاكم الى نفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم اليه لان في ذلك شفقة منا عليكم ان تهلكوا من حيث لا تعلمون والله ولي عصمتنا وتوفيقنا وأياكم وهو المستعان لا شريك له * وقد كتبت اليك جواب مسائلك فليسك بتقوى الله والعمل بطاعته وحسن النظر لنفسك فانها ان سلمت لك فقد نجوت وفزت فوزاً عظيماً * ولا تدع الكتابة الي بحالك وسلامتك فامك تسرني بذلك والسلام اهـ .

* ولما بلغ ثقاتنا خبر هذه المكاتبات في حقه وأمر الامام عماله بتحقيق ما شمر عنه واثباته ثم اظهار البراءة منه ونفيه وابعاده ان لم يرجع بعد استتابته ضاقت به الارض وتوقع الهلاك فكتب الى الامام كتاباً (لم نثر عليه) يستفهم فيه عن موجب الأمر بالبراءة منه ويشتمل على كلام حمل الامام

رحمه الله على مكاتبتة برسالة لا بسملة فيها ولا سلام إشارة منه رضي الله عنه
الى البراء منه وعدم الرضاء عنه .

✽ الرسالة الثالثة للامام أفلح ✽

✽ رحمه الله أرسلها الى نفات ✽

* ✽ من أفلح بن عبد الوهاب ✽ الى نفات بن نصر ✽ أما بعد ✽
فالحمد لله الذي علينا والحسن الينا الذي بنعمته تم الصالحات ولا يهتدي مهتدي
الا بعمونه وتوفيقه فله المنة علينا ولا منة لنا عليه * وهو المحسن الينا اذ هدانا
لدينه وجعلنا خلفاً من بعد أسلافنا الصالحين وأئمتنا المهتدين الذين في اتباعهم
نرجو الهدى وفي مخالفتهم نخشى الهلكة * ولن يهتدي من خالف العدل
ولن ينجو من ابتدع غير الحق لان تلك البدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل
كفر في النار *

* وقد كتبت اليك غير كتاب أنصح لك فيه وأدعوك الى رشدك وفي كل
ذلك لا يلغني من عمالنا فيك الا ما أكره ولا أرضاء لدين ولا دنيا حتى
حررت كتاباً منشوراً الى عمالنا أمرتهم فيه بجمع كل من خالف سيرة المسلمين
وابتدع غير طريقهم وسار بغير سيرتهم وبغضه وهجره واقصائه
* فكتبت الي كتاباً كأنك تسخط ذلك فأترى اني أوازر من ابتدع في ديننا
(كلا) ما كنت بالذي يفعل ذلك ولا أوازر من يسمى في خلافنا ما كنا
على الهدى *

* ثم قلت انا أمرنا في كتابنا بالبراءة منك فإن كنت كما كتب به الينا
عمالنا فأنت محقوق بالبراءة ومقصى من جماعتنا لاننا ما كتبنا كتابنا ذلك
الا على ان كل من ابتدع في ديننا خلاف أسلافنا وزعم أن عمالنا أساقفة

وانهم لا طاعة لهم في حال كتمانهم فهو محقوق بالبراءة ومقصي من جماعة المسلمين * فان تكن أنت منهم فأنت الذي أبحت لنا البراءة منك وأحملت بنفسك ما لا بد لنا أن نفعله بك وبغيرك * وان لم تكن كذلك فاطهر الاتقاء من ذلك وكذب عن نفسك ما قيل عنك لتكون عندنا بالجملة التي تستحقها وتستوجبها *

* وأما قولك (تب مما كتبت به) فهو منك عبث اذ لم أشاهدك ولم أشاهد موافقتك حتى يجب لك علي أصل ولاية * ولم يكن لك عندي مقدمة في الموافقة * وانما رفع الينا عنك مارهة أهل الثقة عندنا فأمرنا عما لنا ان يسيروا في كل من ابتدع بسيرة المسلمين وكتبنا اليهم بذلك * فجعلت تكتب الينا فيما ليس لك به كتاب * فعلام تتجاهل في الامور * فان كانت غايتك انما هي ان تكتب اليك وتكتب الينا ونجيب فهذه غاية قصيرة والسكوت عنك أهنأ وأولى بنا ونحن بآمانينا به أبقى من مجاوبة أهل التكاف ومن ليس له غاية الا أن يقال فيه كتب فلان وقال فلان وفلان يفعل ويفعل فلان * وان كانت غايتك التصحيح فانف عن نفسك مارقي عليك وكن من جماعتنا وموافقي اسلافنا فاذا تبينت منك الموافقة والاتقاء مارقي عليك كان ذلك هو الذي نحبه منك ومن غيرك وليس لك عندي غير هذا * وان يكن حقاً مارقي عليك وما قيل فيك من مخالفة أصحابنا فأنت ومارضيت به لنفسك * واني غير كاتب اليك كتاباً بهذا الا ان انتهى الينا منك ما نحبه فنترك من أنفسنا بحيث تحب والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آم



﴿ هروب نفات الى المشرق ﴾

﴿ واستنساخه ديوان الامام جابر بن زيد رحمه الله من مكتبة ﴾

﴿ الخليفة بغداد ﴾

* فلما قرأت نفات هذا الكتاب وفهم اشارات الامام فيه وأدرك منتهى ما ترمي اليه آخر عبارة منه وهي قوله (واني غير كاتب اليك كتابا بعد هذا) علم أن دور الكتابة واللين قد انتهى وانسد بابها ولم يبق الا دور الشدة والعنف الذي فهمه قبل ذلك من قول الامام (ايه) فانهز الفرصة وجمع ما عنده من المال نقدا تحته وكان غنياً مترياً وهرب طالباً للنجاة بنفسه الى أن تجاوز حد نفوذ الامام وهو (أرض سرت) وضل سائراً نحو المشرق حتى أتى مدينة بغداد وهي اذذاك مقر خلافة بني العباس بالمشرق وأقام فيها ماشاء الله ان يقيمه متردداً على صديق له بغدادى في السوق يتأس اليه ويمضي جل أوقات فراغه عنده الى أن طرأت على السلطان مشكلة علمية أشكل عليه الأمر فيها وعجز علماءه عن حلها فأمر أن ينادى في الاسواق بأن كل من أجاب عنها بجواب مقنع له ما يسأله من السلطان * وبينما نفات عند صاحبه اذ سمع ذلك النداء فقال لصاحبه انى سأذهب الى السلطان وأسأله يان مسئلته لأجيبه عنها فقال له الزم نفسك فان الحال ليس بسهل وكأني بك وقد عجزت عن اداء ما تحملت به فأمر بتقطع رأسك وليس هذا بميدان يجول فيه كل أحد فأصر نفات على كلامه ولما مر المنادي أمام الدكان قال له صاحبه ان هذا المتعري ذكر أنه يقدر على جواب السلطان فلم يك الا كلب البصر حتى اختطفه الشرطي وذهب به الى أنث مثل بين يدي السلطان فقر به اليه وأدناه وآنسه وسأله عن أحواله ونسبه ومسقط رأسه

فأجابه عن كل ذلك بأوجز بيان ثم رأى أن يمد لنفسه عذراً حتى يكون
مطمئناً آمناً من الممالك أن هذا هفوة في كلامه عالمًا بأن آفة الانسان اللسان
فقال له اعلم اني رجل بربري اللغة والطبع مغربي المشرب لم اتخلق
بالآداب الشرقية حتى أقوم بما يجب علي من حسن القول امام مقامك
العلي فأطلب الاذن في التكلم بما يخطر ببالى مع العفو عما يصدر مني من
الخطاء المتأثر لسنن الأدب * وبعد أن تلفظ له بالاذن كما طلب سألته عن
مسئلته فأجابه في الحال بجواب كاف شاف اقنعه كل اقتناع ولا عجب
الخليفة به صار يكرر له السؤال عن معضلات المسائل وهو يجيب وكان
المجلس حافظاً بالعلماء والتقهاء والأدباء والأمراء وأولي الوجاهة من أكابر
بغداد اذ كانت للمسألة شهرة عظيمة ولها من قبل ذلك في الدوائر والمجالس
ذكر شائع وطلق أولئك العلماء يسألونه سؤالاً بعد سؤال وهو يجيبهم الى
أن أعيانهم الأمر وملوا الجلوس ولحق الخليفة من العجب ما أبهر عقله
وحير فكره فظفر اليه وهو على هيئته المغربية فيما يظهر من قرائن الاحوال
وقال معرضاً به (نعم العسل في ظرف سوء) فظن لها نقات وقال في الحال معرضاً
بديوان جابر المتقدم ذكره وهو موجود بمخزاة (مكتبة) الخليفة (نعم الرجل
في قبر سوء) فظن الخليفة أيضاً لمزاده واشتد به الخلق وكاد يأمر بالقتل
به لولا ما صدر منه من الاذن في التكلم والعفو عن الخطاء ثم قال له اسأل
حاجتك لنوافيك بها جزاء لمملك هذا فقال له ان حاجتي هي صدور أمرك
بالاذن لي في نسخ ديوان جابر بن زيد الموجود في مكتبتك * فسا توالى
السلطان في اذنه بذلك وقام نقات فرحاً بما ناله من الأقبال والفوز وكان
الحاضرون من وزراء السلطان وخواصه قد أدركهم من الجزع ما كدروا حتم

اذ رأوا السلطان مسيراً لفات في أمر الديوان فقالوا له بعد خروج نفات
كيف يصح لك يا أمير المؤمنين أن تأذن في نسخ الديوان وهو معدود من
مهمات خزائنك وغرائبها حيث أنه لا يوجد في غيرها قط وهذا مما لا
رضاه منك * فنبهه اذ ذاك وندم وقال ابي قد وعدته ولا يمكن لي الرجوع
في كلامي فانظروا لي وجهاً مناسباً لا يحط بشرفي وأمنعه به من ذلك فقال
له أحد الوزراء اذا رجع اليك فاعلمه بأنك موف له بالوعد الا أن مدة النسخ
لا يمكن أن تتجاوز يوماً وليلة فانه اذا سمع منك ذلك ترك الطلب لأن هذا
القدر من الزمن لا يفي به شيئاً فاستصوب السلطان هذا الرأي وأرسل في
الحال الى نفات يعلمه بذلك فظن نفات لهذه المكيدة وأدرك أن المسئلة
دبرت على أثر خروجه من عند السلطان فرضي بالشرط وذهب فاشتري
ما يكفيه بالتقريب مداداً وأقلاماً ورقاً وصنع أحواضاً مخصصة بالجير مصففة
على هيئة يتمكن بها من الكتابة كل ناسخ *

* ثم أمر مناديه فنادى في المدينة بأن كل من يحضر الى المحل الثقلاني
في يوم كذا ويكتب طول يومه فله دينار وللذي يملي عليه نصف دينار * وغير
خفي ما كان في ذلك العصر المعاصر بالأدب والعلم من الكتاب والقراء
فاجتمع له خلق لا يحصى وشرعوا في الكتابة الى الليل وقبل انتهاء وقت هؤلاء
نادى المنادي أيضاً بأن من يكتب ليلته هذه فله ديناران ولمن يملي عليه دينار
فبقي من الأولين من بقي وخلف من ذهب غيره واستمروا في الكتابة وما
طلعت الشمس حتى تم له نسخ تسعة أجزاء وبقي له جزؤ واحد منه السلطان
من اتمامه لانتهاه الوقت المحدد المأذون به فاستأذن عليه ودخل فطلب
منه أن يتصفحه مرة واحدة ويرده فسلمه له وبعد أن أنهى سرداً قال له قد حفظته

وان أردت أن أقرأه عليك لتعلم صدقي فقلت فتعجب الخليفة من ذلك وأمره بقراءته فقرأه الى آخره بحيث لم يترك منه شيئاً قط *

* ثم ان الخليفة جمع وزرائه وقال لهم قد أعيانا أمر هذا الرجل وما قدرنا له على حيلة وها هو قد أتم الكتاب وأراد السفر ولا بد لنا من رأي تتوصل به الى سلبه منه فأشار كل برأيه ثم قال هو اني سأسأله عند خروجه الى سفره عن أسئلة فان عجز عنها سلبته منه بوسيلة انه ليس له بأهل أو قتله واز أجاب فأسأله أتم واحداً بعد واحد حتى يمجز فنعمل به ما ذكرناه فاتفقوا على ذلك واقتروا ولما بلغهم أن نفاتاً برز برحله للسفر حضروا ومعهم الخليفة بصورة أنهم يودعون وابتدأوه بالأسئلة المتتابعة زمناً طويلاً حتى تنبه الى أنهم ما فعلوا ذلك الا لقصد ارجاع الديوان منه * ولما رجعوا ولم يقدروا له على شيء أجمعوا على أن يرسلوا ورائه من ينتزعه منه * فتحذر هو وحاده عن الطريق المعروف فلم يدركوا له أثراً وتوجه الى مكة ثم منها الى طرابلس ولما بلغها سأل عن الاحوال فوجدها قد تغيرت ووجد دولة الامام في قوة عظيمة ونفوذ كامل واذا ذاك علم انه لا مطمع له في شيء مما كان يقصده من الخروج عن الطاعة واستغفال العامة ورآى ان السكون أسلم وأصلح له الا ان الشيطان غره وضاعف حسده وسولت له نفسه ان يعدم ذلك الديوان حتى لا ينتفع به أحد بعده ولعله خاف ان يطلبه منه الامام لينسخوا منه نسخة للمكتبة المشهورة بمخزاة نفوسة الجامعة اذ ذاك للآلاف المؤلفة من الكتب بمدينة (سروس) في جبل نفوسة أو لمكتبة تهرت فحفر له في الارض ودفنه وأخذ الى السكون الى أن مات *

* وقد ذكر هذه الحكاية أبو زكرياء رحمه الله وغيره ولا غرابة فيما

ذكره من حفظ نفقات فان ما يحكى عن حفظ الشيخ السيوطي وغيره لا
يعد عن هذا وانما الغرابة في نسخ الديوان في تلك المدة القصيرة مع قولهم
انه كان وقر عشرة جمال وانظر على هذا كيف تأتي لجابر رحمه الله تأليفه
ونسخه مع اشتغاله بأمور المسلمين* الا ان يقال ان الخط في ذلك الوقت غليظ
جداً ولا سبك فيه كما نشاهده في الكتب المتينة وان المكتوب فيه جلد
لا كاغد ولو كتب الآن لكان في أقل من ذلك بكثير* وقد تعرض صاحب
كشف الظنون لذكر هذا الديوان ولم يقل فيه شيئاً والله أعلم

* والذي ذكره بعض أصحابنا فيما رأيت ان نفقاتاً تاب ورجع عن مسائله التي
خالف فيها وهو كلام قريب اذ لم يرو أحد أنه ذكر الامام بسوء أو تكلف
لاثارة فتنة أو سعى في فساد بعد رجوعه من المشرق بل كان الامام بعد ذلك
نافذ الامر ظاهر السيطرة في نفوسه وغيرها والله أعلم بالحقائق *

✽ امتحان الشراة من المسلمين للامام ✽

﴿ أفلح رحمه الله بتولية العلامة محكم القضاء ﴾

* (الشراة) في اصطلاحهم تقريباً لفظ يطلق ويراد به جماعة تتركب من
أربعين رجلاً فما فوق ذلك اشترى آخرتهم بدنياهم بمعنى انهم تخلوا عن الدنيا
وعاهدوا الله على انكار المنكر والأمر بالمعروف بدون مبالاة ولا خوف من
الموت ولو أدى بهم ذلك الى القتال* فهم دائماً يمتحنون الأئمة والعمال بما يستدلون
به على شرارهم وخفايا مقاصدهم واهمالهم ويحمدون سيرتهم اويذمونها وعلى ذلك
يكون مدار اقوال الناس فيهم ولذلك تجمل الأئمة والحكام مرادهم نصب
اعينهم لعلم الجميع باخلاصهم العمل لله في اصلاح الامة واقامة الدين *

* وقد امتحنوا هذا الامام أيضاً بما جملة في أرفع درجات الرضاء والقبول

عند الخاصة والعامة من المسلمين وقد ذكر ذلك ابن الصغير المالكي في تاريخه مفصلاً نغذه أيها القاري منه بعبارة *
 ﴿ قال ﴾ وكان أول ما امتحنته به الشراة أن قاضيا من قضاة أبيه

مات في أيامه فاجتمعوا اليه وسألوه أن يولي القضاء من استحق ذلك عنده فقال لهم أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم ثم أعلموني به أجبره لكم وأعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم فقبلوا أمرهم فلم يرتضوا أحداً منهم وأجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل أوراس (صاحب التفسير المشهور) فأتوا إلى أفلح بن عبد الوهاب وقالوا له قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرض أحداً منا وقد رضينا جميعاً بمحكم الهواري الساكن بجبل أوراس لخاصتنا وعامتنا وديننا ودينانا فقال أفلح ويحكم دعوتهم إلى رجل هو كما وصفتهم في ورعه ودينه ولكنه هو رجل نشأ في بادية لا يعرف لذي القدر قدره ولا لذي الشرف شرفه وإن كان ليس منكم أحد يجب أن يظلم ولا يظلم ولكن تحبون أن يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لا عرضكم ولا امتنان لأنفسكم قالوا فإنا لا نرضى لقضائنا أحداً غيره فقال الذي حدثني أخبرني أبي أن أشد الناس بولاية محكم على أفلح أخوه أبو العباس قال أفلح أما إذا أيتيم غيره بعد نصحي لكم فابعثوا رسلكم إليه على بركة الله قال فخرجت الرسل بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة في داخل كل كتاب منهما بعد اثبات اسم الله العظيم ﴿ أما بعد ﴾ فإنه قد نزل بالمسلمين أمراً لا غني بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدمك ولا يسمعك التخلف فيما بينك وبين الله عن الحقوق بهم والاجتماع معهم ليجمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين فلما ورد كتاب القوم ورسالهم على محكم عمد إلى دابة له وركبها وأخذ كساءه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى البلد

وقصد المسجد الجامع فنزله وابتدر اليه أصحابه فأحاطوا به وقالوا ان فلانا
ابن فلان القاضي توفي وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الامام عليك ﴿واعلم﴾
انك متى تخلقت عما دعوناك اليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حله
وفرج يوطأ بغير وجهه فاتق الله ولا تخالف الامام والمسلمين فيما دعوك اليه
وانك ان خالفت أجبرناك وان أطعنا شكرناك * فقال لهم ان الحق مرث
أمر من شرب الدواء الا كرها وأنتم مترفون ابناء نعم وغيري احب اليكم مني
نصحتكم فاقبلوا نصيحتي وذكروا كلاماً يطول ثم قال اما اذا أيتم الا هذا
فارجعوا الى امامكم فاعلموه بما أعلمتكم وشاوروه في أموركم * قالوا لقد
فعلنا قال على بركة الله فأنزلوه في الدار المزوفة بدار القضاء واشتروا له خادماً
صفراء نخدسه وأجروا عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي أملاها
منه ورجعها عنده فينبأها هو على ذلك من أمره اذ تنازع أبو العباس أخو أفلح
المشير له والمرغب فيه وصهر لأفلح في أرض فارتعما الى أفلح * أبو العباس
أخوه والآخر صهره فقال لهما أفلح كلاكما يمز على ولكن ارتعما الى محكم
وكان أبو العباس يحب ذلك لتقديعه لمحكم وإيثاره اياه وكان الآخر يكره
ذلك ويحب ان لو كان أمرها عند أفلح فاعثم أبو العباس كلام أفلح وبادر الى
بغلة له شهباء هملاجة فركبها وكان صاحبه على رمكة بطيئة المشي فأتى أبو
العباس محكما فوجدته خالفاً في سقيفة داره ولم ير مع أي العباس أحداً فأجلسه
محكم الي جنبه وأقبل عليه يحدّثه وخصمه متخلف على دابته فينبأها كما كذلك
اذ أقبل خصمه حتى نزل على باب دار محكم فلما رأى أبو العباس خصمه قد
نزل نادى باسم جارية محكم فخرجت اليه فاستسقاها ماء ليري أبو العباس
خصمه دالته على القاضي ليردعه بذلك فلما صار القدح الى الجارية قال الخصم

في نفسه الى من أحاكم خصمي جالس الى جنب القاضي ويستقي الماء من داره وأنا لمقي على باب الدار لا يلتفت الى ولا ينظر نحو ي * قال ثم حانت منه الثفافة فاذا بالرجل جالس فقال له ما بالك يا هذا وما قصتك فقال له جئت خصماً لأبي العباس فوجدته جالساً الى جنبك جلست في موضعي هذا قال فغضب محكم على أبي العباس فقال يا أبا العباس تأتي مع خصمك فتجلس الى جنبى دونه وتستقي الماء من داري ويبد جاري * يا غلام * خذ بيد أبي العباس فاقعده مقعد خصمه ولا يبرح وخذ بيد خصمه فاقعده الى جنبى وممر الجارية فلتسقه ماء ففعل الغلام ما أمره به فخرج أبو العباس مناضباً قد شق جيبه حتى دخل على أخيه (الامام) أفراح فلما رآه قال له مالك وما عراك قال له نزل بي من هذا الهواري . . الجاني ما لم ينزل بأحد فقال وما ذاك فقص عليه القصة من أولها الى آخرها فلما فرغ من كلامه قال له يا أبا العباس قد كنت أعلمتك بهذا من قبل والصواب ما فعل والحق أولى ان يؤثر ولو فعل غير هذا لكان مدهاناً فاتصل ذلك من كلامه بوجوه الأباضية فأعجبهم وسروا به اه بالحرف الواحد * ومما امتحنه به وفد نفوسة أنهم نزلوا عنده أضيافاً ولما حضر الطعام وقف على رؤوسهم بالقنديل وهم يأكلون فدله واحد منهم لقمة مما بين أيديهم باثاق مع رفقائه ولما كانت إحدى يديه رحمه الله مشغولة بالقنديل ولم يكن من الأدب قبوله اللقمة بيد واحدة وضع القنديل فوق ركبته حتى لا يمتحنى عنهم نوره وتلقى اللقمة بيديه ولم يتكبر فشكروه على ذلك رحمهم الله أجمعين *

* ولم يزل رضي الله عنه بوالي الارشاد ويتابع كتب النصائح الى عماله في الجهات والى الجموع في البلاد تارة باللين والسياسة استمالة للنفوس الشاردة

وتأميناً للقلوب الوجلة وتارة ببارات الشدة وجل الارهاب والفاط التهديد
 قهراً لذوي المقاصد السيئة وقطعاً لأكمال أولي الألباب الفاسدة والنيات
 الخبيثة عادة كل ملك حكيم مدبر جامع للاضداد من الشدة واللين والفضب
 والرضاء والجود والبخل وغير ذلك ليصرف كلاً حيث يجب والا كان
 عاجزاً عن ضبط ملكه وقهر أعدائه * فليتبع من رام معرفة قدر علو همم
 الكمل من الرجال غصون رسالة هذا الامام القائم بالعدل الشاهر للحق التي
 اتحف بها عامة رعيته وخاصتهم نصيحة لله وهدية وتليت عليهم بواسطة عماله في
 المجالس فكان لها في النفوس وقع عظيم وفي صفحات الصدور تأثير جسيم
 لما اشتملت عليه من النصيح والترغيب والترهيب وهاكمها بعمانيها الفاتقة
 والفاظها الرائقة *

❦ النصيحة العامة من الامام ❦

❦ أفلح رحمه الله الى كل من كان تحت ❦

« لوائه من المسلمين »

❦ بسم الله الرحمن الرحيم ❦

❦ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ❦

❦ من أفلح بن عبد الوهاب ❦ الى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين

❦ أما بعد ❦ فالحمد لله الذي هدانا للاسلام * وأكرمنا بمحمد عليه السلام

وأبقانا بعد تناسخ الامم حتى أخرجنا في الأمة المكرمة التي جعلها أمة وسطاً

شاهدة لنبيئها بالتبليغ ومصدقة لجميع الانبياء وشاهدة على جميع الامم بالبلاغ

من الانبياء عليهم السلام اليهم من آمن الله ورحمة أرسل اليها نبيته محمد صلى

الله عليه وسلم بالهدى ووعدته بالنصر على الاعداء وضمن له الفلج والغلبة

ووعده بالمصمة وقال له عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللَّهُ يَمُصِّكُ مِنَ النَّاسِ﴾ فأدى عليه السلام ما أمره الله به ونصح لأئمة ودعا إلى سبيل ربه وجاهد عدوه وغلظ على الكفار ولأن للمؤمنين فكان لهم كما وصفه الله عز وجل رؤفا رحما حتى انتقضت مدته وفيت أيامه واختار له ربه ما عنده فقبضه محمود السعي مشكور العمل صلى الله عليه وسلم * فلم تبق خصلة من خصال الخير الذالة على الرشد الداعية إلى النجاة إلا ودعا إليها وسنها أو فرضها أو أوجبها ولم تبق خصلة من خصال الشر الداعية إلى الهلكة إلا وزجر عنها وأمر باجتنابها رحمة من الله لعباده فله الحمد على ذلك كثيرا * ثم أمر تعالى بالجهاد في سبيله والقيام بحقه والاخذ بأمره والانتها عما نهى عنه وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم والقمع للظالمين لكي لا تقوم للشيطان دعوة ولا تثبت لأهل حزبه قدم ولا ينفذ لهم حكم فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الدين واعزازه وهو الجهاد وتأدية الحقوق الواجبة لله تعالى * فليكن معشر المسلمين يتقوى الله العظيم والقيام له بحقه فيما وافق هواكم أو خالفه وتقربوا إلى الله بالقيام بطاعته وطلب مرضاته لتنالوا بذلك ما وعد به من جزيل الثواب وكرم المآب * وعليكم بتقوى الله واتباع آثار سلفكم فقد سنوا لكم المدي وأوضحوا لكم طريق الحق وحملوكم على المتهاج في اتباعهم النجاة وفي خلافهم تخشى الهلكة فاتبعوا ولا تبشعوا واجتهدوا في إدراك ما أدركوه وإياكم والبعد عن البدع هلكة وسوء طريقة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر وكل كفر في النار * فمن ترك آثار سلفكم الصالحين واتبع غير سبيلهم فقد أحل بنفسه الهلكة ووجب

عليكم القيام عليه والبراءة منه وخلعه مما هو عليه حتي لا يجد عندكم هوادة
ولا ادهانا وحتى لا تقوم لظالم حجة ولا تطاع له مقالة فانكم متى لم يجد
ظالم فيكم ولا عندكم مقاماً عززتم وعز دينكم وكان لكم ذلك عند الله فوزاً
عظيماً * (واعلموا) ان الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عبادته وبلاده
ولا تأخذكم في الله لومة لائم * فليس لاحد منكم عذر ولا حجة يحتاج بها
على الله فقد أوضح لكم المهاج وأثار لكم طريقة الحق وجعل لكل زمان رجالاً
تسند اليهم الأمور ويأمرون فيطاع أمرهم * ويدعون فيجاب نداؤهم * وأنتم
رجال زمانكم والكبراء من أهل موضعكم فأعرضوا أعمالكم على اعمال من
تقدم قبلكم من سلفكم وأهل الزمان الأول من أوائلكم فان كانت
اعمالكم موافقة لأعمالهم فالله على ذلك محمود وعليكم الثبوت والازدياد
من كل خير وان كانت أعمالكم قد قصرت عن اعمالهم وحطمتكم الذنوب
عن البلوغ الى درجاتهم فاحسنوا محاسبة انفسكم واتقوا من نومة الغفلة
وخذوا لانفسكم من انفسكم وأنتم سالون من قبل ان تؤخذوا ويؤخذ منكم
بالكظم وتصيروا الى حالة لا يستغيث فيها مستغيث ولا تقبل من نفس فدية
فاتقوا الله حق تقائه وتواصوا بالبر والتقوى ومروا بالمعرف المفترض عليكم
وأنهوا عن المنكر الذي قد نهيت عنه * وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
عرضها السموات والارض أعدت للمتقين * فانكم لن تسارعوا اليها بالأثماني
والتوكل * وانما تسارعون اليها بالعمل الصالح والمسارة الى مرضاة ربكم
ولن تنالوا ذلك الا بعون من الله وتوفيقه *

* ثم أحذركم أهل البدع الذين لم يعرفوا حقاً فيتبعوه ولن يلقوا أهل
العلم فيقتبسوا منهم الدين * عاشوا مع أهل الجهل تغلبهم الشيطان ونفخ في

قلوبهم الكبير وأورثهم العجب فاستحيوا أن يقولوا فيما لا يعلمون لا نسلم
فأفتوا برأيهم أقواما جهلة لا يعرفون ما يقال لهم * قلدوهم دينهم وألزموا أنفسهم
الرأي فاتبعوهم على بدعتهم فضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل
فويلهم ما ذا سوغت لهم أنفسهم وما الذي ظنوه وأملوه اذ تركوا آثار من مضى
من السلف الصالح * هل يخافون الهلكة في اتباع آثارهم أو يرجون النجاة
في خلاف سبيلهم * كلا * ولكنهم اتبعوا أهواءهم بغير حق فآلزمهم فتنة
الجهل وانتفعت صدورهم من نفخة الكبر * لم يحاسبوا أنفسهم فيكشف لهم
خطأهم * فاحذروا * معشر المسلمين من كانت هذه صفته ومن حل بهذه
المنزلة ورضيها لنفسه * واعلموا أن من كان كهذا فقد صار من حزب
الشیطان وأوليائه لان الشيطان لم يضل ولم يهلك الا من باب الكبر * أمره
الله أن يسجد لآدم صلى الله عليه وسلم فتكبر عليه وقال أنا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين فويله ما ذا عليه من آدم اذ خلقه الله من طين لو سجد
له كما أمره الله تعظيما لله لا لآدم وطاعة لله لا لآدم * وان كان آدم من
طين فهو انما يطيع الله لا آدم * لكنه تكبر فهلك وعابد فكفر وفوى
فضل وأصر فأهلك نفسه ولم يضر ذلك آدم * فهكذا هؤلاء
المتدعون الراغبون عن آثار سلفكم واتباع مناجمكم والسلوك على طريقكم لم
يضرهم الا أنفسهم * ولم يحبطوا الا على ظمورهم ولم ينقصوا الاحكام ولم يذهبوا
الا نصيبهم فأما أنتم فعلى بصيرتكم ان تمجنتم طريقة المتدعين وخالفتم سنة
الظالمين * فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * واعتصموا
بمحبل الله جميعا ولا تهرقوا واذكروا نعمة الله عليكم وإحسانه اليكم وارغبوا
اليه في التوفيق والمصمة واحذروا ما حذركم منه من أليم عقابه * وارغبوا

فيما رغبتكم فيه من جزيل ثوابه واذكروا ما بها كم عنه وما وصفه لكم عن
 المتدعين قبلكم * ومن أضل من الناس فيما مضى * قال عز من قائل (ولا
 تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم اليينات وأولئك لهم
 عذاب عظيم) لعمرى ما تفرقوا واختلفوا الا يبدعة ابتدعوها * وضلالة
 أحدثوها وفتنة رماهم الشيطان بها * فنفخ في قلوبهم الكبر * وأورثهم العجب *
 ففهمهم على ترك المنهاج الذي مضى عليه صالح سلفهم وزين لهم بدعتهم وصيرهم
 بعد الهدى ضلالاً * وبعد الايمان كفاراً * فقال عز وجل لهم وفيهم (أكفرتم
 بعد ايمانكم فذوقوا المذاب بما كنتم تكفرون) ففهمهم كفاراً بعد الايمان بما
 أحدثوه وابتدعوه اذ تركوا ما شرع لهم من الدين وقال عز من قائل (وأما
 الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) فمدحهم اذ ثبتوا على
 دينه واتبعوا امره وسلكوا على منهاج اوائلهم * فليدرككم معشر المسلمين
 باتباع الآثار والعمل بما عمل به اسلافكم المتقدمون قبلكم فقد سنوا لكم
 الهدى * ففي اتباعهم كل رشد وفي مخالفتهم كل غي * والرشد خير من الغي
 والهدى خير من الضلالة * والجنة خير من النار * ولن يستوي عند الله من
 عمل بطاعته وامره ومن عمل بمعاصيه وركب سيخطه * ألم تسمعه يقول
 عز وجل (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
 الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) * هذا * وقد بالفت اليكم في
 النصيحة وشرحت لكم الموعظة ورضيت لكم بما رضيت به لنفسي ونهيتكم عما
 انهى عنه نفسي نصيحة لله واجتهاداً في طلب رضائه والله اسأل أن يوفقنا
 وأياكم لطاعته والقيام بحقه برحمته انه قدير والسلام عليكم ورحمة الله آه
 * فتأمل ايها القاري حفظك الله في هذه المواعظ البالغة والحكم النافعة

التي ما صادفت قلباً قاسياً الا ولان * ولا طبعاً جامداً الا وهان * فهي لعمر
الحق أكسير الهداية والتوفيق * ونبراس النہج الحقيق * منجیة الغريق * ودليل
الحائر الى اقوم طريق * وهديۃ الصديق الى الصديق * هكذا والله شأن
أئمة الاسلام * وهكذا خلفاء الله على الأنام * وما سوام ممن أطنبوا
فيهم الكلام * وسبكوا في وصفهم النثر والنظام * الا أوهام في أوهام *
وسراب كأضغاث أحلام *

— عمل هذا الامام رضي الله عنه —

* ومن ولاته وعماله المشهورين العلامة أبو عبيدة واليه على جبل نفوسة
والعلامة ميال بن وزيره يوسف عامله على نفاوة وما يليها * والعلامة سعد
ابن أبي يونس عامله على مدينة تيجي * والعلامة العباس بن أيوب واليه
على جبل نفوسة بعد أبي عبيدة والظاهر أن هذا بقي الى آخر دولته أو توفي
قبله بقليل اذ لم نثر قط على مكاتبة تدل على شيء من ذلك ولم نقف على من
ولي الجبل بعد العباس وقبل ابنه أفلح الا ما ذكروه من ولاية العلامة
أبي ذر أبان رحمه الله ولكن مدته كانت قصيرة فلما أن تكون في آخر
دولة هذا الامام واما أن تكون في صدر امامة أبي بكر أو محمد * ولكونها
في مدة هذا أقرب على ما هو المتبادر تكلم عليها هاهنا فنقول *

— ولاية العلامة أبي ذر أبان رحمه الله —

﴿ على جبل نفوسة ﴾

* ولما توفي العباس بن أيوب رحمه الله بعد أن أطاع الجبل كله وما يليه
وانقطعت الفتن كتب المسلمون الى الامام في ذلك فولى عليهم العلامة
الزاهد أبا ذر أبان بن وسيم النفوسي من بلدة (وينو) المذكورة سابقاً

وكان عفيف النفس لا تعلق له بالدنيا ولما كلف بهذا الأمر استثقل حمله ولم يجد
مسلكاً للتخلص منه * فتوجه الى الله تعالى وسأله أن يقصر مدته وأن لا يتجاوز سبعة
أيام فان مضت فلا يتجاوز سبعة أشهر * فان مضت فلا يتجاوز سبعة أعوام * هكذا
ذكر الشماخي رحمه الله وقال كان مستجاب الدعاء فلم تصل مدته سبعة أشهر *
ولم يذكر هو ولا غيره سبب انفصاله ولعله توفي والا فثله لا يزل ولا يقبل
منه التسليم ان سلم لما كان عليه من التقوى والعلم * والمشهور عنه كما في السير
انه أخذ العلم بعد أن كبر والحامل له على طلبه هو أنه أصابه مرض لازم
به الفراش وكان معه في بيته أخوه أبو عبد الله مريضاً أيضاً فاذا جاء الناس
لزيارة أبي عبد الله مروا على أبان مروراً ثم يقعدون بجانب أخيه يتحدثون معه
ويؤنسونه بالكلام فاذا قال له أحد وهو مارئ عليه كيف حالك يا أبان قال ان عاش
أبان جعل للدنيا جزاءها ان شاء الله * وذلك لما يراه من تعظيم الناس لأخيه
واستهانتهم به لجهله * ولما شفي من مرضه اجتهد في طلب العلم عند العلامة أبي
خليل الدركلي حتى صار علامة زمانه فقال له شيخه أبو خليل افت يا أبان
لناس بالرخص فان لكل زمان نذيراه وأنت نذير زمانك وكان يقول أدركت
الناس الذين كانت أحاديثهم ذكر الله * وزيارتهم في الله * ومعاتقتهم بالمودة
والصحة والمحبة * وبقيت حتى صحبت ناساً أحاديثهم الدنيا وزيارتهم الخواثج
ومعاتقتهم التناطح * وله رحمه الله ذكر كثير في كتاب السير واقوال
مشهورة في كتب المذهب والله أعلم

❦ وفاة هذا الامام وعدد مدته وأولاده ❦

(رحم الله الجميع)

* وفي آخر دولته رحمه الله استأذنه ابنه أبو اليقظان محمد في الحج فأذنه له

وذهب وبينما هو يسمي في الحرم الشريف اذا حاطت به رسل بني العباس
وأخذ محفوظاً تحت المراقبة الى بغداد وأودع في السجن مع أخي الخليفة
العباسي وستاق القصة مشروحة ان شاء الله عند الكلام عليه وكل آت
قريب * فبلغ الخبر الى الامام فاعتم واعتم المسلمون لذلك وتحققوا ان
ما صنعت نفوسة قبل ذلك كما سبق مع جده الامام عبد الوهاب من منعه من
الحج خوف القدر به هو صواب محض وأخذ بجانب من الحذر والاستعداد
للمأمور بهما شرعاً وبقي الامام مكسور الخاطر كشيئاً لا يطيب له مقام ولا يهنا
له منام لما أصاب قرّة عينه ونجّة بنيه وان كانت شهادته الفارسية تآبى الا
اظهار التجلد والاصطبار كما قيل

* (وتجلدي للشامتين أريهم * أني لرب الدهر لا أتضع)

الى أن وافته منيته والناس عنه راضون وبحسن سيرته يتحدّثون وقد
قال ابن الصغير في ذلك هكذا * (وان أفلح بن عبد الوهاب لما فقد ولده
أبا اليقظان هذا وعلم أنه قد رفع الى بغداد اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم
يزل مهموماً محزوناً الى ان وافته منيته وابنه معبوس ببغداد اه وذلك سنة
مائتين وأربعين من الهجرة ٢٤٠ وعلى رأي المراكشي في ولايته كما تقدم
تكون وفاته سنة ثمان وثلاثين ومائتين ٢٣٨ وكانت مدته في الخلافة خمسين
سنة على قول ابن الصغير وقال أبو زكرياء رحمه الله مكث في امامته ستين سنة
والياً محسناً واماماً حسن السجية رؤفاً بالرعية لا يخاف في الله لومة لائم اه وعلى
رأيه هذا تكون وفاته سنة مائتين وخمسين ٢٥٠ وبهذا يتضح ان ما قاله المراكشي
من ان وفاته كانت سنة خمس ومائتين ٢٠٥ ليس بسديد لما يلزم عليه من
كون مدته ١٧ سنة فقط وهو باطل لمخالفة الكلام ابن الصغير بخالفة فاحشة

وهو أقرب منه عهداً بهؤلاء الأئمة وأكثر اطلاعاً على أخبارهم وأصح رواية إذ كان من سكان **﴿تبرت﴾** معاصراً للإمام محمد كما سيأتي في كلامه والله أعلم *

* وقد ترك من البنين ذرية صالحة رضعوا من لبان علومه الصفو الزلال والتقطروا من بحور آدابه ومعارفه السحر الحلال منهم العلامة يعقوب الآتي خبره * فكانوا كما ذكره ابن الصغير المالكي في حقهم حيث قال * (وكان لأفطح أولاد قد بلغوا من السن والتجارب والممارسة ما يستحق به كل واحد منهم الإمامة إلا أن الناس لا يرشحون من جميعهم إلا رجلين أحدهما يكنى بأبي بكر والآخر يكنى بأبي اليقظان وبهاتين الكنيتين يعرفان * وكان ابنه أبو اليقظان حسن الحال عند الجميع منسوبة إلى الورع اهـ وقد مر عن علمه ما هو كاف *
 ❦ خلافة الامام أبي بكر بن أفطح ❦

* (رحمهما الله) *

* وبعد وفاة الامام أفطح رحمه الله اجتمع حسب المادة أهل الحل والمقد من نفوسة وغيرهم ممن اتخبوه من العلماء والوجهاء وعقدوا الإمامة لابنه أبي بكر إذ كان هو المترشح لها بعد أبي اليقظان لو كان موجوداً ولما تم أمر البيعة وأعلن للإمامة أنكر بعض الناس ذلك ورأوا أنه غير أهل لها وطابوا نفوسة باستقلالهم بهذا الأمر واختصاصهم بهم سكتوا * وقد تكلم ابن الصغير المالكي عليه وعلى سيرته بما لم يأت به غيره فخذ ما قاله على ماصر من القاعدة فيما نقلناه من كلامه *

❦ قال ❦

* فلما مات أفطح بن عبد الوهاب قدم الناس أبا بكر ابنه وأخبرني غير

واحد قال كان عبد العزيز بن الأوز ينادي بأعلى صوته الله سائلكم معاشر نفوسة اذا مات واحد جمعتم مكانه آخر ولم تجملوا الأمر للمسلمين وتردوه اليهم ليختاروا من هو أنقى وأرضى * فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقاتته فلما ولي أبو بكر لم يكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ولكن كان سمحاً جواداً لين المريكة يسامح أهل الروايات ويشايهم على منزواتهم ويجب الأدب والأشعار وأخبار الماضين وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيماً قسيماً جميلاً جواداً سمحاً وكان قد وفد على ملك السودان (ملك صوصو) بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب فمجب ملك السودان مما رآه من هيئته وجماله وفروسيته اذ اركب الخيل بين يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالبربرية لأن مخرج كلامها انما هو فيما بين القاف والكاف أو القاف والجيم الا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال اه *

❦ مصاهرة الامام أبي بكر لابن عرفة ❦

(وما نشأ عنها من الفتن) *

« ممزوج »

* وكانت لابن عرفة أخت أوبنت لها من الجمال الباهر وحسن الخلقة ما هو مشهور في تلك الاقطار في ذلك الزمان ولأبي بكر أخت كذلك فتزوج كل منهما أخت الآخر فنال ابن عرفة عند أبي بكر المنزلة العليا من الاقبال والجاه حتى صار الرأي في مهمات الأمور كلها بيده فملقته خواطر العامة انيل مطالبتها وقضاء ما ربهها من أبي بكر فكان ابن عرفة اذا ركب من داره يتبعه في ذهابه وإيابه من ذوي الحاجات والدعاوي مالا يحصى من

الناس حتى عاد كأنه هو الامام ولا ذكر لأبي بكر فضاقت لذلك صدور
 أهل الحل والعقد من الرستمين وغيرهم من أرباب الاصلاح ورأوا أن
 ذلك مما يؤدي الى الاستهانة بأمر الامام والى تضييع حقوق العباد وان
 مثل ذلك لم يمهّد في سيرة السلف وربما خيف باستمرار ذلك الحال من
 حدوث حوادث يصعب حل مشكلاتها فغيرت القلوب وتبدلت الأفكار
 من العامة وساءت الظنون بأبي بكر الا انه لم ينشأ عن ذلك ما يكدر راحته
 أو يوجب الاختلاف والتفرق بل بقيت الكلمة محترمة والدعوة واحدة
 والرأي متفق والعمارة زائدة والتجارة راثية وان وقع بعض مشاحنة وتنافر
 بكثرة الأموال والاتباع بين القبائل ولا سيما بين هوارة فانها تحاسدت حتى
 انقسمت فانحاز قسم منها يعرف ببني أوس الى من والا من القبائل الأخرى
 وانحاز القسم الآخر ويعرف بترهنة كذلك الى غيرها وبقي الحال ساكناً
 لا حرب ولا نزاع ولا خروج عن طاعة الامام .

رجوع أبي اليعقظان من بغداد

وتحسن أحوال الامام بأعماله العالية

« ممزوج »

« وفي هذا الاثناء عاد أبو اليعقظان من بغداد فوجد الحال على ما وصفناه
 ولم ينكر على أخيه شيئاً ولم يدع اماره ولم ينتحل خروجا طلباً للسلامة وحقناً
 للدماء بل لم يقنع بذلك حتى انتهى مع أخيه واجب الطاعة والانقياد وشمر
 عن عضد الجد في اعاقته واصلاح شؤون امامته على نسق ما رآه من
 الاجراءات الشرقية وشرح له كل ما شاهده وما سمعه من سياسة ملوك الشرق
 بني العباس وغيرهم وأعمالهم الملكية فارتاح أبو بكر لذلك وكان ميالاً الى

الراحة والرفاهية ولذات العلم والملبس وحب الرياضة فأقبل على أخيه أبي
اليقظان وصرف إليه النظر في الامور وسلم له المقاليد لما ظهر له فيه من الكفاءة
والاقتدار والنصح والامانة وكان شهيراً بالورع والصدق فقبل منه ذلك
بطيب نفس وانشراح صدر وجد في التحسينات النافعة والانشاءات الخيرية
وضبط الامور على اتقن وجه وأسلم نظام *

قال ❦

* وكان أبو اليقظان يركب الى أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه فمن
تكلم اليه من الناس بين المال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظراً
شافياً وأجرى الحق علي من رضي وسخط وعظم قدره وصغر ولم تأخذه
في الله لومة لائم فحمد له الشراة ذلك وحمد له أخوه فعلمه فاذا كان آخر
النهار أتى باب دار أخيه أبي بكر فان وجده جالساً دخل عليه وأعلمه بما
حدث في يومه من خبز وحكم وان ألقاه مشتغلاً قال لمن علم أنه يصل اليه
الى حرمة أقرأ الأمير السلام وقل له أصبحت مدينتك اليوم هادئة * واذا كان
الليل ركب وطاف في المدينة حتى يرتب الحرس ويحكم أمر الدروب ويأمرهم
ان حدث حادث أن يوافوا داره فاذا أحكم جميع ذلك انصرف الى داره فاذا
كان بالعداء غدا الى باب أخيه فان وجده جالساً أعلمه بما كان في المدينة
من حدث ان كان حدث أو هددوا ان كان هددوا * فلم يزل كذلك وعلى ذلك
حتى خلب قلوب الناس واشترأت اليه ومالت نجومه وفي كل ذلك محمد بن
عرفة في دوي وصيت عال لا ينظر أبا اليقظان في حزبه ولا في طائفته
ولا بالناحية التي هو بها ولا ينظر بهيئة له واجلال وحذر * وكان محمد بن عرفة
اذا أتى باب أبي بكر لم يجب كان أبو بكر في مجلسه أو في حرمة وكان أبو

اليقظان وجميع اخوة أبي بكر وأعمامه لا يدخلون على أبي بكر الا بالاستئذان اذا كان في مجلسه والا انصرفوا وكان محمد بن عرفة على غير ذلك آه

* فتوقع أولو البصيرة منه الميل عن مركز الاستقامة والحيادة عن منهج الاتقياد والبروق عن الطاعة ورأوا ان بقاءه على ذلك من دواعي الفتنة ومؤسسات الخراب ولكنهم لم يتوصلوا الى عرض حقيقة حاله على انظار ابي بكر لشدة حجابيه وولوعه به ولا زالوا يترقبون فرصة الوصول اليه لتنبهه الى ان جمع رجال دولته وخواصه ذات مرة للمذاكرة معهم في بعض شؤون مهمة *

✽ مذاكرة رجال الامامة مع الامام في ✽

﴿ شأن ابن عرفة وتنبه الامام لذلك ﴾

(ممنوج) ولما اجتمعوا عنده وخلالهم المجلس ممن لم يدخل في الدعوة اذ كانت رسمية وانتهت المذاكرة عما اجتمعوا لأجله فتحوا مع الامام باب البحث عن احوال ابن عرفة وما هو عليه من العظمة وازدحام الناس عند بابه واتباعهم إياه راثما وغاديا وما يتوقعونه من سوء عاقبة ذلك فاذا الامام يجمل ذلك كله ولا يعلم بشيء مما حكوه عنه فماتبوه على التناقل عن مثل ذلك وعن عدم الاعتناء به والاحتياط لدفع كل ما يحدثه ربما ترزعزع اركان الامامة ويحتل نظام الهيئة الحاكمة وعرضوا عليه مآثرهم من الرأي في ذلك الا أنهم لم يشيروا عليه في ذلك الوقت بالقتل وأظهروا له ما لديهم من الرضاء بالأحوال الراهنة الجارية بحسن مساعي ابي اليقظان الذي صرف عنايته الكاملة وأبدا غيرته الخالصة في موجبات الإصلاح وتسديد الامور *

— ﴿ قال ﴾ —

* فلما سمع أبو بكر ما سمع شق صدره وأراد أن يعلم ذلك ففتح طاقاً في أعلى قصره يقابل الناحية التي يأتي منها محمد بن عرفة فلما كان بالعداء جلس في الطاق فينما هو كذلك اذ تحرك محمد بن عرفة من قصره فبادر الناس اليه من كل جانب ومكان وذلك كله بعين أبي بكر وأقبل وبين يديه أمم وخلفه أمم وعن يمينه أمم وعن شماله أمم حتى أتى الباب فنزل أبو بكر من طاقه الى مجلسه وقدها له مارآه ودخل محمد بن عرفة معه ملياً ثم انصرف وصعد أبو بكر الى الطاق فاذا بالأمم التي أقبلت قد انصرفت وبقي بابها خالياً فتحقق عنده ما قال القائل ثم أرسل الى من ذكر له من أمر محمد بن عرفة ما ذكر فقال له قد رأيت ما وصفت فما الرأي فقال له ان هممت به وأظهرت ذلك امتنع منك وغلب عليك ملكك لأن مطيئته أكثر من مطيئتك ولكن ألطف في أمره آه *

— ﴿ خبر قتل ابن عرفة ﴾ —

﴿ ممزوج ﴾

ثم بعد أخذ ورد في الكلام أشار عليه ذلك المستشار (وبئست الإشارة) بطريقة رأى أنها مناسبة (والله يعلم ما أراد بها) نصح الامام أم غشه (فقال له لاسبيل الى الاتقاء من سوثه وكسر شوكته الا بقتله واخفاء جثته بحيث لا يبقى له أثر ولا يوجد له خبر ويعد مفقوداً لئلا ينشأ عن ذلك التعصب للأخذ بثأره من ذويه وأقاربه وتذاكرا في الطريق الموصل الى ذلك على النعت المذكور ملياً ثم أمره بكتمان السر لاتمام الغرض واقتربا وقد صمب عليه الحال صعوبة لا مزيد عليها لما كان بينهما من الألفة وشدة العلاقة بالمصاهرة

وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى الى أن جزم بامضاء ذلك الرأي وكان له منزله يعرف بجنان الأمير طالما خلا فيه مع ابن عرفة لترويح النفس ورياضة البدن والتنزه في الأيام المناسبة لما فيه من الأشجار الملتفة والأزهار المتنوعة والعيون السائلة والأنهار الجارية وأنواع الطيور فأرسل اليه واحداً من خدمه يدعوه الى الحضور اليه للذهاب الى المتنزه كالعادة ويعلمه بأن لا يبيع بذلك لأحد وأن لا يستصحب معه من الخدم والأتباع أحداً وأنه سيفعل مثل ذلك وأن يكون بحيثه ليلاً حتى لا يتعلق به في طريقه أحد من الأصدقاء والخواص الذين لا يمكنه منعهم من الحضور فبادر ابن عرفة عند ما أخبره الخادم بالخبر ملياً ممثلاً كل ذلك وهو غافل عما قدر له في علم الله تعالى من الهلاك في ذلك اليوم ذاهل من قبل عما دونه الحكماء المتقدمون ورسمه الأدباء والسياسيون في شأن مصاحبة الملوك والسلاطين تحذيراً من بطشهم وتنبهاً الى تقلبات احوالهم فوجد الامام في انتظاره متعباً للخروج فركبا وخرجا ومعهما خادم للامام له علم بحقيقة الحال وكان قد اتفق معه على التمسك به اذا بلغوا المتنزه وساروا الى أن وصلوه وأقاما يومهما ذلك فيه على بساط الموانسة ولسان حالهما يردد عبارات الوداع الى أن دخل وقت المغرب فأسبغا الوضوء وقاما الى الصلاة وبينما هما في اثنائها اذ هجم الخادم على ابن عرفة بحربة فصادت ما بين كتفيه فخر الى الارض ميتاً من ساعته وكان على قرب المتنزه جبل فيه شق غائر في الارض يعرف (بالشفة الحمراء) فأمره بالقاء فيه فزمله في ثيابه وحمله الى أن ألقاه هناك وأخفى فرسه ورجعاً يكتنفهما ستر الليل ففقد ابن عرفة أهله لما بلغهم رجوع الامام ولم يكن معه وباتوا في أشأم ليلة واتصل الخبر ببطائنه وشاع خبر فقده فخرج الناس في اليوم الثاني يجسسون خبره ويتقنون

أثره الى أن أتوا الى المنتزه (وكان من قدر الله ان تناقل الخادم عن دمه
فبقي في المكان ليكون دليلا على مصرعه وداعيا الى رغبة الناس والحرص في
الوقوف على جثته *

(ومهما تكن عند امري من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم)
* ففرقوا حين وقفوا على الدم في الأودية والجبال للاطلاع على
المكان والأماكن الفائرة الخفية ثم دلم بعض أهل الخبرة بالأرض على
الشق المذكور فقصده و أنزلوا اليه رجلا فوجده .

(ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * وإياتيك بالأخبار من لم تزود)
* فأخرجوه وحملوه الى النهر الذي قتل فيه وغسلوه وطيبوه وبمشوا الى
بيته فأرسلوا اليهم فرسه وسيفه وكسوته المخصوصة فألبسوها اياه وقلده
السيف وأركبوه الفرس وركب خلفه رجل ليمسكه حتى يكون على هيئته
التي يكون عليها اذا ركب في حياته وقصدوا به المدينة وأمامه مناد ينادي
بأعلى صوته قائلاً (ألا وان القتل المظلوم يامركم بطلب ثاره ودمه) فبرع لرؤيته
الرجال والنساء والصبيان ولحق الناس في ذلك اليوم من الرعب والجزع
ما لم يلحقهم قبله لما كان له في أعينهم وقلوبهم من المهابة بما قدمه لدى أكثرهم
من الأيادي البيضاء وقضاء المآرب وقد قيل من قبل ﴿ جبلت النفس على
حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها ﴾ وقيل أيضا ﴿ الناس عبيد
الدرهم والدينار ﴾ وقال الشاعر *

﴿ رأيت الناس قد ذهبوا * الى من له ذهب *

* ومن لم يكن له ذهب * فالناس عنه قد ذهبوا *

﴿ رأيت الناس منفضة * الى من له فضه *

﴿ ومن لم تكن له فضه * فالناس عنه منفضة *

ولعمري ان هذه القصة لا شبه شيء بقصة جعفر البرمكي مع هارون الرشيد .

﴿ قيام أهل المدينة ﴾

﴿ للاخذ بشار ابن عرفة وحربهم مع الامام ﴾

« ممزوج »

* ثم عجلوا جهازه ودفنه وهاجت النفوس وكثرت الاقوال في سبب قتله وقاتله واشتد الحيق في الصدور وعظم الخطب وكان في المدينة من الوجهاء وذوي الكلمة رجل يعرف بمحمود بن الوليلي يرى أن قتله ظلم وان القيام لأخذ ثاره واجب وكان له على أبي بكر من الانكار ما كان فانهز الفرصة اذ وجد للقصد سبيلاً فأرسل رسله الى مجتمع الناس يتعرف أحوالهم ويتحقق ما هم عليه من الرأي فأخبروه بأن الشقاق في الناس قد بلغ منتهاه وان الثورة لم تتوقف الا على محرك ورأس يمان بذلك فأمرع الصعود الى موضع بأعلى المدينة يعرف بالكنيسة وقبر الطبل الاجتماع فبادر الناس اليه من كل الأطراف ليعودهم بضرب الطبل الاجتماع في (المهمات وهو قصعة كبيرة من الخشب أو النحاس مغطاة بجلد بعير بعد خدمته خدمة مخصوصة حتى يكون كالرق ومثي ييس وضرب بمقال من وبر أو ما أشبهه صار له صوت يسمع من بعيد على مسافة أربع ساعات وأكثر وأقل * هذا ان كان على النعت الموجود الآن عند رؤساء القبائل من البوادي والقرى الكبيرة من جبل نفوسة وغيره ولهم في ضربه طرق معروفة عندهم يستدلون بها على المقصد من ضربه في مجرد سماع الواحد منهم صوته يعلم

أن المراد خير أو شر كما يعلم النفر العسكري في الحرب الأمر والهمي من رئيسه بالموسيقى والبوق وما أشبه ذلك *

قال ❦

* فأمرهم بأخذ السلاح والزحف إلى أبي بكر وحربه واتصل الخبر بذلك بأبي بكر فبادر إليه خاصته من الرستميين والسمجيين وغيرهم قهياً للملاقاتهم وزحف الناس من أعلى المدينة من ناحية المشرق وزحف حزب أبي بكر وشيعته وخاصته من المغرب ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والبيض والرايات حتى اجتمع الناس جملة إلا اليسير بموضع بمسجد أبي فلم تزل أيد تطاير وأرجل كذلك وهامات تقلم وأفرغ على الفريقين الصبراه * ❦ * فغنم المعجم فرصة الوثوب لما كن في قلوبهم قديماً من الغل وقالوا مالنا وللسكون والدعة وقد وقع بين الجند والعرب ومواليهم وبين السلطان ما تراه من الاضطهاد والحروب وما ذا يصدنا مع هذا الاشتغال ببعضهم عن الهجوم على طرف من أطراف المدينة فنهبه ونخر به ونقتل كل من عارضنا فيه ثم نميل إلى الكل فهلكهم عن آخرهم ويصفو لنا البلد ونستقل بالسلطان فقصدوا الناحية المعروفة بموقف الدواب وكان أهلها في استعداد وحذر مما أضمره المعجم فهازموهم القتال وحمي الوطيس وقامت الحرب على ساق وقدم في سائر أنحاء المدينة بين المعجم وبين مقابلهم * وبين الجند والعرب وبين أبي بكر واستمرت الحال إلى أن سقط واحد من وجوه المعجم فتقدم من رام إيقاف ثيار الحرب إليه فخر رأسه وبرز به إلى الميدان منادياً (يا مشر الجند والعرب تقتلون أنفسكم والمعجم قد دخلوا عليكم ساحتكم يقتلون رجالكم ويستحيون نساءكم ويستحلون أموالكم) ثم ألقى الرأس بين الصنفين فلما

نظروهم وعرفوه ألقوا السلاح وتماثقوا وعادوا يداً واحدة في الحال ومالوا نحو العجم فأبلوهم البلاء الشديد حتى ولوا منهزمين وانحاز أبو بكر إلى داره أخذاً طريق الانفراد لأمر ولا نهى ولا حكم وقد تشاءم الناس منه *

﴿ تجنب نقوسة وأبي اليقظان ﴾

* (لهذه الفتنة) *

* (ممزوج) *

* وفي كل ذلك أبو اليقظان معتزل في المحل المعروف بمدوة نقوسة لا يظهر ميلاً إلى أحد وإن اتهمه الجند والعرب بالميل إلى غيرهما وكذا نقوسة لم يدخلوا في أمر هذه الفتنة بقول ولا فعل كما أبي اليقظان وبقيت الحرب متحركة بين العجم وبين الجند والعرب خاصة يتبادلان النصر والهزيمة فتارة لهؤلاء وآونة لأولئك إلا أن الجند متى تغلبوا على جهة وخرج أهلها من ديارهم أبقوها على حالها ولا يغيرون منها شيئاً إلى أن تغلبوا ذات مرة على جهة بجوار درب النفوسيين فيها بعض نقوسة وكان مع الجند والعرب خلف الخادم مولى الأغلب وهو ذو مال عظيم لا يرضى به في إعانتهم كلما احتاجوا فصار متبع الرأي مسموع الكلمة عندهم فقال لهم ما أراكم صنعتم شيئاً إذا أبقيتم الديار بدون إحراق فأضرموها حينئذ ناراً والعياذ بالله *

﴿ جرب نقوسة وأبي اليقظان ﴾

« مع أهل المدينة »

﴿ ممزوج ﴾

* فأخذت النيرة نقوسة وغضبت لذلك وقالت هذا جزاؤنا منهم إذ لم تعرض لحربهم فلم يقنعهم إلا إحراق ديارنا واستحياء حريمنا وكأني بهم

ولسان حالهم ينشد قول الشاعر *

(ومن لم يزد عن حوضه بسيفه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم)
 * فعندئذ قامت قيامة نفوسة وتمصبت للمدافعة عن حرما وحماية مجاورها
 وضمت المعجم اليها ودعت أبا اليقظان في مكانه الى المواقفه على ذلك فأجاب
 واتحدت الكلمة وتقوت العصبه بانضمام المعجم والرسميين وأبي اليقظان
 الى نفوسة وتجددت الحروب وتوالى المصادمات وكانت وقائع يشيب لشدة
 هولها الرضيع كانت الدوائر فيها لنفوسة والمعجم على الجند والعرب *

❦ قال ❦

* ثم كانت بينهم وقائع كلها للمعجم ونفوسة على العرب (منها) وقعة تعرف
 بقنطرة الدقنس (ومنها) وقعة تعرف بقنطرة سليس وفرغ في هاتين الوقعتين
 وجوه العرب وصنا ديدها ثم كانت (وقعة) تعرف بيوم ❦ الرد المموج ❦
 وأما سمي الرد المموج فيما ذكر أن (نفوسة) أخذ بعضها على بعض العهد
 وقال بعضهم لبعض كيف يجوز لنا الفرار من الزحف قالوا فما وجه الرأي
 قالوا أن نضم أرجل بعضها الى بعض بالحبال وثبتت للحرب فكما دارت
 الى ناحية درنا معها بوجوهنا ولا نبرح من أمكنتنا حتى تقطع السيوف في
 هاماتنا فكان في ذلك اليوم قتال لم يتقدم قبله قتال مثله فكما دارت الحرب
 على ذلك الرد دار اليها ودار معها حتى افترق القتال وهو على حاله اه *

* فله نفوسة من رجال وأبطال * ولم يخل الله الأرض حتى الآن من
 رجال منهم ملؤا يقيناً وإيماناً فهم مثال الشجاعة والاقدام لوضعتهم المحافل
 وأظلتهم ظلال الرايات الحميدية وسط تلك الماعم الأدهمية وأشباهاها لكان
 لهم الفخر المقدم والعصيت الأسمى ولكان حاديتهم يترنم بدون خجل ولا

وجل وهو يسوقهم الى تلك الميادين بيت الشاعر القائل *
 (واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطع الاوائل)
 * ولما نصر وامن درجة أولئك ان لم يجاوزوها بأصعاف وبالامتحان يكرم
 المرؤ أو يهان * (ومن يشابه أبه فما ظلم) *

﴿مزوج﴾ ثم مع استمرار الحرب وتتابع الوقائع عكس القضاء المبرم الأمر وعاد
 النصر حليف الجند والعرب والتفقر والضعف زميل نفوسة والعجم (سنة
 الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا * وتلك الايام نداولها
 بين الناس * وما النصر الا من عند الله * حتى أجلوهم من الامصار واضرموا
 في ديارهم النار وذهب كل ملتجأ الى حيث ينجو من القتل ثم انحازت نفوسة
 والرستميون والعجم مع أبي اليعقظان الى المحل المعروف بمدوة نفوسة وبنوا
 فيه حصناً منيعاً مشيداً يؤولون اليه ابان تضايقهم من عدوهم نفلاً للجند والعرب
 الجو وخلصت لهم المدينة وواسع البسائط وكثرت اتباعهم وعظم جيشهم
 وكان فيهم من عظماء التجار والاغنياء عدد منهم أبو محمد الصير في وابن
 الواسطي وأمثالهما ممن حركتهم الغيرة القومية والحمية الجاهلية بخادوا بما
 لديهم من الاموال وأمروا ببناء حصن يقابل حصن نفوسة ويضاهيه في
 المنعة على بعد رمية سهم منه فشرعوا فيه على صفة نهر يعرف بالنهر الصغير
 وهو الحائل بين الحصنين فوالت عليهم نفوسة والعجم الهجوم لصددهم عن
 البناء فاشتغلوا بالعمل ليلاً وربما جعلوا في النهار سترًا عن العملة يردعهم سهام
 نفوسة واجتهدوا فيه الى أن تم على النحو المطلوب من القوة والمنعة ونزلوه واشتد
 اذ ذلك بأسهم وتقوت شوكتهم وناصبوهم الحرب نجرت بينهم مفاخرات
 وملاطحات وعادت الحرب رياء وسمعة ونبتت في الفريقين ابطال وفرسان

وتمازت الاغنياء والتجار في صرف الدينار والدرهم على شراء السلاح وآلات الحرب للمستحقين *

—(قال)—

أخبرني بعض المشايخ قال عبت نفوسة والعجم ومن لف لفهم بين يدي حصنهم وعلى حصنهم فبرز رجل من العجم يقال له ابن وردة ويده سيف ودرقة وكان قلما يلقى قرناً الا قتله فنادى هل من مبارز فراهبه الناس آه

* ثم مع استمرار الحرب والزمن دوار * والقادر الخالق مختار * بفعل في ملكه ما يشاء ويختار * أخذ دور نفوسة والعجم في الانحطاط وجوعهم في القلة وأحراهم مع عدوهم في انتقم الى أن بارحوا حصنهم عوة يحنون اليه ويبتنون من فراقه واتخذ كل وجهة متفرقين في الجملات طلباً للنجاة *

(واذا الديار تنكرت عن حالها * فدع الديار وأسرع التحسويلا)
(ليس المقام عليك فرضاً لازماً * في بلده تدع العزيز ذليلاً)

—(قال)—

* قالوا ان العجم ونفوسة والرستميين لما نزل بهم ما نزل فترقوا في أقاصي البلاد فنزلت العجم بموضع يقال له (تانفيات) وهي على مرحلتين من (مدينة تاهرت) وأما الرستمية ومن لف لفها فالتحقوا بأبي اليعقوبان بالموضع الذي يقال له (اسكيدال) وهو بقبلة تاهرت على مسيرة اليوم أو أزيد قليلا في مجمع الأبنية وأما نفوسة فنزلت بقلعة مائنة يقال لها اليوم (قلعة نفوسة) آه

—(خروج الامام واستيلاء ابن مسالة على المدينة)—

* (ممزوج) * هذا * وحال أبي بكر في المدينة لا يزال في ضعف

وإدبار لا يقيم ظالماً ولا يجير مظلوماً ولا يقيم حداثاً ولا يغير منكراً ولا ينجي ملتجئاً إلى أن ضاق به الحال وقلت أنصاره وتوقع الهلاك فخرج بمن معه نجياً إلى حيث لا يصاب ولا يدرك (هكذا هاهنا وقال أبو زكرياء سلم لأخيه محمد وقال المراكشي أخرجوه ثم ردوه إلى أن مات) والظاهر أن مدته كانت قصيرة جداً لم تبلغ سنتين والله أعلم *

* فاستولى على المدينة محمد بن مسالة وهو أمير مستقل عن تهرت أباضي المذهب يدير شؤونها ويدبر أحوالها على حسب ما يراه مساعداً لأغراض الإمامة والكثير * وأخذت الهدنة في الناس مأخذاً صار به كل مستقلاً بجهة أخذاً حذره مما يطرأ عليه من مقابله غير متشبث بما يثير شرر الحرب فهدأت الحركات ووضعت الحرب أوزارها وكاد يقع في الخواطر مثل إلى حب الألفة والاجتماع مالملاً وسامة من وطأة الشقاق وبينما هم كذلك إذا تحركت بين هوارة ولواتة بعض تلك الصنائع الكامنة في الصدور منذ عهد قديم فشبت بينهما نار الحرب وعلا لها فاعان أهل المدينة هوارة حتى أجلاوا منها لواتة رغمًا عما قاسته في أثناء تلك الحروب الشنيعة من الأهوال وما تكبدته من المشاق ولاقتة من الخسائر في الأموال والرجال فنزلت حصنها المعروف بحصن لواتة على قرب من الموضع المعروف (بتاسلونت) الذي منه تتبع عيون نهر مينة الجاري من قبلة تاهرت الذي نصبوا عليه المطاحن وخاطبت أبا اليقظان على النزول بجوارها والدفاع عنها فأجابها إلى ذلك وتحول إليها *

— (خلافة الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح رحمهما الله) —

* ولما بلغ أهل المدينة انتقال أبي اليقظان إلى حصن لواتة خرج وجوها

وأهل الرأي منها الى لواته وأتفقوا معهم على تقديمه ثم أتوه وبايعوه بالخلافة وذلك سنة احدى وأربعين ومائتين ٢٤١ من الهجرة تقريباً *

* (قال ابن الصغير) * وكان معه بعض الأموال التي أتى بها من بغداد والمدينة بها رجال هواؤهم وقلوبهم عند أبي اليقظان فخرجوا اليه فصارت الدعوة والامامة كلها لأبي اليقظان وأتمه الأباضية من كل الاقطار وبقي بالمدينة أتم ممن هم لا يوالون أبا اليقظان ولا يبرؤون من رأيه ويوالون محمداً ابن مسالة على عماية لا على الديانة فتجدت الحرب وعادت جذعه وحمل أبو اليقظان الناس على الخيل ودعي له بالامارة والامامة والنبي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة آه * (ممزوج) وما سمعت القبائل الأخرى حتى أتت لتقديم البيعة من كل الاقطار قبلها * وقام خطيباً فرغب الناس في الاعتصام بحبل الله لحقن الدماء وحفظ الآمال التي طالما درتها رياح الظلم والاستبداد وسفكتها سيوف الطاعين ووالى الهجوم والثوب على المدينة فاستمر الحصار على من تحصن فيها وعصى من أتباع ابن مسالة (سبع سنين) حتى ضعفت الأقوياء وأولو الثروة الذين كانت عليهم مدار رحا الحرب وفيت تلك الأموال ودكت تلك الابطال وعمت المصائب وكثرت الأهوال وكره الناس الحرب والفتنة وملوا من الحصر وشكا بعضهم لبعض ما حل بهم من الفناء والفقر الا أن النفوس الميالة بطبعها الى الشر تآبى الخضوع وتأنف من العدل وتميج طالب الصالح والرجوع الى الطاعة غواية وعناداً (ان النفس لأماراة بالسوء الا مارحم ربي) *

— (طلب الامام للزعانة الحرية من جبل نفوسة) — *

* (ممزوج) ولما رأى أبو اليقظان استمرار الحال مع طول الزمن رأى

أن يأتي بجده الامام عبد الوهاب ويحذو حذوه في الاستعداد من نفوسة
الجليل فاستنجد بهم فأمدهم مليون دعوته ممتلئين أمره بجيش عرمرم جامع لكل
بطل همام وأسد ضرغام وما هم بقليلين عندهم في ذلك الوقت .

﴿ قال ﴾

* ولما وصلوه جددوا له البيعة وعقد وهاله وانه لما نزلت (يعني نفوسة
الجليل) بأبي اليقظان اجتمع الى أبي اليقظان جمع عظيم فرحل بجميع جموعه
من نفوسة وغيرهم حتى نزل بالقرب من مدينة تهرت فلما نزل منزله قالت
نفوسة لا تقا تل حتى نرسل الى اخواننا وننذرهم فان فاءوا ورجعوا الى الطاعة
كانت أيدينا وأيديهم واحدة وان أبوا من ذلك نزلنا معهم على حكم
الله * قال افلوا فقلوا فأرسلوا رسلهم وخوفوا الناس سوء العواقب ووجدوهم
قدموا الحرب فقالوا لرسامهم قد تقدمت فيما يبتئاد ماء وأموال لا منا ولا منهم
ونخشى ان يؤخذ الباقي من الغابر فان كان عقد وصالح على أن لا يتبع أحد
بدم ولا مال فسمع وطاعة * قال فأعلمت نفوسة أبا اليقظان بما قالت لرسامهم
فقال معاذ الله ان نأخذ أحداً بما سلف ولا أخذ الا بمستقبل فاعطوهم على
هذا ما أحبوا من اليهود والمواثق قال ثم خرجت طائفة من عسكر أبي
اليقظان حتى اجتمعت مع طائفة من أهل المدينة فمقدوا ذلك فيما بينهم فقالت
(نفوسة) نحن انما جئنا لاصلاح يرضتنا وتاليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت
لطالب علو في الأرض ولا فساد فرحل أبو اليقظان بعساكره حتى أتى الظاهر
المشرف على المدينة المعروفة (بقلعة نفوسة) ف ضرب بها مبرادة الذي قدم بها
من بغداد قالوا ولم ير سراق مضروب قبله وانما كانت مضارب وقباب *
* ثم ان أهل المدينة عمدوا الى داره التي هدموها وكانت مزبلة من

المزابل وكبدية من الكدى فكئسوها في يومهم ذلك فابتنوها في أسرع الأيام * فلما فرغت نزلها أبو اليقظان ورفع مضاربه ونزل الناس المدينة اه * فنادى مناديه في الناس بالآمان وولى وظيفة القضاء بعد استشارة أولى الرأي العلامة الزاهد الورع التقي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وستأني له حكاية معه * وعلى بيت المال رجلاً من نفوسة وقدم على منبر مسجده من ارتضاه من صلحاء الأئمة العاملين *

﴿ قال ﴾

* ثم أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قالوا فإن رأوا قصاباً تفخ في شاة عاقبه وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها وإن رأوا قدراً في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكمنه ولا يمتعون أحداً من صلاته في مساجدهم ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعاً يديه في صلاته خلا المسجد الجامع (المسجد الذي يصلي فيه الامام نفسه) فاتهم إذا رأوا فيه رافعاً يديه منعه وزجروه اه ولعلمهم يفعلون ذلك بدون اذن من الامام ولم يبلغه الخبر والله أعلم *

* وثابر رضي الله عنه على اصلاح ماثلهم في اثناء تلك الحروب حتى عادت الناس الى خطة سيرها القديم في سبيل العارة والتجارة والبنان واشتغلوا بطلب العلوم وقضاء ما فاتهم في فترة تلك السنين القاسية التيمسة من العبادة نادمين على ما اجترموه فيها من السيئات وما أضاعوه من الامول وما سفكوه من الدماء عبثاً وطمعاً وكاتب الامام بعد اصلاحه الشؤون الداخلية رؤساء سائر اتباع الامامة في كل الجهات فأتت طائفة خاضعة وقدمت اليه برضاء فرتب

الولاية والعمال والحكام والقضاة وأصحاب الشرطة في الولايات كلها وأسرع
السير في التقدم في الإصلاح ديناً ودنياً حتى أجمع الناس قاطبة على حبه
وولايته والرضاء بأحكامه وبلغ في الفضل والعدل والورع والزهد مع حسن
السيرة مبلغاً عظيماً استحق به تشييه ولايته بولاية جده الامام عبد الرحمن
رضي الله عنه اذ كان كمثل في الاتفاق على ولايته واشتغل رحمه الله بتجديد
ما تدبر من الدين بكمال جد واجتهاد يباشر القاء الدروس وتعليم العلوم
لطلالين بنفسه طلباً للأجر وقياماً بالواجب وترغيباً للغير فشدد اليه الرحال
من كل الاقطار فتلذذ الواردين عليه من جواهر فنونه وغرائب علومه
العقود الثمينة وكانت له اليد الطولى والقدح الممل في سائر الفنون حتى صاروا
قادة ومصاييح يهتدى بهم في الآفاق في دجي المشكلات ويلجأ اليهم في
المضلات وامتلاّت عموم ولاياته بالعلم والعلماء والزهاد وأصحاب الكرامات
خصوصاً جبل نفوسة كما هو مبسوط في كتب السير كلها ومع ذلك لا يفر
عن الاشتغال أوقات خلوته واستراخته من التعليم ومصالح دولته بالتأليف
والتحريير ومكاتبه المال والولاية وجموع الرعية بالنصائح المرشدة والحكم
النفيضة والرد على المخالفين من سائر الفرق والمذاهب حتى انه ألف في
الاستطاعة وحدها أربعين كتاباً ومما يوجد من رسائله هذه النصيحة العامة

﴿ رسالة الامام الى جميع رعيته ﴾

« ارشاداً ونصحا »

* ولما أحسن من الناس بعض فتور وتقاعد عن الواجب اقتدى بآبيه وأجداده
الكرام أهل النصيح لله والارشاد الى دينه فحرر نصيحة عامة تليت بواسطة
العمال في جميع الجهات ايقاظاً للنفوس الغافلة وتنشيطاً للهمم الخاملة فخذها أيها

القاري وهي قليل من كثير مما كتبه رحمه الله في هذا الباب لتستدل بها على بعض ما كان لهذا الامام العظيم من الاعتناء بمصالح الملة والامة وواجب النصيحة في الدين لآخوانه المسلمين جزاء الله عن الاسلام واهله خيراً قال .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾
 ﴿ من محمد بن أفلح ﴾ الى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين * سلام
 عليكم واني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأسأله الصلاة على نبي الرحمة
 وهادي الامة صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ أما بعد ﴾ فان أفضل ما
 يترواى به العباد ويتحاضوا عليه تقوى الله تعالى ولزوم طاعته والزجر عن
 معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب والعمل الصالح
 (وعليكم معاشر المسلمين بالتهيء للقدوم على الله والتأهب والاستعداد ليوم
 تشخص فيه الابصار وتتغير فيه الألوان ويشيب فيه الولدان وتذهل كل
 مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
 بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ واعلموا ﴾ رحمكم الله ان أهل العلم بالله
 القائمين بهذه الدعوة قد اقرضوا وقلت الخلف منهم فرحم الله أمراً مسلماً
 احتسب بنفسه وأرصدها لله في طلب العلم والنقض على من حاد الله وعدل عن
 منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاد المحقين من عباده حتى تكون
 كلمة رسول الله هي العليا والباطل زهوقاً ﴿ وعليكم معاشر المسلمين باتباع
 الماضي من أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم
 فاقفوا آثارهم واهتدوا بهداهم واحذروا الزينغ عن طريقهم والميل عن
 منهاجهم * وخالفوا أهل البدع المضلة والأهواء المزلّة ممن أراد أن يبدل
 دينكم ويلبسكم شيعاً ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان

ونبذ ما جاء به القرآن فألبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم فخذع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى عليه الاثمة الراشد، رحمة الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأضل كثيراً وضل عن سواء السبيل وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية ان شاء الله وبه نستعين وعليه توكل وما توفيقنا الا بالله اه * وقد تكلم على بعض سيرته المؤرخ ابن الصغير المالكي وأجاد في ذلك فخذة على القاعدة المتقدمة أيضاً *

قال

* وكان أبو اليقظان عاش من السنين مائة أو نحوها وكان عمره في امارته نحواً من أربعين سنة ولحقته أنا بعض امارته وأيامه ورأيت وحضرت مجلسه وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي منه ورأيت يوماً ثانياً في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من أديم (جلد) فجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس وكان ربيع القامة أبيض الرأس واللاحية وكان اذا جلس للناس وأمرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه الا أن تكون ظلامه ترفع اليه وكان زاهداً سكيناً ورعاً ناسكاً (مأحسنها من شهادة) وكان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أديم مستقبلاً الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس اليها ولم يكن غيره يجلس اليها وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فناس وكان عندهم من الورع بمكان ويلى عيسى رجل من هواره يقال له ابن العقير لسانهم في الفقه ولم يكن في ورع عيسى وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس وكان أخص الناس به رجل من العرب يسمى بمحمود بن بكر * وكان مدرتهم الذي يذب عن يضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق مقالاتهم ويؤلف الكتب

على مخالفتهم رجل يقال له عبد الله بن المظلي اه (وانا لتأسف كثيراً جداً فقد
مثل هذه التأليف فلو وجدت مع ما جمع من المناظرات الواقعة مع المعتزلة
للملأمة مهدي وغيره لكانت خبذة بالغة والأمر لله) *

﴿ اجتماع الأباضية والمعتزلة ﴾

﴿ للمناظرة ﴾

* « قال » أخبرني أحمد بن بشر عنه قال لي اجتمعت الأباضية والمعتزلة
بهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة وكان كثير من هوارة ممن حضر
المجلس يتسمى بعبد الله بكسر الدال وكذا اسم هذا الرجل ولما اجتمع القوم
وضمهم المكان نادى رجل من المعتزلة يا عبد الله بكسر الدال فأجابه رجل
ثاني فقال لست أريد * قال عبد الله وقد علمت أنه أيابي يريد فكرهت أني
أجيبه خوفاً من سؤاله * فقال عبد الله بن المظلي أريد * قلت لييك * فقال
لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان أنت فيه * قلت لا
فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه * فقلت
إذا شئت فعلت * فقال خرجت منها يا عبد الله *

﴿ حكاية العلامة أبي عبيدة ﴾

﴿ الأعرج مع الامام وأخباره ﴾

« رحمه الله »

* « قال » وكان منهم رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج كلهم مقرون
له بالفضل مستلمون له في الورع * اذا اختلقوا في أمر من الفقه أو من
الكلام صدروا عن رأيه * وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فمأ رأيت
في سود الرأس أخشع منه وكان قليل الدخول على أبي اليتقان ولم يكن

يجمعه واياه سوى المسجد الجامع فحدثني أحمد بن بشر قال ضرب أبو اليقظان
 سرادقه لحدث أراد به وبرز بنفسه الى سرادقه قال وعلم الناس ذلك فخرج
 اليه الفقهاء والقراء وضربوا أخيتهم حول سرادقه خلا أبا عبيدة قال فيينا
 الناس ذات يوم جلوس اذ أقبل أبو عبيدة راكباً على دابة فقال الناس هذا
 أبو عبيدة قد أقبل متفقداً للأمر مسلماً عليه قال فأعلموا بقدمه أبا اليقظان
 فلما دخل عليه أدناه الى نفسه فقال ما جاء بأبي عبيدة اليينا متفقداً أم مسلماً
 أم ماذا فقال أصلح الله الأمير ما جئت متفقداً ولا مسلماً غير أن لي جارة
 خرج ولدها البارحة في طلب معاش له ولها فأخذته المحروق صاحب حرسك
 وحبسه فأنتني الغداة باكية شاكية تسألني ان أسألك في اطلاق ولدها فأمر
 بأن يطلق كل من حبس تلك الليلة (ممن لاحد عليه ولاحق للناس) اجلاً
 لأبي عبيدة ثم سلم وانصرف ففجب الناس من صدقه وتركه التصنع واظهاره
 على لسانه مأسراً في قلبه * وكان أبو عبيدة هذا عالماً بالفقهاء والكلام
 والوثائق واللغة وكان مع ديانتته حسن الأدب والمروءة أتيت يوماً أسمع
 كتاب اصلاح اللغة الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة على أبي عبيد فلما
 افتتحت قراءته وقلت لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستنفر من
 ترجمته ويربأ بأبي عبيد عن الذلة فقال لي ويربأ بأبي عبيد بهمن الوصل وضم
 الألف وانما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة فلما قرأت من
 الكتاب مثل ورثة أو أزيد أمه قوم فقالوا يا أبا عبيدة شهادة ياجرك الله عليها
 فأخذ نعله وعصاه ثم قام مع القوم فلما كان اليوم الثاني أتيت فلما قرأت ما قرأت
 بالأمس أنه قوم فقالوا يا أبا عبيدة شهادة ياجرك الله عليها ففعل مثل ما فعل
 بالأمس ففقت معه وقلت أصلحك الله ان لي بالرهانة دكاناً أبيع فيه

وأشترى أنكره وآتي اليك فيأتيك الناس فتشتغل عني لا أنا في دكاني ولا أنا في مقابلة كتابي فسكت فلما كان بالنداء أتته كما كنت آتية فيها قرأت بعض جزئه أتاه أناس فسألوه كما سألوه قبل هذا فقال ان هذا اليوم لهذا الشيء فان أترككم على نفسه وأذن لي سرت بكم فلما رأيته ذلك قلت يا سيدي ولا كل هذا سر اذا شئت أو أقم * وانما ذكرت هذا لأدل على مروءته وحسن أدبه * وكان المغرب كله مفتوناً بهذا الرجل حتى ان من كان من الأباضية ونفوسة يبعثون بزكاتهم اليه يفرقها حيث شاء *

شدة تعلق نفوسة بهذا الامام ❦

*(قال) *

* وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان وكان أكثرهم لا يمحج الا بأستئذانه وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منه وكان اذا ضرب سرادقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فساطيطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الى الفجر فاذا صلبوا الفجر معه ضربوا بأنفسهم الى الأرض فناموا اه (جازى الله عنا ابن الصغير خيراً على شهادته بالحق ولو علمنا قبره لشهرناه وزرناه وتصدقنا عليه) *

ولاية أفصح بن العباس على جبل نفوسة ❦

❦ قال ❦

* وان أبا اليقظان لما استقام له ملكه وأتته وفود نفوسة ليقدم عليهم أميراً من أنفسهم فأتزلهم في دار الضيافة فقال اكتبوا اسماءكم كلكم وارفعوها الي وأمر الكاتب أن يكتب السجل (القرمان) ويقي يياضاً لموضع المقدم فلما رفع الكاتب الكتاب اليه كتب بخط يده اسم المقدم

وطواه وطبعه ولم يعلم أحد من الناس من قدم ثم جنج القوم وقال لهم
هاكم السجل ولا تفتحوه الا بجمل نفوسة اذا بلغت منازلكم (وقد تقدم
أن والده أفلح صنع هكذا مع سعد ونفات) فأخذ القوم السجل وقد اغتموا
اذ لم يعلموا من المتقدم عليهم ثم دخلوا على حمود بن بكر وكان من الخاصة
بأبي اليقظان فسألوه فقال لهم لا أعلم بما فيه ثم دخلوا على عيسى بن فناس
فأجابهم بمثل ما اجابهم به حمود ثم لم يزالوا يدخلون على واحد بعد واحد من
الاباضية ويسألونهم فيخبروهم بأن لا علم لهم فلم يزالوا كذلك الى أن مروا
بعبد العزيز بن الأوز وكان له فقه بارع ورحلة نحو المشرق ولكنه سفيه
اللسان خفيف العقل ينزهون مجالسهم عن حضوره ولا يستفتون عنه في
معضلات مسائلهم فما شعر أن دخلوا عليه فقال ما بالكم وما جاء بكم فقالوا
فرحنا بشيء واغتممنا منه قال وما ذلك قالوا فرحنا بتقديم الامام لنا واغتممنا اذ لم نعلم
من قدم علينا قال أولم تعلموا من قدم عليكم قالوا لا قال قدم عليكم أفلح بن العباس قالوا
ومن أعلمك بذلك قال أبو اليقظان قال فخرجوا من عنده فاتوا حمود بن بكر
وعيسى بن فناس فقالوا لهما مكانكما من الامام مكانكما ومكاننا منكم مكاننا
فكتمتا المقدم علينا حتى أخبرنا به من هو دونكما فقالا والله ما علمنا الا كعلمكم
فن أخبركم قالوا عبد العزيز بن الأوز قالوا ومن أخبر عبد العزيز قالوا أبو اليقظان
قال فخرجوا يجران اريدتهما حتى دخلا على أبي اليقظان فقالا أنت أعلمت
عبد العزيز أن المتقدم في سجلك على نفوسة أفلح بن العباس فقال لا قال فقد ذكرت
نفوسة انك أعلمته بذلك دوننا ودون غيرنا قال أو قال ذلك المجنون قال
نعم فنادى يا بشير خذ معك اعوانا أكفيا وجئني بعبد العزيز شر محبي
ثم قال ادخلا على نفوسة واجلسا حتى يأتي المجنون قال فما شعرنا ان جيء به

قال من أعلمك يا مجنون أتى قدمت على نفوسة فأفطح بن العباس فقال أنت أعلمتني
قال في اليقظة أم في النوم قال لا ولكن في اليقظة قال وكيف ذلك قال رأيتك إذا
سمي لك رجل منهم اتقبض ما بين عينيك وإذا سمي لك أفطح انبسط ما بين عينيك
فعلمت أنك أياه تريد فقال خليا عن المجنون فقد كشف سرنا فلم تزل أيام أبي
اليقظان لا ينعم عليه شيئاً أحد مما ولي من أفعاله * ما خلا أولاده فاتهم ربما
خرجوا عن الواجب من أفعالهم اه *

— حكاية القاضي مع الامام —

*(وتركه القضاء) *

* كان أحد أولاد الامام علي ما رواه ابن الصغير غير محمود السيرة
(والكمال لله وحده) وكان العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ
قاضي الامام حزيما في الأمر جريئاً على تنفيذ أحكامه غيوراً على الحقوق
وقد صدر من ابن الامام المذكور ما يوجب عليه الحد الشرعي ولم يصل
القاضي الى اثبات الفعل عليه لعدم اليقظة بعد أن استعمل كل حيلة في الوقوف
على حقيقة الأمر فقدم استغفاه وترك القضاء لما عجز عن الاثبات مع تحققة
عنده * وقد ذكر ابن الصغير تفصيل الحكاية فخذها من كلامه باختصار قليل

— (قال) * —

* فلم يزل قاضيه محمد بن عبد الله يأمر بأمر أبي اليقظان وينتهي الى
نفيه لا تأخذه في الله لومة لائم الى أن حدث حادث فأصبح بالغداة فرمى
اليه خاتمه وقطره وقال له ول على قضائك من تريد فقال له ما بالك وما
عراك فقال ما نعمت عليك شيئاً ولكن نعمت على ابنك فقضب أبو اليقظان
مما استقبله به ولم يرد عليه شيئاً وكان للقاضي حاسدون ومبعضون فلما انصرف

من الامام قال لمن حوله اذا كان بالامدة امضوا الى محمد واسألوه على ما نتم
 علي وعلى من نتم لنزجره عما كان منه قال فقدموا اليه فأعلموه فقال لهم
 دعوني من هذا والله ما وليت له قضاء أبداً فالصرفوا عنه وقد وافق ذلك
 سرورهم لحسد من اياه وبغيتهم عليه وأتوا أبا اليقظان وقالوا اصلح الله الأمير
 الرجل به حق وجفاء ولك في المسلمين من هو أنفع للمسلمين منه فلم يزالوا
 به حتى صرفوه عنه وولوا القضاء رجلاً يقال له شعيب بن مدمان فقلت يوماً
 لسلیمان مولى محمد بن عبد الله القاضي ما السبب الذي كره به محمد بن عبد الله
 القضاء حتى ألقى الخاتم والعمطار وحتى شافه أبا اليقظان بما شافه به فقال نعم أخبرك
 والله يا بني بينا نحن ذات ليلة جلوس بعد العشاء الأخيرة وكان كثيراً ما يؤثرني
 بمواجبه على غيري فبينما نحن كذلك اذ دق علينا الباب دقاً عفيفاً فقال لي
 يا سليمان قم فإني خشيت أن يكون حادثاً من قبل السلطان ففتحت الباب فاذا
 بجارية منبهة ومعهما صقاي معه سراج قال فقلت ما بالاك أيتها المرأة فقالت
 القاضي أريد فرجمت اليه فأعلمته فقال لي أدخلها قال فأدخلتها فلما مثلت بين
 يديه قال لها ما بالاك أيتها المرأة وما جاء بك هذه الساعة فقالت نعم دخلت
 الساعة خدام من قبل زكرياء بن الأمير وأخذوا ابنتي من بين يدي فقلت
 لا بني قم فاتبهم فقال أخاف أن يقتلوني أو يدسوا علي عاملاً من عمالهم
 فيقتلني قال فسقط كالمنشي عليه ثم أفاق فقال لي يا سليمان قم ثم قام فقال لي
 خذ السراج ولا يشعر بك أحد وتقدم سيفاً واءطني عصاي قال ففعلت ثم
 قال أخرجي أيتها المرأة فخرجنا ثم قال لها الى اين تظنين يقصد بابتك فقالت
 الى دار (الركات) قال فسار وسرت معه والجارية معنا حتى أتينا قرب دار
 الرجل فقال لي يا سليمان غيب السراج لكلا يشعر قال فسترته وقال لي دق

الباب دقا لطيفاً فاذا فتح الباب فظهر السراج قال فلما رأى صاحب الدار
وأهل الدار القاضي ارتاعوا ارتياحاً شديداً وقالوا ما بال القاضي أغرّه الله
وما جاء به فقال لي ياسليمان اصعد الى أعلى الدار واحذر أن ينزل أحد من
جوانب الدار قال ففعلت قال ثم أقبل يتخلل بيوت الدار بيتاً بيتاً وموضعاً
موضعاً فلا يرى شيئاً قال ثم صعد الى أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئاً قال
ثم عطف على صاحب الدار فقال هل رأيت زكرياء بن الامير أو كان
معك اليوم فقال نعم كان اليوم عندي فلما كان الليل أوتي بفرس فركبه
فقال هل تعرف له موضعاً قال لا والله أصلح الله القاضي قال فخرجنا ثم
قال للمرأة هل تعرفين له موضعاً قالت لا والله أصلح الله القاضي قال فسقط
في يده ثم لم يصب الا أن وصلها الى دارها ثم انصرفنا الى دارنا فما نام تلك
الليلة حتى طلع الفجر فعدا بجناحه وقطاره فالتقاه الى صاحبه اه * ومن تأمل في
هذه الحكاية وحكاية ابن عرفة تحقق ما للمقرئين من السلاطين من قوة
التأثير على أفكارهم بقلب الحقائق واظهارها لهم في صورة تجبرهم على قبول
اشاراتهم وان كانت خطأ أو فيها خراب ملكهم وهم لا يشعرون * فان بالتأمل
فيما أشار به مستشار الامام أبي بكر من قتل ابن عرفة يتضح لنا انه لم يقصد
النصيحة بالاريب والا فكيف يتأتى لابن عرفة الخروج عن الطاعة وهو
صهر من جهتين ولم يكن في كلام ابن الصغير ما يدل على أنه يتكلف للخروج
بل قال ان الامام أدرك بعد فوات الأمر أن المشير بالقتل لم يقصد النصيحة
بل له غرض خصوصي وهكذا الحال في مسألة حمل هذا الامام على قبول
استعفاء القاضي * هذا ولم نقف في كل ما تصفحناه من التواريخ وفيما لدينا
من تاريخ ابن الصغير على قول سوء أو ظلم أو خروج عن العدل ينسب

الى ائمة بني رستم أو الى عمالمهم أو أقاربهم الا هذه الحكاية وهي لا تعد شيئاً في جانب ما سمعته وستسمعه أنها القارىء من سيرتهم المستقيمة في مدة لا تبعد عن مائة وخمسين سنة ولو وجد لهم غيرها لذكروه

✽ ورع هذا الامام ✽

✽ قال ✽

* وما يذكر عنه من ورعه وتفقه ان رجلاً يكنى بأبي سابق كان خادماً لأبي اليقظان في جميع أسبابه وكان يتولى علف فرسه قال لي احمد بن بشير قال لي أبو سابق خرج أبو اليقظان يوماً الى منزله الذي كان اختصه (بتسلون) يتفقد سائمه وعبيده وأبطاً في انصرافه الى أن دخل الليل قال أبو سابق فخطت عن الفرس وربطته على مدرة وخرجت لآسي له بعلفه من عند حريف له فآلفته وقد أغلق حائوته فلت الى بيت المال فقتحته وأخذت منه علف الفرس وأغلقت عليه ثم رجعت الى موضعي من القصر واذا بأبي اليقظان قد افتقدني مرة بعد أخرى فلما رأيته صعد اليه خادم فأخبره بمجيئي فقال له اصمده الي وكان يستريح الي ويسألني عن أخبار الناس فقال وما حبسك وما أبطاً بك فأعلمته خبر الحريف وغيبته وفتح لي بيت المال وأخذني العلف منه وتعليقي أياه الفرس فقال * آه يا أبا سابق والله لا نام محمد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذت منه قال فضيت والله في ليلتي تلك حتى أتيت حربي وأخرجته من داره وأخذت منه علف الفرس ثم مضيت وانزعت الخلاعة عن الفرس فكلت ما بقي وأتممت ما أخرجت من بيت المال ورددته فيه وعلقت ما بقي على الفرس ومضيت اليه فأصبته جالساً ينتظرني فقال ما وراؤك يا أبا سابق فأعلمته بما صنعت فقال لي أحسنت

اما الآن فأجلس فأت أبو اليقظان فكل شيء وجد له من العين في تركته
سبعة عشر ديناراً وكانت لأبي اليقظان في أمارته وقائع صارت تاريخاً لموالد
الناس (له بلفظه) هذا حاله وقد حكمها من تاهرت بالمغرب الى أرض سرت
بالمشرق فهكذا والله العدل وهكذا الزهد والورع وهكذا كانت الخلفاء
الراشدون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهل الانصاف والفضل فهو
ورب البيت لجدير بأن ينشد في حقه البيتان اللذان رواهما ابن عباس رضي
الله عنهما عن أبي بكر رضي الله عنه ونصهما

(إذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين)
(ذلك الذي حسنت في الناس سيرته * وكان يصلح للذبا وللدين)

❦ ولاية أبي منصور الياس النفوسي ❦

❦ رحمه الله على جبل نفوسة وأخباره ❦

* تقدم عن ابن الصغير أن الامام رحمه الله عقد الولاية لأقبح بن العباس
على جبل نفوسة وكأنه لم تمتد أيامه فانفصل عنها ولم تعلم سبب انفصاله وكيفيته
اذ لم يتعرض لذلك أحد وعلى كل حال فهو اما بعزل أو استعفاء فولى الامام
رحمه الله بعده على الجبل العلامة الباسل أبا منصور النفوسي التندميرتي من
احدى قرى جبل نفوسة المشهورة بالعلم * ذكر الشماخي رحمه الله عند
الكلام عليه انه كان في أول حاله من أهل الجملة ثم قال نقلاً من تاريخ نفوسة
الكبير هكذا * فنزل مرة الى (مدينة) تيجي فالتقى بأبي مرداس مهابر
(الزاهد المشهور) حافي الرجل قد أدماهما الشجر والحجر في سنة قحط وشدة
فأعطاه نعليه قال أبو مرداس (داعياً له) نزع الله منك يافتي مالا يرضى
ورد فيك ما يرضى * قال أبو منصور فحسست حين دعا بما عشيبي فوقع في

نفسه التعلق بالمراتب العالية من العلم والعمل ببركة الشيخ وقد تقدم وكان بعد أن تولى أمور المسلمين إذا خرج لقتال العدو يركب بغلة ولا يتقي نبلاً ولا ضربة على نفسه ولا على مركوبه ولا تقع به ولم يهزم له جيش ولم تنكس له راية اه قال أبو زكرياء ولا يبالي في الله لومة لائم اه *

* وكان القاضي الكبير على الجبل في زمانه ذلك العلامة العادل، عمروس ابن فتح النفوسي رحمه الله الذي قال فيه أبو العباس في الطبقات * بحر العلم الزاخر بل حاز المفاز وحاز قصب السبق وان كان في السن متأخراً كان ضابطاً حافظاً محتاطاً عافظاً * لم يكن تشغله المجاهدة في الله عن دراسة العلم ولم يلهمه التبجر في العلم عما تمين عليه من مصادرة تلك المهموم لازم الدرس والاجتهاد ثم رابط على الجهاد له مصنفات في الفروع والعقائد اه وكان عزم على أن يفرز مسائل الفروع فيبين ما استخرج من الكتاب وما استنبط من السنة وما كان من الاجماع فيرد كلاً الى أصله قال العلامة أبو العباس وصرف الى ذلك وجه العناية حتى يكون تأليفه طرازاً لما صنف في علوم الشريعة فمأجنته المنية رحمه الله * وذكر في السير ان أبا منصور خرج الى قوم بلغه انهم غصبوا غير الآخريين ولما وصلهم ادعى كل من القرئيين ان العير له فاشتبه عليه الأمر اذ كان الخلاف بينهم شديداً ولا شاهد عليهم غير الله فأرسل الى عمروس بالمسارعة اليه ولما أتاه قبض على المتاع وصار يسأل كلاً من القرئيين على حدة عما اشتمل عليه من الأصناف وعما في الأجرة من الزاد وغيره حتى اتضح لديه أصحاب العير وعرف المتعدين لمجزهم عن بيان ما خفي عنهم من المتاع اذ لم يطلعوا عليه فقال لأبي منصور هو لا، (يعني غير الناصيين) أصحاب الرقعة * وهو لا، (يعني الناصيين) أضيافك كنى بذلك

عن حبسهم وتأديبهم فأجرى أبو منصور الأمر على حسب ما حكم به عمروس
ويذكر عنه أنه توجه الى مكة لأداء فريضة الحج فدخل هو ومن معه على
العلامة محمد بن محبوب عالم أباضية الشرق في عصره وهو في مجلسه فسلموا
فرد عليهم السلام وأذن بحالهم تعظيماً وأكرمهم ثم فتحوا باب المباحثة في العلوم
فسأله عمروس عن مسألة من مكنونات العلم فتعجب ابن محبوب وقال إن
كان أبو حفص (يعني عمروساً) في شيء من هذا البلد فهذا السؤال منه فأخبره
الحاضرون بالحقيقة فزاد في تعظييه ورفع مقامه وصار عمروس يسأله في
مسائل الدماء حتى قال له هذا من مكنون العلم فلا يملن به امام كل أحد *
وكان عمروس أوصى الذين معه وقال لهم احفظوا لي السؤال وعلي حفظ
الجواب ولما قضاوا مناسكهم وعادوا الى الجبل جمعهم وقال هاتوا ما تكفتم بحفظه
فقالوا لم يبق في علمنا الا قولك احفظوا السؤال اخفظ لكم الجواب * وعندئذ
صار يسرد الاسئلة والأجوبة حتى أتى عليها ولم ينس منها شيئاً وهو الذي
نقل مدونة أبي غانم بشر الخراساني ولولاه لما كان لها أثر * وذلك ان أبا
غانم وفد على الامام عبد الوهاب بتهرت ولما مر بجبل نفوسة ترك مدونته
عند عمروس فألهمه الله نسخها فاجتهد في ذلك وكانت أخته عالمة جليلة
فلازما مكاناً واحداً فهو يكتب وهي تلي عليه وكلما أدركتها الشمس ترحلها
الى الظل حتى كمل نسخها وكانت في اثني عشر جزءاً ولما عاد أبو غانم من
تهرت وجد نقطة حبر في بعض صحائفها فكتبه الى ماصنعه عمروس
وكانه لم يستأذنه ولم يخبره فقال له قد سرقتها يا عمروس
فقال عمروس سمائي سارق العلم * ولما وقع ما وقع من حرق كتب أهل
المذهب بتهرت وغيرها حتى فقدت بقيت هذه النسخة ينتفون بها * قال

الشماخي ولولاها لبقى أهل المذهب من غير ديوان بالمغرب يعتمدون عليه
 وذلك ببركة عمرو بن موسى وحسن نيته اهـ * وقد طلب منه بعض أهل الكلام من
 علماء أصحابنا بفزان أن يؤلف كتاباً في الأصول فكتب الكتاب المعروف
 بالعمروسي وكتب إليه رسالة فلما رآها الفزاني وهو صاحب الكتباين المعروفين
 بأصول الكلام قال النفوسي أقوى مني * هكذا ذكر في السير وفيه انه
 مكث في المغرب يتعلم العلم عشرين سنة ولما رجع الى الجبل قال له أخوه
 انظر الى الأجراف التي في فدادينك كأنه يلومه على طول غيبته في طلب
 العلم فقال له لو رأيت أجرافاً تتلم دينك لكان عليك أمرى * وفيه انه اشتكى
 اليه عبد من مولاة فقال له اصطلح مع مولاك وكان أبو مهاصر حاضراً
 وهو شديد الأمر والنهي في دين الله فغضب من جوابه وقال له اعطه حقه
 من مولاة والا نزعك الله من ذلك المكان ورد فيه غيرك * فنفذت فيه
 دعوة الشيخ فنزع من القضاء بعد ذلك في زمن قريب بدون حدث ثم طلبوا
 منه الرجوع فأبى * ولما سمع بوفاته أبي مهاصر اشتد أسفه وعظم فزعته حتى انه
 كان يلبس نعليه فلبس واحدة وأخذ الأخرى في يده ذهبوا وجزعاً وذهب
 مسرعاً لمضور الجنائزة فما أدر بهم الا وقد دفنوه فرمى بنفسه الى الأرض
 وتخبط في التراب متحسراً فتوهم جهال (افاطمان) بلدة أبي مهاصر (وهي
 الآن خراب آثارها تدل على كبرها) أنه فعل ذلك تشفيماً وقالوا قد استراح
 منه لأنه كان كثيراً ما يترض عليه في بعض المسائل فيقبل منه تارة ويرد
 عليه أخرى بدون أن تنشأ بينهما عداوة أو شيء في الخواطر * ومما حكاه
 الشماخي عنها نقلان من سير نفوسة ان بعضاً سأل عمرو ساعن الحكم فيمن
 أخذ خرجاً من مال ابن طولون في المحاربة الآتية وتاب ولم يعلم له صاحباً

فقال له يسأل عن صاحبه فان أعياء طلبه تصدق به (لأن مال الباغين من
الموحدين لا يحل بخلاف دمهم) وكان أبو مہاصر حاضراً ولا يجب الترخيص
فغضب وقام قائلاً لا أقعد في مجلس يفتى فيه بمثل هذا فقال له عمرو س ان
شدت ان تقعد فاقعد فان من شأن المسلمين ان لا يأسوا من رحمة الله وكان
أبا مہاصر يرى وجوب البحث عن صاحب الخرج حتى يرد اليه أو لورثته
ان مات ولا يصح ان تصدق به الا بعد تحقق ان لا وارث له والله أعلم *

✽ محاربة أبي منصور رحمه الله مع أبي العباس بن طولون ✽

✽ صاحب مصر ✽

* كان أبو العباس هذا عاصياً لوالده وثأراً عليه خدثته نفسه في أثناء
غيبة والده عن مصر بالذهاب الى جهات القيزوان واتزاعها من بني
الأغلب والاستقلال بها عن أبيه وقد ذكر أغلب المؤرخين منا ومن غيرنا
حكايتهم وأقوالهم كلها متقاربة الا أن بعضهم ينسب طلب الاعانة من
نفوسة والاستغاثة بهم الى أهل طرابلس وبعضهم ينسب ذلك الى أهل
حصن (لبدة) وعلى كل الاقوال فالسبب في قهره وتشتيت جموعه واتخاذ
طرابلس وبني الأغلب من ظلمه واستبداده هو أبو منصور وعساكر
نفوسة وهي واقعة خلدت لنفوسة وأبي منصور في بطون التواريخ ذكراً
جليلاً وكانت شاهد عدل اعترف بها كل المؤرخين يسأله « نفوسة »
وشجعائهم وبتمفقههم واتزاعهم عن المال الحرام اعترافاً لا يحجوه مرور
الزمان وتوالي الأعصار * قال المؤرخ المراكشي المالكي في بيانه *

* وفيها أي في سنة ٢٦٧ كانت (فتنة ولد ابن طولون) وذلك ان العباس
ابن احمد بن طولون ولد صاحب مصر قديم في هذه السنة في ثمانمائة فارس

وعشرة آلاف راجل من سودان أيه على خمسة آلاف جل الى مدينة
برقة في ربيع الآخر يريد افريقية والتغلب عليها واخراج بني الاغلب عنها
وحمل مع نفسه من بيت مال مصر ثمانمائة حمل دنائير ذهباً فأعطى أصحابه
الارزاق بها وقيل ان مبلغ ما حمل من المال ألف ألف دينار ومائتا
الف دينار ومعه أبو عبد الله احمد بن محمد الكاتب مكبل لأنه أظهر الامتناع
من الخروج معه وكان أشار عليه بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يهانع
البربر فقال أخشى أن تقدم المساكر من الشام قبل احكام هذا الأمر يعني
حساكر أيه لأنه كان نائراً على أيه ويكون أيضاً في ذلك فسحة لابراهيم
ابن احمد فيتمهل في الاستعداد ولا كني أمضي على فوري هذا فتأتي لبدة
وطرابلس فجأة ثم أخذ في استمالة البربر بعد ذلك بالعطاء والافضال وأبعد
من مصر فلا يقوم لأحمد بن طولون يعني أباه أمل في مطالبتى لبعدي
عنه* وخرج يريد لبدة فاتصل خبره بابراهيم بن أحمد فأخرج اليه أحمد بن
قهر ب في ألف وستمائة فارس خيلاً مجردة لارجل فيها باعداد السير والسرى
بالليل حتى دخل طرابلس قبل وصول العباس بن احمد بن طولون الى لبدة
ثم حشد ابن قهر ب من أمكنته من جند طرابلس وبربرها ثم بادر الى لبدة
ودخلها وأقبل العباس بن طولون وقد صنع له بيرقة خمسة آلاف بند فحمل
له على كل جل رجلاً بينده وزحف ثمانمائة فارس وخمسة آلاف رجل فالتقى
به احمد بن قهر ب على خمسة عشر ميلاً من لبدة وقد تأخرت الجمال بالرجال
أصحاب البنود فلم يكن بينهم الا مناوشة يسيرة حتى انهزم احمد بن قهر ب
وهو يظن أن من ناوشه القتال من أصحاب ابن طولون كانوا مقدمة للجيش
ووصل احمد بن قهر ب الى طرابلس منهزماً وركب العباس بن طولون

أثره حتى نزل طرابلس ونصب عليها المجانيق وناصبهم الحرب وأقام محاصراً لهم ثلاثة وأربعين يوماً فتمدى بعض سودانه على بعض حرم البوادي (وهم اتباع بني رستم كما مر) وهتكوا الحجب فاستغاث أهل طرابلس بأبي منصور صاحب نقوسة فقام محتسباً وناصراً جيرانه من المسلمين وزحف في اثني عشر ألفاً من رجال نقوسة إلى العباس ابن أحمد بن طولون فناشبهه الحرب فقال العباس لأبي عبد الله الكاتب ما الرأي فقال له بيرقة خليفته وألح أهل نقوسة في محاربة ابن طولون فانهزم وخرج إلى برقة بعد أن تاب أهل طرابلس لجميع عسكره ولم يلبس النفوسيون منه بشيء بل تورعوا عنه وكان إبراهيم بن أحمد قد حشد الأجناد وضرب حلج نساؤه دنائير ودرهم اذ لم يبق أبو الفرائق مالا ثم خرج بنفسه يريد طرابلس فلقية خبر هزيمة ابن طولون فبحث ابن الأغلب عن الأموال وأخذها بمن وجدت عنده فكان الرجل من أهل العسكريين مثاقيل ابن طولون سرّاً بما أمكنه خوفاً من أن تؤخذ منه أهـ * وقال ابن سميّد المالكي في تاريخه الدر المنكون هكذا *

* وخرج (العباس بن طولون) بأكثر تلك الأموال العظيمة والنعيم والذخائر معه إلى أن انتهى إلى حصن يعرف ببلدة قفتحه أهله له وخرج إليه عامل ابن الأغلب فأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن قتلوا الرجال وفضحوا النساء وذاع الخبر واستغاث طائفة من أهل هذا الحصن إلى الياس بن منصور النفوسي رئيس الإباضية فدخله منهم غضب شديد وحمية غليظة وكان العباس قد كتب إلى النفوسي أن يقبل بسمعك وطاعتك والا وطيت بذلك بخيلي ورجلي وأبحت رحمك * وهذا متقول ذو منعة وله أهل

كثير عددهم ولم يود الى ابن الأغب طاعة قط *

﴿ جواب أبي منصور الى ابن طولون ﴾

فقال الياس أبو منصور النفوسي (تحقيراً له) * قل لهذا الغلام أما
انك أقرب الكفار مني وأحقهم بمجاهدتي * فقد بلغني من قبيح أفعالك
ما لا يسني التخلف معه عن جهادك وأنا على أثر رسالتك اليك اهـ وقد كان
ابراهيم بن الأغب أتقذ الى محمد بن قهر بن طراباس بخادم يعرف
ببلاغ في جمع من أهل القير وان كثير فكان القتال بينهم مناوشة وانصرفوا
على غير مناجزة وصبح الياس أبو منصور النفوسي في اثني عشر ألف مقاتل
مستصرين والخادم من خلفه فأطبق الجيشان عليه فقتل أكثر من
كان معه واستبيحت أمواله وذخائره وما كان حمله معه من مضر من السلاح
والخيل وأفلت بحشاشة نفسه وكان معه أيمن الاسود مقيداً خلفه تقييده
من القتل لأنهم علموا أنه حرب له ورجع العباس على برقة اهـ

* فله در أبي منصور ما اشد كلامه وما أعظم خطابه فن تأمل في
جوابه هذا حق التأمل اتضح له ما كان له رحمه الله من الشهامة وعلو الهمة
والاقدام وشدة الحرص على محافظة بلاده والقيام بحقوق جيرانه ورعاياه
فأمثله تسلم مقاليد الولايات البعيدة كالجليل ولقد أصاب الامام في انتخابه
وتعيينه رحم الله الجميع *

﴿ حكاية سجن هذا الامام ﴾

﴿ يفتاد في حياة والده ﴾

* قد تقدم منا وعد بذكر قصة سجنه فهاكها موضحة مأخوذة من
كلام ابن الصغير على القاعدة المتقدمة ولا يخفى مما مر على سمعك ان

لدولة الرستمين في ذلك العهد بين سائر دول الاسلام ذكراً دائماً
 وشنشة شائمة توذن بالرعب وتقضي نظراً ليل العموم الى العدل بامكان
 اتساع دائرة ملكها بين طبقات الأمم الى أمد بعيد غير معلوم الحد والنهاية
 وبذلك أخذ الخليفة العباسي في الشرق المتاخم بالحدود من جهة مصر لأرض
 سرت وجبل نفوسة التابعين لهذه الدولة شدة الاحتياط والحذر ناظراً الى
 المغرب بعين الخشية وقلب المخافة ولا سيما ابان الحج الشريف لكثرة الوافدين منه *
 (مزوج) وقد استأذن هذا الامام رحمه الله والده رضي الله عنه في آخر
 ايام دولته في الحج فأذن له وتوجه مع الركب يصحبه رجل من نفوسة
 اتخذه مؤنساً وخادماً الى أن وصل مكة المكرمة وقد اتصل خبر حجته ببني
 العباس في بغداد فاشتد خوفهم ورعبهم *

﴿ قال ﴾

* فلما طاف وسمى اكتفتته رسل بني العباس اذ قد سمي به عندهم
 وقيل لهم ان مقدم الشراة قد قدم من المغرب من عند أبيه يرتاد البلاد
 ويرسل رسله في كل الآفاق الى من كان على رأيهم ومذاهبهم ليأخذوا على
 أنفسهم الى أن يأتيه والده من المغرب فحمل أبو اليقظان من مكة وحمل معه
 رجل من نفوسة كان يخدمه حتى ورد بهما مدينة السلام (في بغداد) وكان
 العامل اذ ذاك لأبي جعفر المتوكل أو غيره ممن كان في عصره فأمر بحبسهما
 الذي حدثني * حدثني أبي عن أبي اليقظان انه قال وافق حبسي حبس أخي الخليفة
 كان قد تم عليه ما تم فأمر بنا جميعاً فحبسنا في موضع واحد قال وكان
 يجري علي في كل يوم مائة وعشرين درهما كما يجري على أخيه اه وذلك
 عبارة عن عشرة آلاف وثمانمائة قرش في الشهر ومائة ألف وتسعة وعشرين

ألفا وسنة قرش في السنة بعملة عصرنا تقريبا وهكذا جرت سنة الملوك وعادتهم
مهما أسروا في حرب أو قبضوا في حين غفلة أو خيانة على واحد من أسرة
ملوك غيرهم اظهرا للقوة وتوقيرا لمقام الملك وعن الملوك لا تسأل *

﴿ خبر أبي اليقظان مع ﴾

﴿ أخي السلطان المسجون معه ﴾

* (بمزوج) فبقى مع أخي السلطان على أحسن حال وأنس قد رسخ في خاطر
كل مودة الآخر فلا يطيب لأحدهما طعام ولا شراب الا بحضور الثاني
وصارا شريكين في الفرح والحزن والرضاء والسخط وكان أخو الخليفة
كثير التعاق بأبي اليقظان لما رآه فيه من حسن الأدب والتضلع في العلوم
والورع الكامل وكثير الإعجاب به من حيث اتقان الطهارة ومراقبة أوقات
الصلوات والقيام بالليل والناس نيام فتألفا وامتزجت مودتهما وعقدا أخوة الصفا
وجعلوا الصبر ديدنا والتسليم للقضاء المبرم من عند المدبر الحكيم القادر عمادا
لا ينفلان عن النظر في قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب *
وقوله واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) وكأني بهما ولسان حالهما يردد
قول للشاعر *

(لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم)
* وقد رأى أخو الخليفة من أبي اليقظان في تلك المدة من أنواع البر
والإكرام والجود والنبات والتجلمد ما أدهشه وأدّى به الى الاستغراب وذكّره
بمحاسن الصفات ورأى أبو اليقظان منه مثل ذلك وفي كل ذلك رفيقه النفوسي
مسرّح في المدينة تحت النظر والمراقبة يتردد عليه في السجن لقضاء ما ربه
وتدبير شؤنه بما يحتاجه من الخارج وبينهما في تلك الحال بين الشدة والرخاء

والخوف والرجاء لا يأسان من رحمة الله ولا يسأمان من قدر الله اذ اختل
نظام داخلية الخليفة وقامت قيامة الرعية وأصبح مقتولاً *

﴿ عقد الخلافة لرفيق أبي اليقظان ﴾

﴿ وأخباره منه بعد ذلك ﴾

* (مزوج) وبعد أخذ ورد وقيل وقال تعحضت الخلافة لرفيق أبي اليقظان
أخي الخليفة فنودي باسمه وما شعر حتى دخلت الصقالة والأجناد عليه في
السجن واختطفته من بين يدي أبي اليقظان الى دار الخلافة وقدمت له البيعة
وما تم له الأمر وثبت على الكرسي حتى امر باخراج أبي اليقظان من
السجن ودعا أحد وزرائه وكلفه بحفظه واكرامه الى ان يتفرغ لطلبه فبادر
الوزير ممثلاً للأمر ودخل على أبي اليقظان وأخبره بالقصة وجمله الى محله
وقام بواجب حقوقه برآواكراماً فطالب نفساً وانشرح صدره وأمل الخلاص
من ربة الغرب واستقرب بالحق بالوطن العزيز مسقط الرأس ومقر
الاهل ومنبع العدل *

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحينئذ أبدأ لأول منزل
* ثم أن الخليفة اراد اظهار ماله من القوة وكثرة الجنود لأبي اليقظان
لكي يعلم ذلك ويخبر والده ورجال دولته اذا رجع اليهم فيأسوا من الطمع
فيه ان خطر يالهم *

قال ❦

* قال الذي حدثني * حدثني أبي عن أبي اليقظان انه قال فيينا انا عنده
(أي عند الوزير) ذات يوم اذ انصرف من قصر الخليفة فوقف في صحن
داره على فرسه وخرجنا اليه ووقفت معه فيينا نحن كذلك اذ أقبل عشرة

اناس فنزلوا عن دوابهم وبادروا نحوه يقبلون يديه ورجليه فقال لهم أتدرون
 فيماذا أرسلت اليكم فقالوا اصلح الله الامير مالنا في ذلك من علم فقال
 اذا كانت الغداة فاحضروا الي عشرة آلاف فارس فقالوا نعم اصلح الله حال
 الوزير قال فعجبت من قوله ومن قولهم وقلت يهزأ بهم أم يهزؤون به أم
 اراد أن يظهر لي شيئاً أتحدث به في المغرب لا اصل له قال فنظر الي والي
 انكساري فشرع بي قال فقال لي مالك يا مغربي لملك استعظمت ماسمعت
 فقلت اصلح الله الوزير وكيف لا استعظمه ولو كان ما سألتهم اياه دراهم في
 اكمامهم لما استطاعوا احضارها اليك بالغداة وكيف بعشرة آلاف فارس
 فقال يا مغربي ترى هؤلاء العشرة قلت نعم قال تحت يد كل واحد منهم عشرة
 كم معك قلت مائة قال وتحت يد كل واحد من المائة عشرة كم هذا معك قلت
 ألف قال وتحت كل واحد من الألف عشرة كم هذا قلت عشرة آلاف قال
 انما تخرج هذه العشرة فيدعو كل واحد منهم من كان تحت يده فيجتمع
 ذلك كله في اقل من لحظة المين ولولا سعة هذه الارزاق وآخذوها يا مغربي
 لما صيبت هذه الاموال الا في الدجلة والفرات قال فأعجبني قوله وقلت
 يمكن ما قاله اه *

— ﴿ طلب الخليفة من ابى اليقظان الاقامة ببغداد ﴾ —

﴿ قال ﴾

* قال (أبو اليقظان) فيمنأ انا كذلك عنده اذ أمر الخليفة باحضاري
 قال فلما مثلت بين يديه أمرني بالجلوس فجلست قال فذكر ما كنا عليه
 (من الحال في السجن تأنيساً له) قال فكان يرى مني اجتهاداً في الصلاة
 وغيرها فقال اني أحب أن أوليك من المشرق أي بلد أردته فقلت له الخيار

لي في المشرق دون المغرب أم في المشرق والمغرب فقال لي بل الخيار
 اليك في المشرق والمغرب الا أني أختار لك المشرق لكثرة خيره وأرغب
 لك عن المغرب لكثرة شره فقلت له اذ رددت الخيار الي فأنا أختار ما شئت
 قال ذلك اليك فقلت اجمع بيني وبين والدي فقال لي ما تريد بالمغرب من خير
 ولكن اذا أردت ذلك فالأمر اليك ثم عطف علي فقال لي جرايتك في
 الحبس انظر الى من توصي بها لئلا ينفوا اسمك من عندنا فقلت الى فلان
 ابن فلان الخياط رجل بقرب الحبس قال وكنت أقبلت علي النفوسي المرفوع
 معي وقلت له اقم تقبض كل يوم عشرين ومائة درهم فذلك خير لك من المغرب
 فأبى علي فقلت له فاذا أتيت فالي من ترى أن تصرفها فقال لي الى فلان بن
 فلان الخياط فاني كنت اجلس عنده واستريح اليه وأشاوره في أمرك قال
 فلما ذكرت اسم الخياط للخليفة قال لي هم استحق ذلك منك قال فأعلمته بما
 قال النفوسي قال فأمر به فأجريت عليه (وأصبح بعد ان كان فقيراً آمن
 الاغنياء المعروفين عند السلطان وخير الصدقة ما اورثت غني) قال
 فكان النفوسي بعد ذلك يتيمرت اذا كرهه امر ونزل به ضيق يقول لأبي
 اليقظان لم اقبل منك ولو قبلت منك لكان العشرون والمائة درهم في كل يوم
 أعود علي مما أنا فيه قال ثم أمر الخليفة الوزير بالنظر في أمري وأمر جهازني
 وأمر لي بسرادق فضرب لي ثم أمر لي بثقفة وكسوة وكتب لي
 كتباً الى عماله في الامصار بالحفظ والرعاية والسير والاكرام فأقت حتى
 قضيت حوائجي ثم خرجت اه بلفظه *

﴿ غريبة ﴾

* وما يحكي عنه أنه بعد أن تحرك من بغداد مقبلاً نحو المغرب حسب

منجمو الخليفة العباسي حسابهم فأروا أنه لا بد من أن يتولى الملك بالمغرب
فضاق صدر الخليفة ورجاله لذلك وقالوا قد أطلعناه على أمرنا وكشفنا له أحوال
بلادنا وتركناه وذلك هو عين ما كنا نخافه ولا نأمن أن يهاجنا يوما ما إذا
تقلد الملك * وهموا بالارسال في أثره ليردوه وكان هو رحمه الله ممن لا يسابق
في علمي التنجيم والزل فصادف الحال أن حسب لهم وقت حسابهم له فرآي
أنهم يبحثون عن موقعه ليقتفوا أثره فأمر باحضار قصعة كبيرة مملوءة ماء
ودخل في وسطها وبيناهم في تحرير حسابهم اذ ظهر لهم أنه في الماء فقالوا قد
دخل البحر ونجا فتركوا تتبعه ومروا في طريقه إلى أن وصل والله أعلم *

❦ ولاته وعدد اولاده ومدته ❦

* لم نعلم له رضى الله عنه من الولاة والعمال غير أفلح بن العباس والي جبل
نفوسة وأبي منصور ولم نر لوزرائه ذكرًا وقد أهمل التاريخ المتأخر ذلك كله
لقلة المواد قلعه عذر وفيما قدمناه عن علومه من الكلام ما يعني عن الاعادة هنا
* (ممزوج) وله رضى الله عنه من الاولاد الذكور عدد منهم يقظان الذي كني
هو باسمه وقد خرج إلى الحج في حياته ويوسف وهو المسكني بأبي حاتم وأبو
خالد وعبد الوهاب ووهب وزكرياء وغيرهم ممن له ذكر وكان من بينهم أبو
حاتم شابًا بحسن الجمالة طلق الحجاب بسط الكف جميل الهيئة كثير المروءة واسع
الاخسان والبر بأثرابه يطعم ويكسو ويجود وكانت أمه غزال مالكة لأمر
أبي اليقظان وحشمه فوقعت محبته في النفوس ورشحة العامة للإمامة بعد أبيه
حتى أنه في بعض الاعياد تخلف والده عن الحضور إلى المصلى مع الناس فخطر
بسالهم ما خطر وكان أبو حاتم موجودًا فحملوه على الاعناق ونادوا بطاعته
ولما اتصل الخبر بالإمام والده قال لأمه احذري يا غزال فقد أصبح ابنك

اليوم سلطاناً * أو مافي معناه من الكلام ولا زال بعد ذلك يقلده منهم
 الأمور ويقدمه في حل مشكلات الامارة تدريباً له واعلاءً لقدره وتعليماً
 لشأنه في انظار الزعية واظهاراً لما لديه من الاقتدار على الاعمال الشاقة الى
 أن ارسله في جيش من وجوه زناتة لمحافظة قوافل اقبلت من المشرق فيها من
 الاموال ذهباً وبضائع مالا يحصى خوفاً من اعتداء سفهاء زناتة عليها اذ كانوا
 يخيمون بطريقها فأدركت الامام ابا اليقظان نيته واتقضى اجله عن عمر يناهز مائة
 سنة قضى منها أربعين سنة في خدمة الملة واعلاء كلمة الدين واقامة شعائر الاسلام
 ومحافظة المسلمين * ومأقاله المراكشي من أن مدته ٢٧ سنة عار عن الصحة
 جداً ولا معنى له فجهر ودفن والناس عنده راضون وولده غائبان يقظان بالحج
 وأبو حاتم بمسكركه في محافظة قوافل تجار الشرق فلحق الناس من الكدر
 والأسف والتعجب مالا يوصف فرحمه الله رحمة واسعة وذلك سنة
 احدى وثمانين بعد المائتين ٢٨١ باتفاق المؤرخين حتى المراكشي الذي خالف
 في عدد مدته *

— خلافة الامام أبي حاتم يوسف بن محمد —
 ﴿ رحمه الله ﴾

﴿ ممزوج ﴾ وما كاد يتم دفن الامام رحمه الله حتى سارعت العامة
 الى المتادة باسم ابنه أبي حاتم يوسف امامياً في الأزقة والأسواق بدون اجتماع
 وتشاور مع رؤساء القبائل وأسرعهم الى ذلك برجلان أحدهما محمد رباح وثانيهما
 محمد بن حماد ولعله أخا بكر بن حماد الشاعر المشهور وفي الحال أرسلت اليه الرسل
 فوافقه وهو مع القوافل وبلغته وفاة والده وعقد الامامة له ففكر راجعاً
 معهم الى المدينة *

قال ❦

* فنادوا الاطاعة لأحد الا لأبي حاتم على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر فلما وصل الى باب المدينة ازدحم الناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايموه فما وصل المسجد الجامع الا وقت الظهر فأصعدوه المنبر وبايموه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والاعناق حتى أوصلوه الى داره ثم أرسلوا الى القبائل فبايموه اه فتمت له البيعة وخلصت له الامامة بدون انكار ولا معارضة من أحد الا ما كان خفياً في نفوس بعض من أهل المدينة ولم ييؤحوا به كعه يعقوب بن أفلح فانه منذ عقدت له البيعة بارح المدينة ورحل الى زواغة فسكنها ولم يدخل للرستمين جمعاً ولا أعان ابن أخيه بشيء من قول أو فعل وان لم يصدر منه مع ذلك ما يكدر الراحة قط فشر أبو حاتم لمباشرة أموره عن ساق الحزم وسار بسيرة أسلافه الصالحين واستقام له الامر وأجمع الناس على ولايته وسلمت بواطن العامة من جهته مدة سنة على ما قاله المؤرخ المراكشي وأقر من أقر من عمال والده على أعماله وبدل من بدل ومن أقرم على عملهم أبو منصور النفوسي في الجبل * ثم تكلف بعض رجال دولته واخوته وأعمامه أن يجعلوا له ما يقتضيه مقام الملك من الأبهة والحجاب وأبي الناس الا الدنومنه والدخول عليه في كل وقت مست الحاجة اليه مثل ما كان عليه قبل الامارة فوقع بذلك في الخواطر شيء من التنافر *

❦ سعي بعض المفسدين في المروق من طاعة الامام ❦

❦ ونفيه اياه وما نشأ عنه ❦

« ممزوج » وكان بالمدينة من مسعوي الكلمة من المشايخ من غير

الاباضية أبو مسعود وأبو دنون الكوفيان المتفقان على مذهب الكوفيين
وعلو بن رعلان وغيرهم ممن وقع عليهم من الامام بعض اعراض وغض
نظر لما تشبهوا به قبل ذلك من اتخاذ الوسائل لاثارة الفتنة وتحريك الفساد
وتناجيهم بالظن والقدح في السيرة فالضم اليهم محمد رباح ومحمد بن حماد
اذ لم يجدوا مع الامام نفوذ اغراضهما وقضاء مقاصدهما مع انهما أول من نادى
بالبيعة له فاتفقا على الغدر به ووعدا المشايخ المذكورين بذلك (وهكذا كان
وقع لجده الامام عبد الوهاب مع ابن فندين وشيعته الحكاية السابقة) فبلغ
الخبر الامام أبا حاتم فلم يشك في صحته لما انه في حياة والده خرج ذات مرة
من عنده على غضب فلاقاه رباح هذا وابن حماد وقد علما بما وقع بينهما وبين والده
فقالا له دع لنا هذه الخوخة (وهي باب صغير كان معداً له خاصة يدخل
معه الى والده) فنقلته وتولى الامر وتستريح فزجرهما وأضر لهما في نفسه
ما أضر اذا أمكنته الفرصة فيها لما قصدها من الخيانة وهاله أمرهما ولم يجد
سيلاً لذلك الى أن بلغه ما ذكر فأمر بإبعادهما ونفيهما *

— (قال) — *

وكان لمحمد بن حماد على بعض أميال من المدينة منزل يقال له الثلة
قد جمع الاشجار والانهار والمزارع والنخيل والقصور اه *

* فطلبوا تعيينه لمكانها مدة النبي فأصدر الامام أمره بذلك وتوجهوا
اليه (وليس ذلك من الامام بمكانه اذ النبي لمثل هذين اما يكون بالاخراج
عن الحوزة رأساً حتى لا يتمكن من مواصلة ذويه ولا يتمكنون من امداده
وحمايته وبذلك تحصل التربية والتأديب كما هو شأن سلطاننا المظفر عبد الحميد
ابن عبد الحميد العثماني من نفيه أبناء الترك وغيرهم ممن هم من ناحية القسطنطينية

دار خلافته الى فزان وغدامس وغات وجبل نفوسة وطننا من ملحقات
طرابلس الغرب بقطعة افريقيا ونفيه أولاد العرب منها ومن غيرها الى أرض
الرومي والأناضول وغيرها من بلاد أوروبا وآسيا حتى ان المنفي غالباً لا يعلم
بحاله مدة اقامته الى أن يرجع أو يموت (ولقائل ان يقول ان أمثال هذه
الأمر تؤخذ بالتجربة والتكرار فكلام حدث داء اخترع له دواء فان أفاد فذاك
والا اخترع له غيره وعلى ذلك جاء قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه (أحدثوا * أي الناس أموراً لم تكن من قبل * فأحدثنا لهم) أي أتينا
لهم بما يليق بذلك من التأديب الذي لم يكن قبل أيضاً * ولعل للامام في ذلك
نظراً لم ندركه أو لم يصب الرمي اذ كانت العاقبة سيئة فبقيا هناك في أنس
عيش وأرغده الا أن كلمة النفي حملتهما حملات ثقيلاً لماها عليه في نظر العموم من
الوجاهة والقبول حسب زعمهما وضللا يرسلان أصحابهما بالمدينة لاستعطاف
الامام والعفو عنهما ولما أعيىهما الأمر ولم يتحصلا على نتيجة عادا الى توجيه العتاب
الى أصحابهما أولئك المشايخ والى لومهم وتوبيخهم على السكوت عنهما وصرف
النظر عن الاعتناء بما يوجب ردهما الى المدينة مع أنهما ممن يأبى العدل والانصاف
إبعادهما وحط منزلتهما بصفة النفي وصارا يتابعان الرسائل ويكرران الطلب
بمبارات التعجيز والتكدير لأصحابهما الى أن استفزهم الكبر وغرهم اللعين
فاجتمعوا وقالوا كيف يسمنا السكوت عن مثل هذين الرجلين مع ما لحقهما
من الإهانة والذل على غير جناية وما هذا الامنكر يجب علينا انكاره وتغييره
وقد علمتم انه لا سبب لنتيجهما الا توجه التهمة اليهما بمجاملتنا وموافقتنا * ثم
عقدوا الرأي على ادخالهما رضي الامام أم سخط وأرسلوا اليهما من اتخوه
من رجالهم وتبشروا ملاقاتهم *

❦ قال ❦

* فما شعر أبو حاتم إلا والتكبير عليهما بالمدينة ففرع لذلك وارتاع وعلم
انها ليست بدار قرار فاجتمع اليه قومه وأهل بيته فقالوا له قد أعلمناك هذا
أولاً ولكن أقم بين ظهراي القوم ونحن نخرج الى حصننا الذي به مواشينا
وعبيدنا وهو حصن يعرف (بتالميت) في طرف من لواتة فاذا اصرنا
اليه واجتمعنا به ورأينا به لواتة وغيرها من القبائل ناصرنا أخرجناك اليها
ففعلوا ذلك فلما رأات بقية العجم الساكنين بمدينة (تيهرت) ما فعلت الرستمية
خرجت الى حصنها وفعلت نفوسة مثل ذلك *

❦ خروج الامام من المدينة ❦

❦ قال ❦

* ثم أقام أبو حاتم بعد ذلك أياماً ثم خرج وخرج معه من وجوه البلد
السمحيين وغيرهم نحو مائتي رجل وكان الخارجون معه حماة البلد منهم رجل
يعرف بيكر بن يبيب ومن السمحيين رجل يعرف بيكر بن عبد الواحد وكان
هذان الرجلان فارسي المغرب وبقيت العامة ومشائخ البلد في جمع عظيم
وعلموا ان الحرب قد دهمتهم فشرعوا في بنیان حصنهم ثم ان أباحاتم لما خرج
اجتمعت لواتة كلها اليه فأعطى الأموال وحمل على الخيل واجتمعت أهل
قبائل الصحراء اليه خلا الحصن المعروف (بتالغت) وأهله الصفرية فانهم
مالوا الى المدينة اهـ

* (وقد وقفت على موضع هذا الحصن اثناء رجوعي من بني ميزاب
عام ألف وثلاثمائة وستة عشر ١٣١٦ وهو في ربوة عالية يحيط بها كالهالة
وايد كثير الأشجار ذو منظر لطيف اذا امتلأ بماء الامطار وصار كالبحر كما

رأيته وبقيت فيه تلك الاشجار مصطفة كالسفن السابحة في البحر وقد بنى بأعلاها الفرنسيون الآن (فندقاً) على هيئة حصن متسع يوجد فيه كل ما يستحقه المسافرون وفيه بيوت ممددة للنوم بأسرة وفرش لا يتجاوز اجرها في الليلة ثلاثة دراهم وقد بني من اتقاض الحصن القديم على حسب التخمين اذ لم يبق منه الا آثار وأطلال قليلة وهو الآن محط رحال القوافل والمسافرين والعربات (الكروضة) لجهات متعددة من أعمال الجزائر وقد جني القدر فيه بأفضل من تجار بني ميزاب أنوا من بلاد ومدن متفرقة وبتنا جميعا في ليلة أنس وسرور ثم ذهب كل الى حيث كانت وجهته وبهذا الاسم يسمى الآن أيضا وان سمي هذا باسم ذاك وهو في محل آخر فانه أعلم *

— محاصرة الامام للمدينة —

وبعد أن اجتمع للامام جموع ملأت السهل والجبال عول على محاصرة المدينة وقد ذكر ابن الصغير الحادثة مفصلة نخذاها على القاعدة المتقدمة *

— قال —

* ثم جمع أبو حاتم جموعه وزحف الى المدينة من ثلاثة مواضع من القبلة والمشرق والمغرب فتولى بنفسه القبلة مع لوائه والريسية ومن شائعه وتولى المشرق العجم وصنهاجة ومن شائعه وتولى المغرب طوائف من الناس مع نفوسة وكان قتال شديد من الأوجه الثلاثة وكانت الدارات في الأوجه الثلاثة على أهل المدينة اه *

* « ممزوج » فقتل من المروفين بالمدينة من ناحية المشرق رجل يعرف بابن مادة قتله العجم ومن المروفين من ناحية القبلة رجل من أهل دمر ولما رأى مادة ابنه مقتولا داخله الغضب فحمل على رجل عجمي يسمى (برجا)

فقتله ولما علم به الناس بادروا اليه ليقتلوه فلم يمكنهم وكادت الفتنة تعود فيما بينهم داخل المدينة فاعترفوا لأنفسهم بالخطاء في إثارة الفتنة وأيقنوا بأن أمر الرعية لا يضبط بدون سلطان وقالوا قد كان في أول الأمر قيامنا لأجل نفى رجلين فقط حسبناه منكرًا وقصدنا تغييره ثم وقعنا فيما هو أعظم من سفك الدماء وظلم وعدواننا * فقوموا بنا الى تسليم مقاليد الأمور لصاحبها وادخاله المدينة حتى ينتقم من هذا المتعدي وشيعته ويحكم كيف شاء وما لنا في الحرب والفساد من خير * ثم أرسلوا الى الامام بما قرروه فأجابهم بأنه لا يقبل منهم شيئًا الا ان سلموا له الرؤساء والمشائخ الذين كانوا سببًا في الفتنة ليحكم فيهم بما يراه مما يوافق الشرع الشريف * فصعب عليهم ذلك ونكصوا على أعقابهم وأبوا فعاد الامام الى حربهم *

❖ مبايعة أهل المدينة للعلامة يعقوب ❖

❖ ابن أفلح عم الامام ❖

* (مزوج) ولما ضاق بهم الحال من الحصار أجمعوا على أن لا طاقة لهم بالاستقلال دون رأس من الرستميين وقال قائلهم قد علمتم ما كان ليعقوب ابن أفلح من مصارمة ابن أخيه مندولي الأمر * وهو بزواغة غير بعيد فإرسلوا اليه واعرضوا عليه البيعة حتى نرى رأيه فكتبوا كتابهم ووجهوه اليه مع أمناه منهم فأتوا نى عن قبول طلبهم واجابة دعوتهم وقد كان لولا هذه الفعلة التي تاب منها وندم بعد ذلك كما قال ابن الصغير في قوله * كان بعيد المهمة نزيه النفس ماجس بيده دينارًا ولا درهما وكان اذا أتى وكيلة بغلاته أمره ان يجعلها تحت بردة له يجلس عليها واذا أراد اخراج شيء منها دفعه بتفضيب في يده وكان اذا سافر ونزل يقوم لم يأكل لهم طعامًا وكانت له بقرات يأمر

بجلبها بين يديه في أناء جديد فاذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثاً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يخرج لبراز وكان وضوءه وضوء طاهر في الموضع الذي يكون فيه * شهد منه ذلك جماعة ممن صحبه واستفاض ذلك عنه حتى صار كالعيان وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه تخرج عن طبع البشر حجه سرأويله في جنبه وركوبه فرسه من بين يديه وكان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب قبله ولا بعده به يضرب المثل الى اليوم اه *

* (ممزوج) ولما وصلهم ودخل المدينة عقدوا له الولاية ورجعت اليه جماعة من لوائه وعاد أهل المدينة في نشاط الى الحرب مؤملين الفوز (وما علموا ان بيعة أبي حاتم (الامام حقاً) لم تبرح من رقابهم *

✽ حرب الامام مع عمه يعقوب ✽

* (ممزوج) وعندئذ تجددت الحرب بين الامام أبي حاتم وبين عمه يعقوب أياماً ثم ضعفت وسكنت بعض السكون الى ان تحرك الامام زاحفاً بمن معه الى المدينة من جهة والرجل الموسوم (بوانودي) ومن معه أيضاً من جهة أخرى فأمر يعقوب بأبواب المدينة فأغلقت وترك واحداً وقف عليه بنفسه مع من كان معه ودارت الحرب بين الفريقين الى أن حضر وقت الظهر ونودي في الصفوف بالآذان (ولعمري ان هذا من أهل المدينة لمن العبت فما يغنيهم عند الله شدة هذا الاحتياط بمراقبة وقت القريضة في لجة العصيان والنفان) ثم اشتغلوا بالصلاة فتبدلت نية (وانودي) ومن معه اذ رأوا ذلك وندموا على قدومهم للحرب وتنحوا الى جهة ولما قضيت الصلاة دار الامام أبو حاتم بفرقة ممن في عسكره من المعجم الى الجهة الشرقية وترك المسكر بماله راجياً أن يصيب غفلة من أحد الأبواب فيدخل المدينة ولما قصد الباب وكان عامراً

بالرجال فتحوه وحملوا عليهم حملة رجل واحد فتولى منهزماً وانصرف
 (وانودي) بمن معه تاركاً للقتال فضمفت الحرب بعد ذلك وطمع الناس
 في العافية واشتاتت أرواحهم الى الصلح وأذعنوا للراحة *
 - عقد صلح بين الامام وعنه -

(ممزوج) وبينما الناس في ذلك يترقبون من أهل الخير والاصلاح السعي في
 كف هذه الفتن وايقاف سيرها اذ قدم ذلك الرجل الشهير في قومه
 صاحب الرياسة والتقدم والقدر الجليل أبو يعقوب الزاتي بجميع جموع مزاته
 أولئك الاغنياء أولو الثروة الواسعة والعدد الوافر أهل الحرث في بطون
 الأودية والنسل من حمر النمل والبقر والغنم في بساطط الارض وجبالها الذين
 امتلأ بأموالهم واسع بيت مال المسلمين بما يؤدونه مما وجب عليهم من
 الحقوق الشرعية حتى قال فيهم الامام عبد الوهاب رضي الله عنه ما قام هذا
 الدين الا بسيف نفوسة وأموال مزاته ونزل حول المدينة فتقدم اليه
 رؤساء القبائل وأهل الفضل ممن يسمى في اصلاح ذات البين وشكوا له
 ما حل بالناس بسبب تلك الفتن من قطع السبل وفراغ الأيدي وهلاك الحرث
 والنسل واهراق الدماء وارتكاب القواحش والمجاهرة بمعاصي الله وكلفوه
 بالدخول بين الفريقين بجعل هدنة الى مدة معلومة يتعامل فيها الناس وتمتد
 الخطا مع العافية والأمن وتعارف الناس وربما بذلك تلين القلوب وتخسّم
 العداوة ويعقد صلح ينقطع معه الفساد فأجاب وجد في السعي في ذلك ورغب
 وصرف عنايته الى أن رضي الطرفان فطلب من كل أن يقدم اليه من يختاره
 ويأمنه لعقد الهدنة فقدم الامام أبو حاتم مكنوداً وابن أبي عياض اللواتين
 وقدم يعقوب ذلك العلامة الجليل الشيخ عبد الله بن الامطي المذكور آنفاً

وبرزوا للاجتماع وسلموا الأمر لمتولي العقد فاتفقوا على رفع يد الامام أبي حاتم ويد يعقوب عن النظر في الأمور مدة أربعة أشهر يسود فيها الأمن وتنطلق السبل وتخالط الناس الى أن يأذن الله في ملكه بما يشاء فقبل الفريقان ذلك وانقطعت الحركة ووجد الناس حلاوة الطمأنينة ورجوا العافية ولم يبرح الامام في اثناء ذلك عن استمالة وجوه المدينة وشبانها بجميع أنواع السياسة من حسن الملاطفة والاكرام ومواصلة المنقطعين بصلات البر سرّاً وعلانية الى أن أطبقوا على ولايته والرضاء به جميعاً الا من نذر ممن استحب العمى على الهدى ورغب في الفتنة لنهب أموال الناس بالباطل * وأبو يعقوب الزاقي في ذلك كله لم يلو العنان عن الجد في حصول الصالح واتمام عقدة الاتحاد وشد عرى الاجتماع وكان في المدينة رجالان يسمى أحدهما بأحمد والآخر بمحمد ويعرفان بابني دبوس لهما من عظيم الجاه ونفوذا قول والشهرة بالشجاعة وشدة الأقدام وكثرة الاتباع لدى الخاصة والعامة حظ وافر لم يكن لغيرهما من الوجوه والاعيان ولهما دار آتurf بالكنيسة

— اجماع أهل المدينة مع عموم المسلمين —

﴿ على خلافة الامام وهروب يعقوب ﴾

« الى طرابلس »

« ممزوج » وبينما الناس ذات يوم في عيد من أعيادهم اذ ابتدأ الرجال السير من طرف المدينة وامامهما نفر يقولون من أراد العافية فليصعد الى الكنيسة فبادر الناس اليها ولم يتخلف أحد غير يعقوب وشيعته وبعض مشائخ منهم أبو مسعود شيخ المدينة (رئيس البلدية) الا أنه لما رأى الناس كافة ذاهبين أفواجاً أفواجاً الى مجتمعتهم صعد معهم ليعلم حقيقة أمرهم ومنتهى غرضهم فوجدهم

قد فوضوا الامر في المسئلة لابني دبوس فانحدر ممتلاء غيظاً لما فهمه من ما ك
 الاجتماع وانقض المجلس ولما جن عليهم الليل ركب محمد وأحمد مع من له
 علم من أهل الرأي بلباب القضية قاصدين الامام أبا حاتم ولما بلغ الخبر الى
 يعقوب وحزبه تسارعوا الى خيلهم وخرجوا في ستر من الليل راجعين
 من حيث أتوا بعد أن كدروا سماء الأمن وحيروا مركز الامامة نحو أربع
 سنين كاملة على ما ذكره الراكشي وقصدوا زواغة ملجأ الفارين لقرهم من
 البحر وكونها في الحدود يسهل الوصول منها الى حيث شاءوا متى وقع عليهم
 الطاب والبحث وان كانت قرية من جبل نفوسة أهل الشدة والبأس وحصن
 الخلافة وسيف الامامة *

✽ دخول الامام أبي حاتم المدينة ✽
 * (بالاجماع من المسلمين) *

« ممزوج »

* وبينما الامام في قصره بأبي مينة اذ دخل عليه ابنا دبوس ومن معها
 وقالوا له اركب معنا الساعة ولا تتأخر ولا تنتظر رفيقا واخبروه بالقصة
 ولثقتهم بالرجلين لأمانتهما خرج معهم ولم يصحب من عسكره ولا من رجاله
 أحداً ولم ينفلق الصبح الا وهم بباب المدينة واذا بها خاوية من يعقوب وزمرته
 ومن كان على شاكلتهم فخرج من بلغه الخبر من الناس الى ملاقاته من الجمعات
 وتباشروا وعمهم الطرب جميعاً فدخل المدينة ولا نزاع ولا حرب بعد أن
 هجرها وحاصرها أربع سنين فقصد دار الامارة وأتته الوفود وتقدمت
 الخطباء والشعراء وأرباب الجرائم الى بابه لطلب العفو والتهنئة ومن بينهم أبو
 بكر بن حماد الشاعر المشهور المتقدم الذكر القاتل لما مثل بين يديه *

(ماذا يدبر ربنا في أمره * سبجانه في أرضه وسماؤه)
 (رد الملوك الى محل قرارهم * مستبشرين بفضله وعطائه)
 (فتبارك الله اللطيف بصنعه * ما أغفل الثقليين عن نعمائه)
 (رفع السماء بلا عمد بين * والبحر أمسكه على أرجائه)
 (لولاه فاض على العباد بموجبه * وعلى الجبال الراسيات بمائه)
 (ان المتوَّج يوسف بن محمد * تزين الدنيا بطول بقاءه)
 (أخذ البلاد بسيفه فاستسلمت * وبعده له بفضله وسخائه)
 * وهو القائل أيضاً على ما ذكره العلامة البرادي رحمه الله في كتابه

﴿ الجواهر ﴾

(ومونسه لي بالعراق تركتها * وغصن شبابي في النصوصون نصير)
 (فقلت كما قال النواصي قبلها * عزيز علينا ان نراك تسير)
 (فقلت جفائي يوسف بن محمد * فطال علي الليل وهو قصير)
 (أبا حاتم ما كان ما كان بنضة * ولكن أتت بعد الامور أمور)
 (فأكرهني قوم خشيت عقابهم * فداريتهم والداثرات تدور)
 (وأكرم عفويوثر الناس بأمره * اذا ما عفا الانسان وهو قدير)
 * فصفح وسامح ووعد وأوعد وأمر المنادي فتادى بالآمان وأعرض عن
 طلب من كان مع عمه وعفا عن الكل * فصفا له الجو وخضعت الرقاب *
 * (قال) ولما دخل أبو حاتم مدينة تاهرت جمع مشائخ البلد أباضيتها
 وغير أباضيتها فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين فقالوا له ان أباك لما دخل
 كدخولك ولي محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وهو الذي قدمنا ذكره قبل
 هذا ولحمد ولد يسمى بعبد الله ما هو دون أبيه وأنت عالم بوجهه ودينه كما

نحن عالمون به فقال اشركتم وأحسنتم وولاء القضاء فقال من ترون أن نولي بيت المال فقالوا عبد الرحمن بن صواب النفوسي فقال أصبتم وأحسنتم * من ترون أن نولي الشرطة فقال قوم ذكرار قد قتل ابنه بين يديك وله نصيحة وقال قوم ابراهيم ابن مسكين فآذله صلابة في الحق فولاهما جميعاً وكان البلد قد فسد أهله في تلك الحروب واتخذوا المسكر أسواقاً والفلان اخذاناً فلما ولي هذان الرجلان الشرطة قطما ذلك في أسرع من طرفة العين وحملوا الناس على ضرب السوط والسجن والقيد وكسرت الخواصي بكل دار عظم قدرها أو صغر وشردت الفلانة وأخذتهم في رؤس الجبال وبطون الأودية وحملوا الناس على الواضحة وخاف المنافق وأمن البريء وشردت السراق وقطاع الطرق وأمنت السبل ومشى الناس بعضهم إلى بعض ولم ينقموا على أبي حاتم شيئاً اهـ هذا كله بالنظر إلى تيهرت وما حولها من الولايات وأما جهة طرابلس وجبال نفوسة وما يليها فاتها لم تكتسب راحة منذ ولي هذا الامام وكثرت فيها الفتن والحروب حتى انها لم تتمكن من اعانة الامام بشيء في حروبه هذه وسنأتي ببيان ذلك ان شاء الله

✽ خبر أبي منصور رحمه الله ✽

✽ مع الطيب بن خلف ✽

* تقدم ان الامام أبا حاتم رضي الله عنه جدد الولاية لأبي منصور اليباس على جبل نفوسة لما آل إليه الأمر * وفي صدر مدة هذا الامام على حسب التقريب ان لم نقل في آخر أيام والده تحرك ابن خاف الذي تقدم ذكره ساعياً في احياء سيرة أبيه وتجميد الخلاف والخروج من الطاعة فصدر أمر الامام إلى أبي منصور بالمبادرة اليه والقبض عليه قبل استفحال أمره وكان قد هرب إلى زواغة وهم في جوع كثيرة وكلهم على رأي أبيه فقصدهم أبو منصور

بمسأكره ونزل قريبا منهم وكلهم في شأنه فتحزبوا وأبوا أن يسلموه وانتقوا
على حمايته والمدافعة عنه وكان في بني يهراسن شيخ كبير صاحب رأي وادراك
رأى أنهم لا طاقة لهم على مناصبة أبي منصور الحرب فجمع القوم وقال لهم
يا معشر زواغة اقترح عليكم ثلاثة أمور ان اخترتم منها واحداً أصبتم والا
فصيركم الى الذل * اما ان تتركوا حوزة طرابلس وتدخلوا الى جزيرة جربة
لتتحصنوا فيها وتمنعوا صاحبكم * واما ان ترسلوا الى تهرت رسلاً بكتاب
من عندهم يطلبون فيه من الامام أن يخصصكم بامل مستقل عن جبل نفوسة
حتى لا تدخلوا تحت أحكامهم وسيطرتهم * واما ان تسلموا لي صاحبكم (ابن
خلف) لأسلمه النفوسة بالآمان وأنا أضمن لكم سلامته وأنهم لا يتجاوزون
فيه الحق * فلم يمجهم قوله وأجابوه بكلام غليظ أغضبه فقام وتركهم * ولما
وصلهم أبو منصور بمنجوده دعاهم الى الانقياد والطاعة فأبوا فناجزهم الحرب
وكان بين الفريقين قتال شديد انهزمت على أثره زواغة وكان القتال قريبا
من أرض ذات غرس جديد ومن عادتهم ان يحوطوا الغرس أو الجنان
بحائط أو حبال توصل بين أعمدة مفروزة في الأرض بحافظة عليه من
الوحوش والحيوانات فصدت تلك الحبال زواغة عن الهروب وحبستها
حتى أخذ منها أبو منصور غرضه من القتل ثم رجع عنهم فدخلوا الى جزيرة
جربة وتحصنوا فيها والتجأ ابن خلف الى رجل من وجوه زواغة هناك
فأدخله في قصر من قصور الجزيرة وظنوا أنهم قد نجوا * ثم لما استراح أبو
منصور مدة واكتشف حقيقة حالهم وخبرهم في الجزيرة جدد النهوض اليهم
فسار في عسكر جرار الى أن قرب من الجزيرة ثم فكر في الأمر فرأى أن
الدرهم والدينار يعملان مالا يفعله الرمح والسنان * ويمهدان من الطرق مالا

تمده الفرسان * ويذلان من الصعوبات مالا تذللته السيوف عند الطمان *
فأرسل مع رجل من بني يهراسن مائة دينار الى الزواغي الذي عنده ابن خاف
هدية ولما وصله وسامها له وهو في بني معقل من زناتة صار يسأله عن أبي منصور
وأحواله ويقول له لو أتيت الينا في أولادنا لدفعنا لك * فعاد الرسول
الى أبي منصور وأخبره فطوى أبو منصور المراحل في أقرب وقت وكان له
طبل يأمر بضربه اذا حان وقت الصلاة فيقف أول المسكر وآخره فيصلي
بهم ركعتي السفر ويأمر بضربه للرحيل وجد السير حتى دخل جربة بلا حرب
ولا قتال فوجه الزواغي الى ابن خلف وهو في قصره وقال له انزل يا أيها الأمير
فقد أرملت كثيراً من نساء زواغة قال أبو زكرياء فقال له ولد خلف ليتكم لم
تسموني أميراً يا مشومات بالبربرية فأنتم لأنهم رجل عربي لا يحسن البربرية
اه فترسل ودفنوه الى أبي منصور فقيده ومضى به الى الجبل فحبسه فكان في
سجنه الى أن وجب حد السرقة على رجل أقبل عليه الحد قبل ذلك فاختلفوا
في محل قطع الرجل منه فوجهوا اليه السؤال فأجاب بأنها تقطع مما دون العقب
وقال سجنوني وأتوا يتعلمون مني العلم فأطلق أبو منصور سبيله بعد أن أظهر
التوبة وتحسنت أحواله بعد ذلك ورجع الى الحق فيما قيل وكانوا يلقبونه
بالطيب بن الخيث بن الطيب والله أعلم * وانما كان أبو منصور يضرب الطبل
عند دخول وقت الصلاة لأن النداء أو الأذان لا يكفي لا يقف تلك
الجيوش المنتشرة الكثيرة الممتدة مع الطريق ولا بد من أنهم يؤذنون قبل
اقامة الصلاة * فالطبل علامة على الأمر بالوقوف لا على الصلاة * ولعل اختلافهم
في مسألة قص الرجل كان لقصد امتحان الطيب وجعله وسيلة الى اظهاره
من السجن * والا فكيف يختلفون في مثل هذه المسئلة وهم في عصر كان الجبل

فيه مملوءاً بفحول العلماء والله أعلم *

— (ولاية العلامة أفلح بن العباس رحمه الله) —

« على جبل نقوسة وواقعة (مانو) »

* ولما توفي أبو منصور رحمه الله كتبت نقوسة الى الامام بذلك فولى عليهم العلامة أفلح وفي مدته كانت واقعة (مانو) التي قل فيها حدسيوف نفوسة وفنيت فيها أبطالهم وأبقت فيهم ثلثة عظيمة وهي المصيبة الكبرى التي تضعف بها ركن الامامة يتهرب اذ كانوا حصنها المنيع وسيفها البتار ودرعها المتين * ولما ضعفوا أخذت في التقهر بطمع الأعداء فيها وتسليطهم عليها حتى اضمحل أمرها كما سيأتي بيانه *

* وتفصيل هذه الحادثة الشنيعة هو كما ذكره المؤرخون كلهم منهم الشماخي رحمه الله حيث قال وكان ابراهيم بن أحمد من بني الأغلب والي بني العباس على أفريقية ظالماً جائراً فقدم طرابلس ولعله أفسد فاجتمع رأيي أكثر نقوسة على ملاقاته فأبى لهم أميرهم أفلح بن العباس وسعد بن أبي يونس عامل قنطرة (تيجي) ومعبد الجنائني وعزم من رغب في الجهاد واطهار المعروف ودين الله لتكون كلمة الله هي العليا * قال ابن الرقيق وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين تحرك ابراهيم بن أحمد يريد محاربة ابن طيلون وأمر بالحشد فلما اجتمع له ما يريد خرج من تونس لشمر خلون من المحرم فأقام برقادة الى سبعة بقين من صفر ثم خرج بجميع من معه فاعترضته أهل نقوسة في جمع عظيم وذلك في النصف من ربيع الأول فكان بينهم قتال عظيم فقتل من جنده جماعة من الرؤساء وغيرهم ثم انهزم أهل نقوسة وكان في أيام المعتضد فنبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً وتطارح منهم في البحر بشر كثير وقتلهم فيه حتى

غلبت حمرة الدم على الماء اه هذا ما ذكره صاحب السير رحمه الله نقلاً عن
 ابن الرقيق ولا سبب فيه ولا داعي الى حمل نفوسة على المارضة والوقوع في
 هذه المصيبة مع انهم أعانوا بني الاغلب قبل ذلك على ابن طولون كما تقدم *
 والذي أراه مناسباً وان كان قابلاً للنقض هو ما قاله العلامة أبو زكرياء رحمه
 الله من أن الجند كان قادمين من المشرق وسببه هو أن أخبار نفوسة وقوتهم
 قد تواترت عند بني العباس ملوك المشرق ولا زالت الرسائل تتوجه اليهم من
 القيروان وطرابلس فيقيدهم بأن دولة بني رستم بتيهرت لم تقم الا بنفوسة وكان
 ذلك في عهد المتوكل يبعثون فأتوا الى المغرب جيشاً وقدم عليه ابراهيم بن
 الاغلب ولما وصل طرابلس اجتمعت نفوسة على منعه من الجواز خوفاً من أن
 يكون قاصداً تيهرت دار امامتهم فأرسل اليهم يستأذنهم في الجواز فأجابوه بالمنع
 فطلب أن يتركوا له مقدار طول عمامة على ساحل البحر ليمر فيه فأبوا فلما رأى
 عزيمتهم أمر عسكره بأخذ الحذر وقال لهم اتخذوا طريقاً على ساحل البحر فان
 تركونا كان المراد وان تعرضوا لنا قاتلناهم ولما بلغ الخبر الى نفوسة قال بعضهم
 دعوا الرجل ولا تعرضوا له وأبى بعضهم الا ملاقاته * ومن كره ذلك الهلالة سمع
 ابن أبي يونس فقال له بعضهم عز عليك شداخ قنطرة (صنف من ثمرها) وكرهت
 الموت ولذلك تعرضت فقال خفت أن تذبح البقرة فيتبعها العجل يعني بالبقرة
 نفوسة وبالعجل قنطرة * ومن وافقه على رأيه العلامة معبد الجناوني وأميرهم
 أفلح ثم كانت الغلبة للرأي العام فلا قوه بموضع يقال له (مانو) وهو قصر
 قديم بين قابس وطرابلس واقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله قبله فيما قيل وكان فيهم
 رجل من شجعانهم ما برز له أحد الا قتله فخرج اليه أفلح بنفسه * وكان
 صاحب البند (أي العلم الكبير) العلامة شيبه الدجي فأمره أفلح بأن يشبته

في الارض فأبى فأمره ثانيا فأبى ثم أمره ثالثا وكأنه أضمر في نفسه للمشائخ
 الذين ألزموه بالحرب ما أضمر من الشر فقال له حملته مع ابيك وجدك ولم
 يأمراني بذلك وسأحفر له حفر الله لك ثم حفر له في الارض وركزه فانصرف
 أفلح وحام العسكر حول البند لا يولون الأدبار والحرب قائمة ولما رأى بعض
 أهل البصائر ما حل بالعسكر من القناء صرع البند فنفر قوا وقد مات منهم اثنا
 عشر ألفا أربعة آلاف منها من نفوسة والباقي من غيرها وأربعمائة عالم فيهم من
 المشاهير العظام والعلماء الكرام أبو ميمون وعمروس وماطوس وشيذه وميال
 ومعبد وجنا التنزغتي وقد كان شرع في بناء مسجد بتنزغت ببلده فجاءه الامر فتوجه
 قبل أن يتمه وهو باق الى الآن لاسقف له وسواريه من الحجر الصلد واقفة كما
 نصبت في ذلك الوقت ثم زحف ابن الأغلب الى قنطرة (مدينة تيجي)
 فنزل عليها بقتة بعد طلوع الفجر وحاصرها حتى ساءوا فقتل من قتل وأخذ منها
 ثمانين عالما وارتمل الى جهة نفاوة وكان بها من العلماء المشهورين العلامة
 أبو بكر يوسف النفوسي فوجه اليه رسله ولما وافقه سألهم أن يمهلوه حتى
 يصلي ركعتين فلما صلاهما أخذ في الدعاء سائلا ربه أن يصرفهم عنه فبعث الله
 ريحا عاصفا شتتهم وحالت بينه وبينهم وكان ضريرا فأخذ ابنه يوسف بيده
 وذهب فلم يدركوا له أثرا فمطف ابن الأغلب بالأسارى الى القيروان
 ومنهم العلامة ابن يتوب وكان مقطوع العرقوب ولما أرادوا وضع القيد فيه
 مد لهم الرجل المقطوعة ثم استأذن أصحابه في الهروب فأذنوا له فهرب ولما
 بلغ ابن الأغلب خبره أمر بقتل الباقيين فقتلوا عن آخرهم رحمهم الله ومن أخذ
 أسيرا عمروس رحمه الله وكان على فرس سابق يزدود عن العسكر ويحمي
 الأطراف ولما أعياهم أمره نسجوا له شبكة من حبال في طريقه فمثر فيها

جواده فأخذوه الى ابراهيم فقال له سلني العقو عنك لا ترك سبيك فقال له
ذلك بيد الله لا بيدك * وتلك كلمة لا أقولها أبداً حتى ألحق بالله وإنما أسألك
أن لا تكشف عورتني * فقرضوه بمقراض من خديده * ولما بلغوا المرفقين فاضت
روحه رحمه الله تعالى * ولعن ابن الاغلب العنيد * ومن الأسارى
أخت عمروس تلك العالمة الجليلة وبعض نسوة كن خرجن مع العسكر في أول
الأمس ولما خافت أخت عمروس على نفسها وعلى من معها الفساد من فساق
بني الأغلب أمرتهن أن تستخلف كل واحدة منهن على نفسها من زوجها
ممن يريد بها سوءاً * ثم ان نقوسة رجعت الى الجبل ونحصنوا فيه واجتمع
أهل الرأي منهم واتفقوا على عزل أفلح فزلوه وولوا ابن عم له ولما بلغه الخبر
غضب لذلك ونوى الشقاق والفتنة * ولما سمع أبو معروف بذلك وهو ممن
كره عزله خوفاً من الاختلاف بادر اليه وحذره الشر ونهاه عما كان يقصده
وأمره بالصبر والسكون فامثل أمره * ثم ان ابن عمه لم يحسن القيام بأمور
الناس فزلوه بعد ثلاثة أشهر وولوا أفلح * وقد ذكر المراكشي الحكاية
في تاريخه وبين ان نقوسة كانوا في عشرين ألف مقاتل * ولا أظنهم الا أكثر
من ذلك بأضعاف حسبما تقتضيه كثرتهم ومعارضتهم * ثم قال ولما قتل أكثرهم
تمادى الى طرابلس فقتل بها أبا العباس أحمد بن زيادة الله بن الأغلب وكان
أديباً ظريفاً له تواليف * وسبب قتله ان المعتضد بالله العباسي كتب الى ابراهيم
ابن أحمد يعنفه على سوء فعله بأهل تونس ويقول له ان انتهيت عن أخلاقك
هذه والا فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله ثم نهض من
طرابلس الى تاورغا فقتل بها خمسة عشر رجلاً وأمر بطبخ رؤسهم وأظهر
انه يريد أكلها هو ومن معه من رجاله فارتاع أهل العسكر منه وقالوا قد

خولط فاتقض الناس عنه فلما رأى ذلك خشي أن يبقى وحده فرجع الى تونس
فجعل عتوبة من انقض عنه غرم ثلاثين ديناراً فسمي غرم الهاربين اه فليتا مل
فانه مبين لما قلناه أولاً اعتماداً على كلام أبي زكرياء رحمه الله والله أعلم
بالحقيقة *

❦ واقعة أخرى لابن الأغلب ❦

❦ مع نفوسة ❦

* وبعد مضي سنة على محاربة (مانو) حدثته نفسه الخبيثة بالعود الى نفوسة
وتجديد الحرب معهم مادام جرح الأولى جديداً فأرسل ابنه أبا العباس
بمسكر في رجب من سنة أربع وثمانين ومائتين الى حيز نفوسة فقتل من
من وجده في الأطراف واستباح النساء وأتى الى والده ابراهيم بجماعة منهم
أسارى فأمر بقتلهم * ذكر الشماخي رحمه الله انه قدم اليه رجل منهم وكان
أحسنهم منظراً فقال له أظنك معلم القوم وامامهم فقال لست كذلك قال
فما تقول في قال ما أقول الا انك فاسق ظالم سفاك لدماء المسلمين أبعدك الله
فغضب وقال له والله لأقتلنك قتلة لم أقتل بها أحداً من أصحابك فقال له
ان كان الأمر بيدك ستفعل ماقلت وان كان بيد الله فهو أقوى فزاده غيظاً
وقال ومن ذا الذي يمنعك مني * ثم سمع الآذان فقام ليصلي بأصحابه فالتقى الله
في قلبه اللطف به فتركه وتحقق أن الأمر بيد الله واستأصل من قدر عليه
من أهل قنطرة فصح ماخاف منه العلامة سعد حتى قال ما سبق ذكره * وقد
ذكر هذه الواقعة المراكشي أيضاً ولما فيها من زيادة على ما ذكرناه تأتي
بكلامه ❦ ❦ قال ❦ وفي سنة ٢٨٤ كانت وقعة نفوسة لأبي العباس
ابن ابراهيم فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم نحو ثلاثمائة فلما وصل بهم

الى والده ابراهيم بن أحمد دعا بهم ففرب اليه شيخ منهم فقال له ابراهيم
أعرف عليك ابن أبي طالب (يشير الى مسئلة الحكمين والنهر وان) فقال له
لعلك الله يا ابراهيم على ظلمك وقتلك * فذبحه ابراهيم وشق عن قلبه وأخرجه
بيده وأمر أن يفعل ببقية الأسرى كذلك حتى أتى على آخرهم ونظمت
قلوبهم في حبال ونصبت على باب تونس اه فانظر أيها القاري الى هذا التمثيل
الشنيع * والفعل الفظيع * الذي لا يصدر من الوحوش الخسيسة فضلا عن يدعي
التوحيد * فقيح الله الاستبداد وأربابه ولعن كل جبار عنيد *

وقد ابتلي الله ابن الاغلب بعد واقعة (مانو) بفساد العقل فارتكب افعالا
لا تصدر من المجانين اذ شرع في قتل رجاله وأولاده وبناته ونسائه وكتابه
وحجابه حتى أنه قتل ثلاثمائة خادم من خدامه لأجل خادم واحد رفع منديلا
سقط من احدى جواره وقتل ابنه المسكن بأبي الاغلب صبرا بين يديه وثمانية
اخوة كانوا من رجاله وست عشرة بنتا في يوم واحد * قال الزمخشي رحمه الله *
قال ابن الرقيق وأتى بأمور لم يأت بها أحد قبله ولم يتقدمه الى مثلها ملك واتخذ
الأحداث حتى جمع أربعا وستين حدا وجعل لكل واحد منهم فراشا ومرة قدما
ولحافا ولبنة عن بعضهم أمر فقتلهم جميعا * منهم من ضرب بعمود حديد فطسار
دماغه وكان يحرق منهم كل يوم خمسة أو ستة حتى أتى على آخرهم * وادخل بعضهم
الحمام فسد عليهم وماتوا من حينهم وقتل ندماءه وطبيبه وقتل كتابه وحجابه
وسجن بعض كتابه واستعطفه على نفسه ومن جملة كلامه ان الملوك اذا ما
استرحموا فاجابه * بأن الملوك اذا ما استرحموا قتلوا * فقتله * وألجأه
وابل المطر الى مسجد قرية فسقط بعضه وخشي من سقوط الباقي عليه وعلى
أصحابه فخرجوا ووقفوا في المطر فأبصرهم فتى فأنزلهم وأحسن بما قدر وباتوا

بأحسن ميث وكان زمان التين فأدخلهم بستاناً له وأطعمهم ما أرادوا فأمر به
 فضرب ضرباً وجيعاً وكانت له عبيد صقالبة فرمى بعضهم من أعلى القصر وبعضهم
 أدخلهم بيتاً وبني عليهم ليموتوا جوعاً فوجدوا في البيت سيفاً فقتلهم واحد منهم ثم
 قتل نفسه فحزن عليهم اذ لم يموتوا جوعاً وقاتل صاحب الديوان وشريكه لا
 لأمر عظيم بأن قطع يدي أحدهما ورجليه وحمل رأسه إلى صاحبه فقال
 له ان لك خدمة وقديم صحبة ولا تقتلك قتلة مريجة فقال ماخنت لك عهداً
 منذ توليت فأمر بضرب عنقه وقتل ابنه أبا عقال اذ قال لأخيه ان أبي زال
 عقله وقاتل جوارزه وبناته فمن من خنق ومن من بنى عليها حتى ماتت
 جوعاً وله أفعال غير هذه واضطرب أمره ثم أظهر التوبة وأراد الحج ثم
 رجع غازياً إلى صقلية فمات طريداً ماعوناً ولم تبق أيامهم بعد ذلك الا قليلاً
 حتى اباد الله ملكهم وأهلكهم وأزال الأمر من أيديهم الخ اه المراد منه وهذه
 الاخبار مذكورة عنه في اكثر التواريخ بل فيها اكثر من هذا والله أعلم *
 وقع هذا كله بجهات نقوسة والامام بتيهرت لم يتوصل الى اعانتهم لبعده
 المسافة وخوف ايقاظ الفتنة بتلك الجهات أيضاً الا أن العدل عنده سائد
 والأمن عام في الرعية *

— (أحوال أرباب المذاهب بتيهرت وخطب الجمعة) —

﴿ في مدة هذا الامام ﴾

* المشهور أن لهؤلاء الاثنية كلهم دواوين خطب للجمع والاعياد
 اذ كانوا يخطبون بأنفسهم ولا يمدون خطبة خطبوا بها قط * وكلما بحثنا لم نعثر
 على شيء منها وقد تعرض ابن الصغير لشيء قليل من هذا الأمر حيث ﴿ قال ﴾
 ولم ينقموا على أبي حاتم شيئاً ثم نقموا عليه بعد ذلك أشياء أخذها ناساً بالهمة

وضربه بالسوط على الظنة الا ان البلد وقضاته وأصحاب بيت امواله
واصحاب شرطته ومن بالبلد من فقهاء الاباضية وغيرهم من الكوفيين
والمندنيين لم يطالب بعضهم بعضاً ولا سعى بعضهم ببعض *

وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا يذكرون عليه
شيئاً الا أن الفقهاء تباحث المسائل فيما بينها وتناظرت واشتهت كل فرقة
ان تعلم ماخالفتها فيه صاحبها ومن أتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربه
وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الاباضية الى حلق غيرهم كان
سبيله كذلك الى أن قال وحضرت لخطبائهم خطباً كثيرة * أولهم ابن أبي
ادريس * والثاني أحمد التيه * والثالث أبو العباس بن فتحون * والرابع عثمان بن
الصفار * والخامس أحمد بن منصور وكل من رأيت من خطبائهم على المنابر فليس
يستعملون في خطبهم الا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خلا خطبة
التحكيم فاتهم كانوا اذا فرغوا من الخطبة الاولى قاموا الى الخطبة الثانية
وحكمه واوسوف اذكر خطبة التحكيم فيما يلي هذا الكلام * فلم يزالوا كذلك
الى أن ولي الخطابة رجل منهم يقال له أحمد بن منصور * وسمعت يخطب
هذه الخطبة ثم يخطب بعدها بخطبة التحكيم فلقيته وما ينته وقلت له أن خطبتك
التي سمعت منك اليوم ليست من خطب اسلافك * فقال لي حملي عليها
عثمان بن احمد بن بجياج * وكان مقدماً عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما
استحسن لهم فخطبت بها لأنه استحسنها لي *

﴿ والخطبة هي هذه ﴾

﴿ الحمد لله ﴾ الذي ابتداء الخلق بنمائه * وتقدم جميعاً بحسن بلائه
فوفق كل امرئ منهم في صباه * الى ما يحتاج الله من غذائه * وسخر له

من يكاؤه الى وقت استغاثته * ثم احتج على من بلغ منهم بالآله * وأنذرهم
 بأنبيائه * الذي لم يزل بصفاته واسمائه * لا يشتمل عليه زمان * ولا يحيط به مكان *
 خلق الأماكن والازمان * ثم استوى الى السماء وهي دخان * فقال لها وللارض
 ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقدرها أحسن تقدير * واخترعها من غير
 نظير * لم يرفعها بعمد تدرك بالمعانيه * ولم يستعن عليها بأحد استكباراً عن الشركه
 والمعاونه * ووزنها للناظرين * وجعل فيها رجويا للشياطين * فبورك الله أحسن
 الخالقين * تعالى ان تطلق في وصفه آراء المتكلفين * وأن تحكم في دينه اهواء
 المقلدين * بل جعل القرآن اماماً للمتقين * وهدى للمؤمنين * وما جال للمتنازعين *
 وحكماً بين المتخالفين * ودعا أولياءه المؤمنين الى اتباع تنزيله * وأمرهم عند التنازع
 في تأويله بالرجوع الى قول رسوله * صلى الله عليه وسلم * بذلك نطق محكم كتابه اذ
 يقول جل ثناؤه * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر
 منكم * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون
 بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً * وتعبد نبيته صلى الله عليه
 وسلم عند رجوع الأمة في تأويل ما اشكل عليها اليه * بأن يبين لهم معنى ما انزل
 عليه * فقال * وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه * ولم
 يكلمهم تملئ الى القول في دينه بأرائهم * ولا اذن لهم في مسامحة اهوائهم * فتكون
 الاحكام مبتدعه * والآراء مخترعه * والاحكام متبعه * بل أحصى كل شيء عدداً *
 وضرب لكل شيء أمداً * ليهلك من هلك عن بينة * ويحيى من حيى عن بينة *
 * وأحمد هدايبلغ رضاه * ويحتسب آلاؤه * واستعينه على ما استحقه ظننا من ودائع *
 وحفظ ما استودعنا من شرائعه * ونومن به ايماناً من أخلص عبادته * واستشعر
 طاعته * وتوكل عليه توكل من اتقاع اليه ثقة به * ونرغب فيما لديه * واشهد أن

لا اله الا الله وحده لا شريك له . شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد . مقرر له بالمعظمة والتمجيد . خائف من انجاز ما قدم له من الوعيد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاؤه لنفسه وليا . وارتضاه خلقه نبيا . فوجده على حفظ ما ضمنه قويا . وبأداء ما استودعه مليا . والدعاء الى ربه حفيا . ومتوقفا عند ورود المشكلات . ومشرأا عند انجلاء الشبهات . لا يرعوي لمن عذله . ولا يلوي على من خذله . ولا يطعم غير من ارسله . يصدع بالامر . ويظفيء نار الكفر . لم تأخذه في الله لومة لائم . ولم يخرف عنه لزعم زاعم . ارسله على حين فترة من الرسل . ودروس من السبل . وتضامن من أهل الملل . والناس فريقان عالم مستكبر . وجاهل مستظمر . فالعالم الذي قد سبق له الخذلان ينزغة الشيطان . ويجمع به الطغيان . فيستنكف عن الدخول في الايمان * والجاهل متمسك في غيه متحير في أمره . منتظر ما يكون من غيره . فلم يزالا يعكفان على الأزلام . ويعتصمان بالأصنام . والرسول عليه السلام . يرعاهم رعي السوام . ويدعوهم الى دار السلام . فلم يزل عليه السلام يعظمهم بالآيات . وقرعهم بالمعجزات . حتى استقام من احب الله توفيقه من سائر أهل الديانات . فبلغ المحكمات . وأوضح المشكلات . وزجر عن القول في الدين بالشهوات . فختم الله به النبيين وأكمل به الدين . وأوجب به الحجة على العالمين . صلى الله عليه وعلى آله الطيبين . واخوانه المرسلين وأوليائه من المؤمنين . ثم جلس ثم قام فقال .

خطبة التحكيم

الحمد لله الذي نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره . ونبرأ من الحول والقوة اليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له . ونشهد أن لا اله

الا الله وحده لا شريك له. وأن محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
 ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الله ربنا ومحمد نبيتنا والاسلام ديننا.
 والكعبة قبلتنا. والقرآن امامنا. رضينا بحلاله وحلالا. وبمحرامه حراما. لا نتغي به
 بدلا. ولا عنه حولا. ولا نشترى به تمنا. لاحكم الا الله اتباعا لكلام الله وسنة
 نبيه صلى الله عليه وسلم وخلافا لأهل البدع. لاحكم الا الله خلعا ونبذاً وفراقاً
 لجميع أعداء الله. لاحكم الا الله ولو كره الجبارون الحاكمون بنير ما أنزل الله.
 وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون
 اللهم صل على محمد وعلي آل محمد وارحم محمداً وآل محمد وبارك على محمد وآل
 محمد كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
 مجيد. اللهم صل على المصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين
 لهم باحسان. اللهم وارحم الشراة في سبيلك أهل الفضل في الاسلام. اللهم
 أرض وصل على الخليفين المباركتين بعد نبيك. أبي بكر وعمر امامي الهدى
 بما عملاه من كتابك. وما أثاراه من نبيك. اللهم وأصلح الأمير يوسف بن
 محمداً صلحه وأصلح على يديه. ووقفه للخير وأعنه عليه. وافتح له من عندك
 أعواناً وأنصاراً على طاعتك. اللهم اعزز به الاسلام وأهله. واذلل به الكفر
 وأهله. وانصره نصراً عزيزاً. وافتح له فتحاً يسيراً. وهب له من لدنك سلطاناً
 نصيراً. كفي بك ولياً وكفي بك نصيراً. اللهم اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
 بالآيمان. ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم. ثم
 قرأ قل هو الله أحد ثم نزل اه*

* الى هنا انتهى ما وقفنا عليه من كلام العلامة ابن الصغير المؤرخ
 المالكي في أئمة بني رستم ومدينة (تيهرت) دارا امامتهم وهو كلام لم يجسد به

أحد من المؤرخين منا ومن غيرنا لا قبله ولا بعده والله أعلم *

❦ وفاة هذا الامام ❦

❦ وعدد مدته ❦

* ثم ان الله سبحانه وتعالى قضى على هذه الدولة بالانتهاء وحكم بخراب ملك هذه العائلة كما قضى على من قبلها ومن بعدها من الملوك والسلطين والخلفاء تصديقا لقوله تعالى وهو اصدق القائلين ❦ كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون * وقوله يعز من يشاء ويذل من يشاء ❦ فتغلب الشيطان على عقول أبناء أبي اليقظان أخي الامام وصور لهم انهم أحق بالامامة من عمهم * ولعلمهم بأن الرعية كلها راضية به وبأحكامه وأنهم لا يمكنهم الوصول الى عزله وخلمه ولا الى افارة فتنة يكتسبون بها استقلالاً ولو ببعض الجهات أجمعوا على الغدر به ظناً منهم انهم لا ينازعون بعده في شيء فجمعوا عليه وقتلوه على حين غفلة وانصبوا مكانه باتفاق مع من شايعهم واحدا منهم وهو اليقظان وذلك سنة أربع وتسعين ومائتين ٢٩٤ بعد أربعة عشر عاماً من يوم ولايته ذاق فيها الحلو والمر ثم ختم له بالشهادة فرحه الله ورضي عنه * فأقام اليقظان في الامارة سنتين مهدءاً الجوانب مضطرب الأحوال لما كان في ذلك العهد من استفحال أمر عبيد الله الشيعي وظهور دعوته في المغرب وملكه الذي به انقراض ما كان بالمغرب ومصر من الممالك والامارات * وومن سعى في تقديم اليقظان وتسليم أمر الامامة له العلامة أبو الخطاب وسيل بن سنتين الزواغي الذي آثى عليه صاحب الطبقات وقال * مذكور فيمن أفنى بدنه في العبادة وماله في الصدقة موسوم بسمه الصلاح معدود في ديوان علماء وقته الخ *

* وعلى هذا فاليقظان في رضائه ولعله غير داخل مع اخوته في مسألة قتل الامام أو لم يصح عنده اتفاهه معهم ولذلك لما عاتبته نفوسة الجبل على بعض أمور منها التزامه الامر لليقظان قال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا يما تبنوني على ما بلغهم مني من التقصير قبل يوم القيامة * ثم قال انما التزمت الامر لليقظان احتساباً لله لا لليقظان *

❦ انقراض ملك بني رستم من تهرت ❦
❦ واستيلاء الشيعة عليها ❦

* لا ملك الا ملك الله * ولا حول ولا قوة الا بالله * كان عبيد الله الشيعي رجلاً من المشرق على مذهب الشيعة ينتسب الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها قدم الى المغرب يطلب الملك فيه لرؤيا رآها في نومه وقد صدقت الرؤيا ونال الملك وقر الملوك وطنى وتجر وآل ملكه بعد الى الاضمحلال كغيره والله أعلم *

* ذكر كل المؤرخين ان زوال ملك بني رستم كان على يد الشيعي الا أنهم لم يذكروا خبره بالتفصيل وغاية ما قالوه ان للشيعي مع بني رستم في تهرت خبراً طويلاً والذي ذكره أبو زكرياء رحمه الله ان للامام أبي حاتم بنتاً اسمها (دوسرا) ولعبيد الله الشيعي مولى اسمه الحجابي (أبو عبد الله) أرسله الى قبيلة كتامة فأقام فيها الى أن ظهر أمره وملك سجلماسة فأرسل اليه بالقدم * وكانت (دوسرا) توجهت اليه مع أخ لها لقاتل والدها الامام وأخبرته بما وقع ووعدته بالتزوج به ان أخذ لها ثار أبيها فلم يجبه بشي مؤلمادعاه عبيد الله الى سجلماسة من القرب من تهرت فخرج اليه من فيها من وجوه فرق الشيعة والواصلية والصفرية والمالكية وقدموا له الشكاية في اليقظان ووعدوه بالاعانة بالمال

والرجال ورغبوه في استيصال هذه العائلة كلها وانزع الأمر من أيديهم * ولا رجال ولا عسكر لليقظان ولا قوة له لادبار الناس عنه بما وقع من قتل الامام فأرسل اليه الحجابي رسلا يطلب منه الاجتماع به فخرج اليه ومعه بنوه واخوته وأتباعه ولا فاه على أميال من تهرت ولما اجتمع به قال له (متجاهلا) ما اسبك فقال له اسمي * اليقظان * فقال الحجابي بل أنت الحيران * ما بالكم قتلتم أميركم * وسلبتم من أنفسكم ملككم . وأطفيت نور الاسلام وألقيم الياس بأيديكم بغير قتال ولا حصار * ثم أمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وذلك في شوال سنة ٢٩٦ ولما سمعت دوسرا بنت الامام بذلك هربت خوفاً من ان يطلبها الحجابي للتزوج بها كما وعدته ثم ات الحجابي دخل تهرت ونهبها واستباحها وقصد المكتبة المعروفة بالمصومة وأخذ ما فيها من الكتب الرياضية والصنائع وغيرها من الفنون الدنيوية وأحرق الباقي كله ومن هناك فقدت أغلب مؤلفات المذهب اذ كانت المكتبة عظيمة جامعة * وطلب (دوسرا) بكل جهد فلم يقف لها على أثر *

✽ خبر العلامة يعقوب بن أفلق ✽

﴿ رحمه الله ﴾

* ذكر أبو زكرياء رحمه الله ان يعقوب رحمه الله لما بلغه مجيء الحجابي الى (تهرت) خرج منها في خيل من أصحابه وأقاربه وأهله قاصداً مدينة (وارجلان) ولما سمع به الحجابي أرسل في أثره عسكراً وكان يعقوب على جواد عظيم الشأن يضرب به المثل في المغرب كله ولما لحقه العسكر اعترضهم في الطريق وصدمهم عن الاتصال به وبمن معه وكلما رآهم سائر ينحوه أمراً من معه بالمسير ووقف هو في الطريق فاذا رآه العسكر واقفاً ينتظرهم وقفوا

في مكانهم رعباً منه لما كان له من الهيبة والشدة . ولما أعيام أمره ولم يقدرُوا
 له على شيء رجعوا وتركوه لحاله فنظر إلى الطالع في السماء ثم قال لأصحابه افترقوا
 فقد انقضت أيامكم وزال ملككم فلا يعود اليكم إلى يوم القيامة وما اجتمع منكم
 ثلاثة إلا وقع عليهم الطلَب فترقوا وأقبل هو بمن معه على وارجلان وذلك
 على عهد العلامة أبي صالح جنون بن يريان رحمه الله فلقاه أبو صالح في جوع
 وارجلان لما بلغه وصوله وأدخلوه وأكرموه وأحسنوا القيام به ثم طلبوه
 أن يولوه الإمامة هناك فامتنع وقال لا يستر الجبل بالغم فأرسلها مثلاً ومكث
 فيهم زمناً طويلاً ثم توفي ودفن في مقبرة أبي صالح قال أبو زكرياء وقبره
 في عصرنا هذا لم يندرس كأنه ربوة اه *

* وذكر أن بعض أهل وارجلان قال له أتحفظ القرآن كله فقال له
 معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى ما لم أحفظه وأعرف معناه فكيف
 بكتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . ومما يحكى عن
 خشوعه أنه كان في بعض الليالي قائماً يصلي فوق سقف البيت ولم يبق منه
 إلا ما كان فوقه ولما جاء الناس للبحث عنه وجدوه واقفاً على ما هو عليه ولمسألوه
 قال لهم ظننت أن القيامة قد قامت * أي لما وقع من الزلزلة * ولم يعلم بأن
 ذلك من السقف لاشتغاله وله أخبار غير هذه مذكورة والله أعلم *

﴿ بيان بعض من ولي تهرت ﴾

﴿ بعد بني رستم ﴾

* ذكر المرء كشى طرفاً من أخبار تهرت بعد بني رستم وهو أحسن
 ما وقفت عليه من كلام المؤرخين في هذا المقام وإن كان مفرقاً مشتتاً في
 تاريخه . نخذه مجموعاً موصولاً من لفظه ﴿ قال ﴾ فسار أبو عبد

الله (الشيعة سنة ٢٩٦) حتى حل بمدينة (تهرت) فدخلها بالآمان وقتل
من بها من الرستمبة * يقظان بن أبي اليقظان وجماعة من أهل بيته وبعث
برؤسهم الى أخيه أبي العباس وأبي زاكى خليفته برقادة وطرفت بالقيروان
ونصبت على باب مدينة رقادة وانقضت دولة بني رستم بتهرت اه *
* فتوالث عليها بعدم المصائب * وتتابعت عليها النوائب. وتراكم على أهلها البلا *
وفشا فيهم الشغل والجلال. وامتنحوا بالزلازل والقتال * ونجروا كؤوس الذل
والوبال * وما ينزل بهم عامل الا وتحضر عمال * وما يطرأ عليهم حال الا وتظهر
أحوال * وقد وضع المؤرخ المراكشي بعضا من ذلك حيث قال * ثم ولى
أبو عبد الله على {تهرت} أبا حميد دواس بن صولات اللهيبي وكان يلقب
بالسيد الصغير ثم نهض حتى احتل مدينة سجلماسة وحاربها يوم الأحد لسبع
خلون منه ففتحها في هذا اليوم وأخرج منها عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم
وكانا محبوبين في غرفة عند مريم بنت مدرار وفي سنة ٢٩٧ خالف على
أبي عبد الله الشيعي محمد بن خزر بن صولات الزناتي وأقبل الى مدينة
{تاهرت} وطمع بأخذها وأخرج دواس بن صولات منها وان يقطع بأبي
عبد الله وبمن معه في انصرافهم من سجلماسة وباطنه على ذلك قوم من أهل
(تاهرت) يعرفون ببني دبوس فاستدعوه فوشى بهم الى دواس عامل الموضع
فحبسهم في حصن ابن بخانة المعروف (بتاهرت) القديمة وحارب محمد بن خزر
(تاهرت) وتقلب على بعض أرباضها فلما رأى ذلك دواس هرب الى ابن حمة
صاحب القلعة ووثب أهل حصن ابن بخانة على بني دبوس عندهم فقتلوه ودفع
أهل (تاهرت) محمد بن خزر وجاربه ثم كاتبوا دواسا فأنصرف اليهم ورجعت
قبيلة زناتة الى (تهرت) وحاصروا دواس بن صولات فيها فأخرج اليهم

عبيد الله قائدا يعرف بشيخ المشايخ فهزم زناته وقتل كثيرا منها وفي سنة ٢٩٩ فتحت (تهرت) وكان أهلها قد ناروا على دواس عامها وأرادوا قتله فهرب منها الى (تهرت) القديمة وتحصن بها وقتل فيها أكثر أصحابه وكانوا في نحو ألف فارس واستدعوا محمد بن خزر فقدم عليهم وأدخلوه البلد وولوه وبرزوا اليه بأم دواس وعياله وأكثر سلاحه ثم خذلوه وخذلهم فزال عنهم وانصرف الى موضعه ثم أخرج عبيد الله المساكر الى (تهرت) في أعداد عظيمة وخلق لا يحصى كثرة فنزلت عليها يوم الجمعة لانسلاخ المحرم وحارب أهلها ثلاثة أيام ثم أخذوا بالكيد ودخلت المساكر (تهرت) يوم الثلاثاء لأربع خلون من صفر فقتلوا وسبوا النساء والذرية وانهبوا الأموال وحرقوها بالنار وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل ثم ولي عبيد الله (تهرت) مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي وانصرف دواس بن صولات الى مدينة رقادة وقتله عبيد الله بعد ذلك وفي سنة ٣٠٤ خرج مصالة بن حبوس من (تهرت) لمحاربة سعيد بن صالح بن ادريس صاحب (ناكور) فدارت بينهم حروب كثيرة *

﴿ أقول قال صاحب الاستقصاء وفي سنة ٣٠٥ أحرقت النار أسواق مدينة فاس وأسواق (تهرت) قاعدة زناته وأحرقت أسواق قرطبة وأرباض مكناسة من بلاد جوف الأندلس وكان ذلك كله في شوال من السنة المذكورة فسميت سنة النار اه * ﴾

* وفي سنة ٣١٠ قدم مصالة الى المهديّة على عبيد الله فأقام بها أياما ثم صرفه الى (تهرت) فخرج اليها في شعبان وفي هذه السنة خالفت نفوسة على عبيد الله وقدموا على أنفسهم بأبلة فاجتمع اليه عدد كثير واشتدت

شوكته فأخرج اليهم عبيد الله علي بن سليمان الداعي في جمع كثير فلما
قرب منهم ثبتوا فقتلوا كثيرا من أصحابه وانهزم الباقون وتفرقوا عن علي
ابن سليمان فسار علي إلى طرابلس وكتب إلى عبيد الله بذلك فكتب عبيد
الله إلى علي بن لقمن عامله على قابس بأن يقتل كل من مر به من المنهزمين
فقتل منهم جماعة وأمد عبيد الله علي بن سليمان بالجيوش وأخذ في حصار
نقوسة بعزم وفي سنة ٣١١ أوقع علي بن سليمان بأهل نقوسة ودخل حصنهم
وهدمه وقتل الرجال وسبي الذرية وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة
بقيت من شعبان وفي سنة ٣١٢ خرج مصالة بن حبوس من (تهرت) إلى
زناتة فأدأخ بلدهم وقتل وسبي وأخرج خيلا إلى بعض نواحي ابن خزر وكان
فيها أكثر حماه ووجوه رجاله وبقي مصالة في نفر من أصحابه فبلغ ذلك ابن
خزر فقصد نحو مصالة ودارت بين الفريقين حرب عظيمة قتل فيها مصالة
وانهزم أصحابه وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان وفي سنة ٣١٤ زحف
ابن خزر إلى (تهرت) وحاربها فانهزم عنها وأخرج عبيد الله في أثره موسى
ابن محمد الكتامي في جماعة من القواد فلما صار بطبنة دخل محمد بن خزر
الصحراء وأبقى أخاه عبد الله مع وجوه رجاله بوادي مطاطة فدارت بينه
وبين جند الشيعي حرب عظيمة كان الظفر فيها والغلبة لابن خزر ثم أخرج عبيد
الله إليه أسحق بن خليفة وأصحابه وخالفت على الشيعي لماية وما جاورها من
القبائل واستدوا بابن خزر فكتبوا إلى عبيد الله مستعين فأمدهم بجيش كثير
فهمزموه وراست هذه القبائل محمد بن خزر فولى عليهم أخاه عبد الله ودارت
بينه وبين جيوش الشيعي وقائع كثيرة * وبعد وفاة مصالة تولى (تهرت)
أخوه يصل بن حبوس إلى أن توفي سنة ٣١٩ ثم وليها أبو مالك بن

يغمر اسن بن أبي شحمة اللبيصي فقام عليه اهل البلد وأخرجوه سنة
٣٣٣ ووليها ابو القاسم الأحذب بن مصالة بن حبوس فقدموه على
انفسهم فأقام عليهم سنة واحدة فلما انصرف ميسور من ارض المغرب
الى افريقية حاربهم حتى ظفر بالبلد فقتل ابا القاسم بن مصالة المذكور وولى
على (تبرت) داود بن ابراهيم العجيسي فأقام واليا عليها الى ان اخرجته
حميد بن يصل في جمادى الآخرة من سنة ٣٣٣ في ايام ابي يزيد خلد بن كيداد
اليفرني وخرج حميد بن يصل من (تبرت) في سنة ٣٣٣ في خبر طويل
ذكره وجاز الى الاندلس واحتل اسماعيل الشيعي مدينة (تبرت) وولى عليها
ميسورا الفتي فاضطرب عليه اهل البلد لأنهم سار فيهم بسيرة غير مرضية فاستدعوا
محمد بن خزر الزناتي وابنه الخير ومن معها من زناتة فقدموا الى (تبرت)
في جمع عظيم وأظهروا أنهم ناصرون لميسور فخرج اليهم فغدروه وأسروه
ودخل بنو خزر وزناتة مدينة (تبرت) ونزلوا دار الأمانة ثم اضطرب
أهل (تبرت) وتقلب عليها يلى بن محمد اليفرني الزناتي الى ان قدم جوهر
قائد الشيعة سنة ٣٤٩ هـ بدون زيادة ولا نقصان الا ما كان من بعض كلمات
يقع بهاربط كلامه المتفرق لا يترتب عليها شيء من جهة المعنى الأصلي ولم
نقف على من وليها بعد هذا التاريخ ولم نعلم نهاية عمراتها متى كانت الا ما
يؤخذ من كلام ابن خلدون فانه بعد أن تكلم على أحوال بني رستم فيها
باختصار وتكلم على بعض من وليها بعدهم ممن ذكرناهم هاهنا قال «ولم تزل
(تاهرت) هذه بعد لأعمال الشيعة وصنماجة سائر أيامهم وتقلب عليها
زناتة مراراً ونالها عسكر بني أمية راجعة في أثر زيري بن عطية أمير
المغرب من مغراوة أيام أجاز المظفر بن أبي عامر من العدو الى حربه ولم يزل

الشأن هذا الى أن انقرض أمر تلك الدول وصار أمر المغرب الى دولة
 الموحيدين من بعدهم وملكو القرس وخرج عليهم بنو غانية بن صاحبة قابس
 ولم يزل يجيء منهم جلب على ثغور الموحيدين وشن الغارات على بسائط
 أفريقية والمغرب الأوسط وتكرر دخوله اليها عنوة مرة بعد أخرى الى
 أن احتمل سكانها وخلاجوها وغنار سمها لما تناهى عشرون من المائة السابعة
 والأرض لله اه والذي يؤخذ من التاريخ أنها خربت مرارا وعمرت ولعل
 ما ذكره ابن خلدون هو خرابها الأخير الذي لم تعمر بعده * « هذا » وبعد أن
 تبادلتها أيدي الشيعة وغيرهم ممن سعى في الأرض فساداً أضحت آثار العدل
 منها وتغيرت معالمها وساد فيها الجهل وسارت في التعمير والادبار على نسق
 ما كانت عليه أيام بني رستم من التقدم في العلوم والعمران وقد بلغ الجهل بأهلها
 في آخر أمرها مبلغاً يكاد يكذب به سامعه * ومن ذلك ما ذكره المؤرخ
 القزويني حيث قال * ويحكى أنه رفعت الى قاضيه (يعني أصحاب تهرت)
 جناية فما وجدها في كتاب الله فجمع الفقهاء والمشايع (صورة) فقالوا بأجمعهم
 الرأي للقاضي فقال القاضي اني أرى أن أضرب المصحف بعصه ببعض ثم
 افتحه فما خرج عملنا به فقالوا وقتت (الى الصواب) أفعل فعمل فخرج
 « قوله تعالى سنسمه على الخرطوم » فجذع (قطع) أنفه اه
 * وقد تضاربت أقوال المؤرخين وتباينت في تقدير مدة عمراتها بإمامة
 بني رستم كما اختلفوا في مدة كل امام منهم وقد قدمنا الراجع من ذلك *
 * فقال بعضهم ١٣٠ وبعضهم ١٥٠ سنة وعلى هذا القول جرى والذي
 حفظه الله في قصيدته التي رثى بها استاذه عمه الشيخ سعيد الباروني نزيل
 جزيرة جربة وعالمها الوحيد في عصره رحمه الله حيث قال *

وأين الأئمة الكرام جميعهم * بنو رستم كأس الناياء تجرعوا
 لقد أسسوا (تهرت) بالقرب وارتقوا * مدارج عز الملك فيها وأبدعوا
 وداموا بها خمسين عاما ومائة * يحفهم من كان بالعضب يقطع
 فبددتم رب المنوت وأصبحت * منازلهم قفرا بها الريح زعزع
 * وأنماها بعضهم الى ١٦٠ سنة وهو صاحب المكتبة الصقلية المطبوعة بمطبعة
 ليسيك الأفرنجية (قال) وزال ملك بني الأغلب وبني مدرار الذين منهم
 اليسع وكان لهم ثلاثون ومائة سنة منفردين بدجلاسة وزال ملك بني رستم
 من (ناهرت) ولهم ستون ومائة سنة وملك المهدي (الشيبي) جميع ذلك اه
 * والذي يؤخذ مما رجحناه فيما سبق من مدة كل امام أنها لم تتجاوز
 ١٤٠ سنة ولعل من قال بأكثر من هذا يرى ان امامة عبد الرحمن رحمه الله
 مؤسس (تهرت) كانت قبل ١٦٠ من الهجرة وهو غير بعيد ان اعتبرناها
 من يوم وفاة أبي الخطاب وخروجه هو من القيروان كما قدم والله أعلم بالحقيقة .
 — رثاء (مدينة تهرت) —

﴿ لما خربت ﴾

* تقدم ما هو كاف في بيان بعض ما كان فيها من العلماء والأدباء والشعراء
 ولا نشك في انهم رثوها بقصائد كثيرة وبكل أسف لم نعتز على شيء منها
 كلما بحثنا الا بعض أبيات ذكرها العلامة الراكشي وهي تسيل الدمع
 وتكلم الروح وتحرك الأحزان . وتدل على ما كان لقائلها من القدرة على
 اختيار العبارات المؤثرة بمعانيها المبهجة المثيرة للحنين الى معاهد الأولين .
 وآثار المتقدمين . ﴿ قال ﴾ ومما قيل حين قضى الله بخرابها وانتقل أهلها
 وأربابها عنها .

(خليلي عوجا بالرسوم وسلما * على طلال أقرى وأصبح أغبرا)
 (ألمأ على رسم (تبهرت) داتر * عفته الغواذي الراحات فأقبرا)
 (كأن لم تكن (تبهرت) دارالمشر * فدمرها المقدور فيمن تدمرا)
 * قال وقال بمض شعراء (تبهرت) من قصيدة أولها *

(فراغ الهوى شغل * وحميا الهوى قتل

ويوم الهوى حول * وبمض الهوى كل)

(وجود الهوى بخل * ورسل الهوى عدا

وقرب الهوى بعد * وسبق الهوى مطل)

(سقي الله (تبهرت) المناو (سويقة)

بساكنها غيثا يطيب به الحل)

(كأن لم يكن والدار جامعة لنا

ولم يجتمع وصل لنا ولا أهل)

(فلما تهادى العيش وأنشقت المصا

تداعت أهاضيب النوى وهي تنهل)

(سلام على من لم تطق يوم ينثا

سلاماً ولكن فارقت وبها نكل)

(وماهي آماق تفيض دموعها

ولكنها الارواح تجري وتنسل)

* قال وتبهرت القديمة هذه هي التي خربها الخيزر بن محمد بن خزر الزناتي

سياحتي في المغرب وزيارتي تبهرت

* كنت ارتحلت من مصر بعد أن جاورت في الازهر العاشر نحو ثلاث

سنين الى المغرب الأوسط سنة ١٣١٣ فقصدت جبال بني مصعب من أعمال
الجزائر لطلب العلم من عالم الاسلام امام الأئمة الاعلام أستاذي الشيخ محمد
ابن يوسف الميزابي صاحب الصيت البعيد والذكر الحميد الذي عرفت الدول
حق قدره فرصت صدره بالنياشين المعتبرة بدون ان يسألها أو يتصدي لها
وناهيك من رجل حاز ذلك على بعد مكانه وقلة الوسيلة من أمير
المؤمنين وسلاطان المسلمين المعظم عبد الحميد بن عبد المجيد خان العثماني صاحب
مملكة القسطنطينية العظمى ومن السلطان المعظم ملك دولة الزنجبار ومن
الدولة الفرنسية الكبرى * فأقت عنده ملازماً مجلسه الفاخر نحو ثلاث
سنين أيضاً أظهر رضي الله عنه في اثنتائها من الاعتناء بشأني والاجتهاد في
ارشادي مالا أقدر قيمته ببيان * فجازه الله عني بما هو أهله وأسكنه بعد عمر
طويل غرف الجنان . كما لا قيت من الاخوان الكمل والأصدقاء الافاضل
اهل المروءة والأدب الكامل ممن عرفوني هنالك كل حفاوة
واكرام . وتبجيل واحترام حتى كدت أهجر بلادي واتخذ بلادهم وطناً لي .
ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تعاب بنسيان الأجابة والأهل
* ولما كنت أسمه كثيراً من أستاذي هذا على تيهرت وعمرانها * وبني
رستم وعدلهم فيها اشتاقت تقسي الى زيارة اطلالها والوقوف على ما بقي من
آثارها * اعتباراً بمن مضى وتزوداً من بركات من وطؤا أثارها * وعمرها
بذكر الله سهلها ورباها * فاستاذنت الامام في السفر وبعد مماطلة وتسويق
طويل أنعم بالأذن وشيعني مسافة أخجل من بيانها لعلو مقامه وصغر مقامي
وان علم بها الخاص والعام * ولقيني بمالا أحمل حمله مما لم يجد به لغيري وزودني
من دعائه الصالح وتوجيهاته القلبية ما لم ازل استمد منه الرشد والتوفيق ولا

أضام معه باذن الله مادمت حيا * فقصدت الجزائر ومنها عظمت الى
« تيارت » وهي « تهرت » القديمة يصحبنى من الأصدقاء عدد لا أنسى
ذكرهم ولا أقدر فضلم على متن وابورالسكة الحديدية فاخترق بناجبالا *
وقطع أودية * وهو يزأركلا أسد كلما دخل غاراً * أو تجاوز قنطرة * وكأنه
يدرك ببصيرة نقاده * ويصر بأبصار وقادة * أو يهتدي بالدليل فيقتحم المغاوز
بالليل * الى أن وصلنا « تيارت » ونزلنا عند صديق لنا من افاضل
تجار بني ميزاب فأكرم نزلنا ثم سار معنا على ظهر البابور الى « تهرت » *
* فنزلناها واذاهي لم يبق منها إلا آثار ورسوم وأقاض متراكمة يجمعها
الفلاحون ليحرقوها أما كنها . وبقي من سورها شيء قليل في ناحية يدل على
منعته وقوته وزرنا النار الموجود فيها بالقرب من الشجرتين اللتين يقال انهما
من وقت عمرانها والمشهور عن النار أنه معبد لبعض زهاد ذلك الوقت ويعترف
له الاعراب المجاورون لها ببعض كرامات منها ما أخبرني به بعضهم من أن
نصرانياً كان في السنين القريبة يرعى خنزيراً له ويأوي اليه في بعض الاوقات
للمبيت أو المقيط فيه ولما سمع بنو ميزاب التجار (بتيارت) أو غيرها نهوه
عن ذلك مرارا وحذروه فلم ينته ثم أصبح في بعض الايام وهو فيه أعشى
وخنزيره هباء بجانبه فاعتبر وندم حيث لا ينفعه الندم . ومن عادة بني ميزاب
زيارتها في كل سنة مرارا والتصدق فيها وقراءة القرآن فكان يبعث اليهم
يسألهم أن يقبلوا منه صدقته مع صدقاتهم رجاء أن يرد الله عليه بصره فلا
يقبلون منه فأتى مرة بنفسه وذبح وتصدق وذهب وقد سألت عنه لما سمعت
الحكاية لا أجمع به وأخذ منه حقيقتها مشافهة فلم تيسر ذلك لموانع أهمها استعجالي
ولعلماء الأفرنج من الفرنساوين وغيرهم حقيقة علم بأحوال هذه المدينة

وأخبارها وما كانت عليه من العمران فهم يقصدونها في سياحتهم * وقد وجدنا
هناك فرنساوياً فلاحاً لا يعرف من العربية الا يسيراً ولما رأنا بهم الفار جاءنا
فقال بكلام لا يفهم الا بالقوة ان لبني ميزاب هاهنا في الزمن الاول خمسة
ملوك أقوياء وأشار بأصابع يده * ومن وسطها الآن تمر السكة
الحديدية وطريق الكروصه الى { تيارت } وغيرها * وبالقرب من العين
المسماة الى الآن بعين السلطان بنيت المحطة وعلى العين شرع الفرنسيون في
العمارة ولا يعضي زمن حتى يقال عاد الى (تيهرت) شبابها القديم وتزلها تجار
الاباضية أربابها القدماء وغيرهم من بني ميزاب وما ذلك على الله بعزيز * وفي جانب
منها هنشير عظيم ذو أنقاض كثيرة يعرف الآن بدار السلطان ولعله بقية من
دار الامارة الاولى والله أعلم .

* وبعد أن قرأنا ما تيسر من كلام الله العظيم وتصدقنا على الحاضرين بما
استصحبناه معنا لأجل ذلك من (تيارت) انفردت الى أعلى جهة منها *
أكيف هيئتها * وأرمي بنظري الى أرجائها * وأنا أردد قول الشاعر القائل *
{ كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر }
* الى أن لاحت لي قطعة السور الباقية منه فانتقلت اليها فاذا بها زاوية
من زواياه محكمة البناء متينة الأساس كأنها بقية برج فاسترحت في ظلها
بجنب عود من تين أو خروع عتيق فما أظن برهة من الزمن أجول بفكري
في أخبارها وتاريخها * ويبصري في آثارها * حتى أدركتني رقة لانت لها
الطبيعة الجالدة * والقريحة الكاسدة * فجادت بما لم يكن من عاداتها قبل ذلك أن
تجود به * واستحضرت ما لم أكن أظنها تسبح فيه * فقلت والقلب في حسرة
وانكسار * والدمع ينحدر من عين مدرار * وان لم أكن ممن ينظم من الشعر

عقوده * ويدرك منه سنه وفروضة * هذه القصيدة التي لم أغير منها مما
قلته إذ ذاك شيئاً سيراً في منهج الصديق إلا ما كان من قولي * واستعبدوا
البر والبحرا * فانه قد أبدلته الآن بقولي * واستسلموا الخ * كما ستراه
لما في لفظ استعبدوا من مجازة حد المبالغة المنهي عنها نغذاً أيها القاريء
على ما فيها * وان بالبدركلفاً *

قفا نبك أطلالا تقلص ظلمها * ونسب آثار الذين بقوا ذكرا
بني رستم من قام بالعدل ملكهم * فأمت بهم تبهرت كالروضة الزهرا
تحف بها الأنهار والزهر باسم * بروض بسايتين هي الجنة الخضرا
أقاموا منار الدين دهرًا وشيدوا * معاليه واستسلموا البر والبحرا
فكم نظموا جيشًا وكم نشر واعدا * وكم هندوا سيفًا وكم ضربوا تبرًا
وكم من حصون أحكموا وماتل * وكم مسجد أحيوا وكم عمروا قطرًا
وظل لواء النصر يتحقق فوقهم * وتبهرت دار العلم والدولة الكبرى
تكم من أمير تحت ظل ابن رستم * تقلد فيها السيف واكتسب الشكرا
وكم من امام كان في الدين حجة * وكم في سياسات الملوك ترى بدرا
فأمت خلاء تذرف الدمع حولها * عيون بها قرّت وسادت بها دهرًا
كذا الدهر خوان فيضحك تارة * ويبكي مرارًا صاغ من حلوه المرًا
* *

أيادار كم عمرت والسعد مقبل * عليك وكم بالعلم سادت بك الغبرا
عمرت وثمرت البلاد سوية * من الدهر كانت من نوادره الغرا
يشد اليك الرجل من كل وجهة * بك العيش رغد طيب وبك الاخرى
فهل فيك من يدري وقوف متيم * يكفف دمعًا نادبًا مربع الذكرا

يئن أنيساً يجرح القلب والكلى * يفت أ كباداً ولما يطق صبرا

سلام سلام من قلوب كثية * تسائل اطلاقاً ولم تكتسب خبراً
على معهد الاسلام والدين والهدى * ورب ملك كان ملكهم صدراً

ألا أيها الخلل المرافق قف وقل * حيا ل ديار طالما جبرت كسراً
سقى الله تهرت بوابل رحمة * يجدد ذكراها ويمحي لها نغراً
وآه وهل يمحي التأوه ميتاً * ومن ذا يرى عمرانها مرة أخرى
بعيد بعيد لكن الله ربنا * قد ير على أن المغيب لا يدري
ثم تحولت الى أصحابي وعدنا الى الجزائر ومنها وليت وجهي نحو وطني

العزير جبل نفوسة الشاغل العامر * فكانت لهذه الزيارة بعد ذلك رنة
أطبقت آفاق تلك الجهات وبني عليها وعلى ماعطف عليها من الوسائل حدث
أضحك وأبكى . وأمات وأحي . وأهان وأكرم . وأذل وأعز . وأبعد
وقرب . وأسخط وأرضى . وكان . وكان . وكان . مما لوسطر للاً بطون
الدفاتر وضائق دونه صفحات الطيوس وما هو وأيم الله الأوهام في أوهام .
وأفكار كأضنات أحلام . وحيل ومراصد . يتوصل بها الى خيث المقاصد
ثم كانت عاقبة السلامه . بواسطة من تحلوا بالفضل والكرامه . من أرباب
الهمم العلية . والروءة والانسانية . فتجرع كل من لم يبلغ مرامه من الواشين
كؤوس سم الحسرة والندامة . وتسربل بسربال المذمة والملامه . اذ أيد
الله العدل والانصاف . وبدد الظلم والاعتساف . بتوفيق سيد سلاطين
المسلمين . وحامي احمى الحرمين الشريفين . سلطاننا أمير المؤمنين ع عبد

الحمد ﴿﴾ خان الثاني . الى الانعام بنفوشاهاني خصوصي تخليت بحليته الفاخرة
وتناسيت ما كانت في الحين . وعظمت الى تلاوة قوله تعالى وهو اصدق
القاتلين ﴿﴾ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم
الاخسرين ﴿﴾ وقوله ﴿﴾ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلموا
علي واتوني مسلمين ﴿﴾ وهي آية يزجر بها المزمون المردة من الجن والشياطين
والحمد لله رب العالمين .

تنبيه

حيث أن أغلب تحرير هذا الكتاب كان مجارياً لطبعه بمعنى ان ما أحرره
اليوم يطبع غدا مثلاً حصل فيه بعض تساهل من حيث اللغة والاعراب
والرسم وربما أطلع على شيء من ذلك بعد فوات طبعه فأتأسف اذ لا يمكنني
تصليحه . ومن نظر الى قولي في صحيفة ١٢ عن تهرت ﴿﴾ بعد أن مضى عليها
مالا يبعد عن ألف سنة وهي خراب ﴿﴾ والى ما ذكرته أخيراً ممن وليها بعد بني
رستم يصدق ما قلته فاني كنت عند تحرير الاول اعتقد انها لم تعم بعد بني رستم
قط ثم اطلعت على الأخير بعد ذلك . ولم أغير مما نقلته من كلام المؤرخين شيئاً غير
لفظ الخوارج الذي يقرنونه أحياناً بلفظ الاباضية أو يمبرون به عنهم طمعاً فيهم
فاني أسقطته وأرجو من أرباب الاطلاع أن يصلحوا الفساد ما أمكن بدون
اعتراض فاني مقر بالمعجز والتقصير والكمال لله الذي خلق النقص والكمال .

﴿﴾ وأصلح الفساد بالتأمل * وان بديهة فلا تبدل ﴿﴾

﴿﴾ اذ قيل كم مزيف صحيحا * لأجل كوز فهمه قبيحا ﴿﴾

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فهرست

صحيفة

صحيفة

٢	انتقال الامامة الى المغرب	٦٢	مدينة انكاد
٦	ابتداء تأسيس مدينة تهرت	٥٠	مدينة مازونة
١٤	أقوال المؤرخين فيها	٥٠	قلعة هوار
٤٥	الكلام على بعض المدن	٦٣	مدينة مليانة
	المشورة المنسوبة الى تهرت	٦٤	مدينة ناجنه
٥٠	مدينة (تقس)	٥٠	مدينة أشير
٥٤	مدينة وهران	٦٥	مدينة الماء - كركر
٥٦	مدينة شلف	٥٠	العلماء المنسوبون الى تهرت
٥٧	المدينة الخضراء	٦٧	علماء الأباضية
٥٨	مدينة افكان	٧٠	الشكوك في مذهبه بكر
٥٠	مدينة غزه		ابن حماد الشاعر الاديب المشهور
٥٠	سوق ابراهيم	٧٥	علماء غير الاباضية
٥٩	مدينة وارين	٧٨	مدينة سجلماسة
٥٠	مدينة أوزكي	٨٣	﴿ عقد الامامة بتيهرت ﴾
٦٠	مدينة القدير	٨٤	مخلافه الامام عبد الرحمن
٦٠	مدينة زلاغ	٥٠	وكلام ابن الصغير على ذلك
٦١	مدينة يلال	٨٥	الاعانة الاولى من أهل
٥٠	مدينة قصر الفاوس		المشرق لهذا الامام ووصف
٥٠	مدينة كرا		ابن الصغير عدله وسيرته

صحيفة	صحيفة
٨٩ الاعانة الثانية من المشاركة اليه	١٢٢ واقعة نفوسة مع المنزلة
٩٢ دهاء هذا الامام مع ملك الصفرية	١٢٦ استدعاء المعتزلة فارس نفوسة
٩٣ خطبة ابن رئيس الصفرية	لضيافة بقعيد الفار به
لبنت الامام وتوجه بها	١٢٨ حرب أخرى كبيره للامام
٩٥ حملها منه وما نشأ عن ذلك	١٣٣ تزوج الامام من قبيلة لواتة
٩٨ وفاة الامام	١٣٧ عزيم الامام على الحج
١٠٠ (خلافة الامام عبد الوهاب)	١٤٠ منع نفوسة الامام من الحج
١٠٢ خروج ابن فندين عن الطاعة	١٤٣ حكاية أبي عبيدة معه
١٠٣ مكيدة لقتل الامام	١٤٤ محاصرة الامام لطرابلس
١٠٧ ارسال المسلمين الرسل للمشرق	١٤٦ محاصرة عسكر الامام لقابس
٠٠٠ صورة جواب المشاركة	١٤٧ رجوع الامام الى تيهرت
١٠٨ ارتحال شبيب من مصر الى	٠٠٠ وولاية السمع على الجبل
تيهرت طهما في الامامة	١٤٨ وفاة السمع وفنته ابنه خلف
١٠٩ حرب ابن فندين مع الامام	١٤٩ جواب الامام الى نفوسة
١١٢ رجوع الرسل من المشرق	في شأت خلف
والقدر يميمون بن الامام	١٥٢ ولاية أيوب بن العباس للجبل
١١٥ حرب ابن ميمون مع القاتين	٠٠٠ ولاية أبي عبيدة على الجبل
لوالده	١٥٥ حكاية ابن يانس التابع لخلف
١١٦ حرب الواصلية مع الامام	١٥٧ صورة جواب الى امام عمان
١١٨ طلب الامام من نفوسة جيشا	١٥٩ تصحيح قول

- ١٦٠ رسالة أبي عبيدة مسلم للإمام
١٦٣ وفاة الامام وعدد أولاده ومدته
١٦٤ عمال هذا الامام .
١٦٦ ﴿ خلافة الامام أفلح ﴾
١٦٧ محاربة أبي عبيدة خلف
١٦٨ محاربة ثانية له ووفاته
١٧٤ ولاية العباس على الجبل
١٨١ كلام ابن الصغير على سيرة الامام
١٨٢ دهاء هذا الامام
١٨٤ أحوال الامام مع الملوك
١٨٧ رسالة الامام الى بعض عماله
١٨٨ رسالة أخرى له
١٩٠ قصيدته في فضل العلم
١٩٥ انتحال فرج النفوسي الخروج
١٩٩ رسالة الامام الى رعيته
٢٠١ رسالته الى المسلمين كافة
٢٠٤ رسالته الى نفات
٢٠٦ هروب نفات الى المشرق
ونسخته ديوان جابر من بغداد
٢١٠ امتحان الشراة لهذا الامام
٢١٤ النصيحة العامة من الامام
٢١٩ عمال الامام
... ولاية أبان على نفوسة
٢٢٠ وفاة الامام ومدته وأولاده
وذهاب أبي اليقظان الى الحج
٢٢٢ ﴿ خلافة الامام أبي بكر ﴾
٢٢٣ مصاهرته لابن عرفة
٢٢٤ رجوع أبي اليقظان من بغداد
٢٢٦ مذاكرة الامام مع رجاله في
شأن ابن عرفة
٢٢٧ قتل ابن عرفة
٢٣٠ قيام أهل المدينة للأخذ بشاره
٢٣٢ تجنب نفوسة وأبي اليقظان
... حربهما مع أهل المدينة
٢٣٦ ﴿ خلافة الامام أبي اليقظان ﴾
٢٣٧ طلب الامام جيشا من نفوسة
٢٤٠ رسالة الامام الى العمال والرعية
٢٤٣ مناظرة الاباضية مع المعتزلة
... حكاية أبي عبيدة مع الامام
٢٤٥ تعلق نفوسة بهذا الامام

صحيفة	صحيفة
٢٧٥ دخول الامام المدينة	٥٠٠ ولاية أفلح بن العباس على نفوسة
٢٧٧ أخبار أبي منصور مع ابن خلف	٢٤٧ حكاية قاضي تهرت
٢٨٠ ولاية أفلح بن نفوسة ووقعة (مانو)	١٥١ ولاية أبي منصور على نفوسة
٢٨٤ واقعة لابن الاغلب مع نفوسة	٢٥٥ محاربة مع ابن صاحب مصر
٢٨٦ أرباب المذاهب بتهرت	٢٥٨ جواب أبي منصور اليه
٢٨٧ خطب الجمعة في ذلك العهد	٥٠٠ حكاية سجن الامام ببغداد
٢٨٩ خطبة التحكيم	٢٦٠ خبره مع أخي السلطان
٢٩١ قتل الامام وعدد مدته	٢٦١ عقد الخلافة لأخي السلطان
٢٩٢ ولاية اليفظان وقتله وانقراض	٢٦٢ طلبه من الامام الإقامة ببغداد
ملك بني رسم من تهرت	٢٦٣ (غريبة)
٢٩٣ خبر يعقوب بن أفلح	٢٦٤ وفاة الامام وعدد أولاده ومدته
٢٩٣ من ولي تهرت بعد بني رسم	٢٦٥ خلافة الامام أبي حاتم
٣٠٠ ما قيل من الشعر في رثاء تهرت	٢٦٦ بقي الامام لبعض المفسدين
عند خرابها	٢٦٩ خروج الامام من المدينة
٣٠١ زيارة جامع الكتاب الى اطلال	٢٧٠ محاصرة الامام للمدينة
تهرت وقصيدته وإشارة الى	٢٧١ مبايعة أهل المدينة لعلم الامام
مانشأ عنها	٢٧٢ حرب الامام مع عمه
٣٠٧ ﴿ تنبيه ﴾	٢٧٣ عقد صلح بين الامام وعمه
	٢٧٤ الاجماع على الامام
تم بعونه تعالى بمطبعة الازهار البارونية	